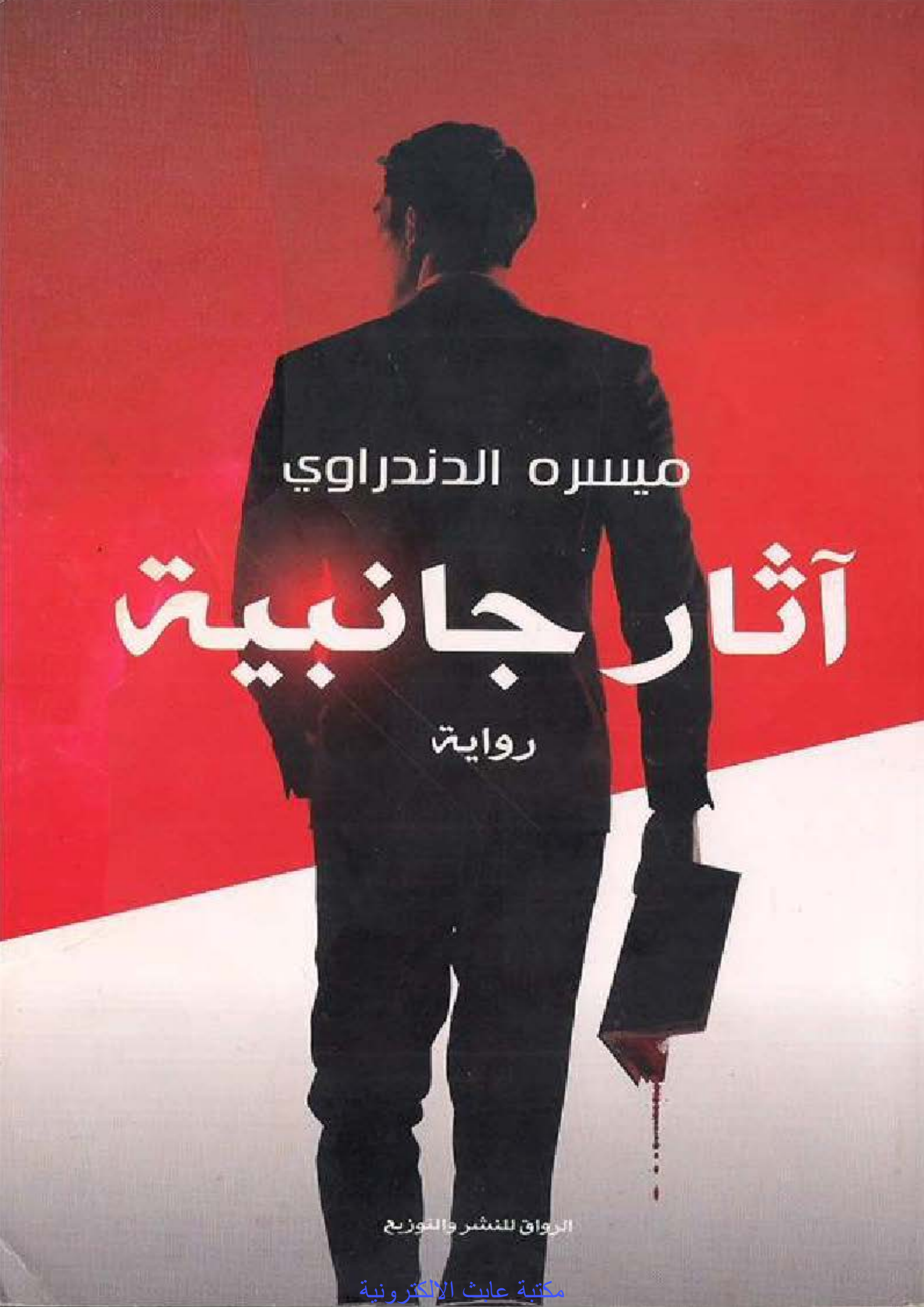




ميسره الدندراوي

آثار جانبية

رواية

الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة عابث الالكترونية

إهداء خاص

«إليك...»

3abbeth.blogspot.com

مكتبة
عابث



@3abeth



@mjanen23

إلى رجل وامرأة لم يخلا عليّ يوماً بأي شيء
فصنعاً مني كل شيء
إلى أمي.. إلى أبي

نعم.. لقد تولدت.. إن الليل والجحيم لا بد أن يجلبا هذه الوحوش إلى
العالم

يا جو.. شكسبير

تنويه

كل ما ورد من أسماء أو أماكن أو أحداث هي أسماء وأماكن وأحداث
حقيقية من وجهة نظر المؤلف.. وقد تكون غير حقيقية أيضًا.. لذا لا تشغل
بالك كثيرًا!!

(٠)

الظلام.. الساعة الخامسة والعشرون

إنه الظلام..

أصوات طبول الحرب تأتي من بعيد في لحن تصاعدي متوجس..
وأصوات نفير مكتومة تعلن أن الوحش قد جاء ليطم سلطانه على الوجود..

إنه الظلام..

الوحش الأقوى والأكثر شهرة بين بني البشر.. الوحش الأول الذي قد
يولد معك وينمو معك منذ أن كنت طفلاً رقيقاً هشاً.. طفلاً تكرهه وتمقتة
مقت غرفة الفران الضيقة، ومقت صوت جرس الحصاة الأولى.. وشاباً
تهواه وتعشقه.. ورجلاً تهابه مهابة الموت.. ما الظلام إلا موت محدد المعالم
تعرفه.. إلا أنك تهابه.. تهابه وإن كنت تنكر ذلك..

إنه الظلام..

ظلام بكر.. ليس كمثله ظلام.. إنه ظلام خال من الشوائب والإضافات
الصناعية!!

هل تذكر أول علاقاتك المتشابكة الفريدة مع هذا الظلام الوليد.. هل
تذكر أول صراعاتك الوهمية مع كل أشباح الأرض وهي تتأهب للفتك
بك.. وأنت تغلق عينيك الصغيرتين حتى تعتصر جفنيها ظاناً أنك تخنفي
منها وتساوى معها في قوتها التي تكتسبها من ذلك الكائن الفريد المتفرد!!
إن من لا يطيق هذا الظلام.. أدعوه أن يشاركني هذه اللحظة الجميلة
من الصفاء النفسي.. شعور عميق بأنك عدت إلى رحم أمك وتخلصت
من تلك اللحظات السوداء التي مرت بشريط حياتك.. لحظة أن خسرت
حب أول فتاة.. لحظة أن خسرت أول جنيهاً في صفقة فاشلة أو تحطمت
سيارتك في حادث اليم.. لحظة أن توفي والدك أو وجّه لك مديرك في العمل
أول إهانة.

كل هذا تنساه هنا.. في رحم هذا الظلام..

هذا ظلام يمنحك الثبات.. يمنحك السكينة.. يمنحك القوة على أن
تُخرج مخاوفك المريضة وأشباحك القديمة وتفتح عينيك على اتساعها لترى
الحقيقة.

الحقيقة التي ظل نور الصباح يخفيها ويحملها حتى ظنناها كذلك..
ظن كل منا أنها صافية واضحة.. لكنها دائماً ما تمارس هذه الموهبة الفذة في
كشف نفسها لمن فقط يريد أن يعرفها على حقيقتها..

الظلام.. الحقيقة.. إنها المفردات التي مهما ظننت أنك خبرت الدنيا..
فلن تجربها يوماً أو تعرفها.. ستبقى هناك مخبئة خلف ستار صلب من
الكلمات.. ستار ينتظر من يزيحه ليعرف.. لكنها معرفة لا تنفع أحداً سواه..

معرفة كالتي سوف أنقلها لك الآن.. فقط لتدرك بعدها أنها لن تنفع أحدًا
سواي!!

الظلام.. الحقيقة.. المعرفة..

سوف أصبّ قليلًا من سائل المعرفة السحريّ فوق أرض فضولك
الجدباء القاحلة.. سأخبرك بكل شيء..

فقط أصغ إليّ جيدًا.. إن ما سأقوله ليس قابلاً للتكرار..

فالله وحده يعلم إن كنت سأكمّله أم لا..!

* * *

- أكرم.. رة عليّ يا بني آدم انت..

- الضغط ٤٠/٦٠ .. احنا في مشكلة كبيرة فعلاً

* * *

(١)

كوبري أكتوبر.. العاشرة صباحًا

- الخلاصة يعني ليلتك بقت أسود من لون بيلتك الميري..
- هو أنت اللي يتمسك بوشك يشوف خير برضه يا بومة.. جثنين على غيار الريق كده.. شاب وقع من الدور الرابع في التجمع الخامس وبت نزفت لحد ما اتصفى دمها في مشتل في المعادي الجديدة.. هو عشان الواحد يسهر يشرب فنجانين قهوة ويسمع فوات المعاد.. يصطحب بجثث.. ١١٢٢
- قدرك يا عماد.. هتعرض؟؟.. وبعدين هو أنت متخرج من كلية الشرطة عشان تقف تنظم المرور مثلاً؟؟ احذرنا بابا إنك مش جثة منهم..
- الله يلعن فالك عالصبح.. وربنا لاكسر رقبتك نصين بس لما اطولك يا ابن ال...

القاعدة الأولى عندما تتعامل مع عماد هي: (أغلق الخط فورًا قبل أن يتطور النقاش وإلا حوِّلك إلى عجين لاحقًا).. عندما تلقي بقبلة في وجه عملاق مثل عماد فلا بد أن تطلق ساقيك للريح قبل أن تأخذ الضربة المضادة.. لا تتكلم عن القلب الأسود والردّ اللاحق.. إن من يعرفون عماد يعرفون أنه طيب القلب لا يذكر ما أكله بالأمس، ومن لا يعرفونه فليسمحوا لي أن أعرفهم به..

عماد ضابط شرطة من الزمن الذي كانت فيه الشرطة تخرج بالأبواق في قلب الشارع لتحذر ذلك الأخ الكريم القاطن بدير النحاس أن الدواء به سم قاتل..

عماد ضابط محترم..

عماد من ضباط الشرطة الذين يعتذرون عن إزعاج الهائم والذين يطرُقون الأبواب في هدوء..

عماد ضابط ابن ناس

عماد من الضباط الذين يقفون في طابور البنزين ويحملون الفاكهة وطلبات السوق بأيديهم

عماد ليس باشا من ضمن الباشوات !!

الباشوات أصحاب النظارات السوداء والنظرات المتجهمة.. الباشوات الذين يضربون المسجلين على مؤخرات رؤوسهم ويركلون مؤخراتهم داخل الأقسام من أجل الحقيقة!!

عماد يعرف كل حقوق الإنسان بدون أن يجعله أحدهم يعرفها مجبرًا.

وهي عملة نادرة لو طلبت رأيي !!

عقارب الساعة الـ (سي كيه) الفضية العملاقة هدية عيد ميلادي الخامس والثلاثين، تتقافز في جنون نحو العاشرة والنصف.. وكوبري أكتوبر كجحيم دائني في ازدحامه.. كل هذه السيارات في مصر.. إن نصف هذا الشعب لا يجد ما يكفيه قوت يومه إلا من رحم ربي.. فمن يشتري السيارات إذن إذا كان لا يستطيع أن يجد قوت يومه!!

هناك من لا يجدون قوت أيامهم ويشترون السيارات.. هناك ذلك الأب متوسط الحال الذي يعمل موظفًا حكوميًّا كبيرًا ويحصل على راتب يكفيه فقط لشراء دجاجة يوميًّا.. يأتي إليه هؤلاء الفتية المتأنقون بحللمهم المكوية جيدًا ويخبرونه أنه موظف حكومي مرموق مضمون، وأنه لا بد له من سيارة صغيرة له أو للهانم الصغيرة حتى تتفادى المضايقات.. وكيف يأتي بالسيارة وراتبه لا يكفي حتى وقودًا لها في الشهر.. الإجابة حاضرة كالمرتفعات.. يا سيدي.. ما رأيك ببعض التسييس والتسهيلات الائتمانية.. فقط وقع هنا.. وهنا أيضًا.. هذا رائع يا سيدي.. سوف تصبح لديك سيارة صغيرة.. فقط تذكر بأنك ستدفع ثمنها مضاعفًا لنا.. لا شيء يأتي بلا تعب يا سيدي.

هناك ذلك الشاب الذي يعمل صباح مساء في شركة خاصة من ذوي السكرتيرات الحسنات وموظفات الموارد البشرية المتأنقات الذين لا يكفون عن جلب العروض الأفضل لموظفي شركتهم المتميزين.. تعال يا بني.. تريد سيارة جديدة.. وقع هنا.. وهنا أيضًا.. جيد! أحضر ضامنًا آخر لأنك لا تكفي ضامنًا كي نمتص دمك ونأكل أحشائك ثم نمنحك سيارة لا تقدر على جمع ربع ثمنها في خمسة أعوام.. أحضر أباك الموظف.. جيد يا حاج وقع هنا أيضًا.. مبارك عليك السيارة الجديدة.. فقط تذكر أن أول قسط لن تدفعه ولو بعد ثلاث سنوات.. سوف يسلبك سيارتك الأثيرة

وتصبح بلا سيارة.. أنت وقعت يا بني هنا وهنا.. وهنا أيضًا.. فلا تلومن
أحدًا سواك!!

هذه الفقرة برعاية بنك..... نحمل ال.. إلخ إلخ.. لك ولاسرتك
المعدمة التي مصّت الحاجة إلى العيش معها!

جميل.. الساعة الآن العاشرة والنصف كما تصرّ تلك الأخت التي تردد
اسم شركة المحمول الشهيرة لتعلن أن الساعة التي تقفز كالأرنب المذعور
تأتيكم برعاية إلخ إلخ، التي تقدّم إلخ إلخ.. وأنا على كوبري أكتوبر ويبدو
أنني سوف أصل الجريدة في الثانية ظهرًا.. لا تندهش يا عزيزي.. ولا
تحدثني من فضلك على أن المسافة من جريدتنا لموقعي في منتصف كوبري
أكتوبر لا تزيد عن العشر كيلومترات.. أنا لست جاهلاً بالمسافات ولكن
أنت من يجهل كوبري أكتوبر!!

في إحدى المرات حكى لي سائق تاكسي يشبه محمود ياسين أن امرأة في
شهرها السابع أنجبت طفلها في سيارة إسعاف على كوبري أكتوبر بعد أن
فقد زوجها الأمل في الوصول إلى أي مستشفى.. فراح المسكين يبحث عن
طبيب في السيارات التي تحولت إلى قطع من حديد الكوبري الصدئ وحين
وجده قام الرجل بواجبه المهني على أكمل وجه، ووصل المحروس إلى الدنيا
واتفق الرجل المسكين مع الطبيب أن يزور عيادته لكي يدفع أجرة العملية
وتبادلا أرقام الهواتف.. كل هذا والكوبري لا زال متوقفًا!!!

الجميل في الأمر أن السائق راح يقسم لي أنه لا أحد حتى الآن يعرف لماذا
كان الكوبري متوقفًا!! لا الأب ولا الطبيب ولا حتى الوافد الجديد سوف
يعرفون لماذا كان متوقفًا من الأساس!!

الفقرة المروية تأتيكم برعاية إلخ إلخ إلخ..

استمع إلى ذلك العقيد يتحدث شارحًا كيف أنا سنشيخ بسبب الحالة
المرورية في القاهرة.. وأن الكثافات المرورية تتزايد في كوبري أكتوبر والمحور
والدائري والأوتستوراد وصلاح سالم والعروبة وفيصل ومراد والوايلي
وجوزيف تيتو ومكرم عبيد.. وأن المحاور البديلة تحتاج إلى محاور بديلة..
لتسأل نفسك سؤالاً في متهى الألمية (ماذا يفعل كل رؤساء الحكومات
منذ أبد الأبدين في حل مشكلة المرور؟؟) سأترك إجابة سؤالك الألمي
للزمن.. أنا مشغول الآن بالبحث عن محاور بديلة.. لا يوجد محاور بديلة..
إذن لا بد من استهلاك الوقت في بعض الأنشطة المفيدة

إذن فقد جاء ميعاد المكالمات الهاتفية برعاية إلخ إلخ إلخ.

- حسين.. حبيب قلبي يا سونة.. عايزك في حوار مهم ومصري..
- أنت فين يا استاذ أكرم.. ده رئيس التحرير قالب الجرنان عليك من
صباحية ربنا.. وكل ما يشوف حد يسأله شوفت الز... لا مؤاخذه
شوفت الأستاذ أكرم..
- بقولك حوار مهم ومصري تقولي رئيس التحرير.. بص خش
للمزة اللي اسمها نرمين وقولها إن أكرم في البدرشين بيغطي حادثة
القطر هناك.. وركز معايا في الأهم.
- هو في حادثة قطر في البدرشين فعلاً؟؟؟!!
- يا ابني هو في قطر ما عملش حادثة في البدرشين يا حسين.. انت ما
تعرفش س.ح.م يعني إيه
- سكك حديد مصر.. عارف طبعاً.
- كنت على وشك السخرية منه ونعته بالأبله المفتقر لروح الدعابة لكن
المصلحة تقتضي أن...

- ما علينا يا سحر.. المهم ركز معايا بقه.. أنا رايح لحد القصر العيني.. في مشرحة الكلية هناك في جشتين لسه طازة مستنين أبو صوابع ذهب أحمد علام يشرحهم.. وطبعًا لازمهم حانوتي أفرنجي بكاميرا عشان ياخذهم كام بوز من اللي قلبك يحبهم.. وصحفي حوادث يكتب مقالة مجملصة عن الزمن اللي باظ والحياة اللي ما بقاش فيها أمان والكلام اللي بيعجب القراء ده..

- وانت عايزني آجي معاك أصور بقه.. وزى كل مرة تقلش اسمي من على التحقيق واطلع أنا منها بلا حمص.

- يا عبيط.. أنا بعمل معاك كده عشان اسمك ينزل متبروز على تحقيق الموسم.. بص كده معايا على المانشيت ده، بكرة الصبح بينظ ستة وتلاتين أحرر.. كشف غموض مقتل فلان الفلاني وعلانة العلانية.. تحقيق يقلمه لكم أكرم فهمي بعدسة حين مسلم... طب وغلاوتك عندي جسمي قشعر..

تخيلت القشعريرة تنقل إلى جسم حسين عبر أثير المحمول.. لا بد أن أطرق الحديد وهو ساخن.

- و دلوقتي بقه يا سحر احنا رايجين فين..؟؟

- البدرشين عشان حادثة القطر..

- حبيب قلبي يا حسين..

ثم أغلقت الخط وأنا أكم ضحكاتي.. الواقع أن عم جمعة الساعي في مبنى الجريدة المجاورة سوف يعرف بعد قليل أنني في طريقي إلى القصر العيني.. إن حين يعتمد عليه كما تعرف!



- أكرم.. خليك معايا يا ابني.. رَد عليّا
- حقنة Lidocaine ورید.. وتحطهولي على الـ Hemoperfusion.. فورًا..

* * *

(٢)

التجمع الخامس.. الثانية عشرة ظهرًا

سيارة الإسعاف ذات الصناعة الألمانية الصلبة.. البرتقالية الضخمة ذات الخطوط الخضراء كلون الموت نفسه.. لم أتخيل يومًا أن يكون الموت أسود أو رماديًا.. فقط أتخيله برتقاليًا مستعرًا كلون النار عندما تستقر فوق الحطب.. كالموت، راحت تعوي بلا توقف.. وثلاث سيارات شرطة من ذلك الطراز الحديث الذي منحته لنا الصين بعد الثورة كمنحة لا ترد كما قالوا لنا.. كل هذا يتحول إلى كارثة في ضاحية هادئة مثل التجمع الخامس.. ضاحية هادئة أكثر من اللزوم في هذه الساعة من الظهيرة..

حر خانق ورطوبة تصل إلى كل انحناء مستدير في حويصلات رتلكت التي أنفكها التدخين ودخان العوادم ودخان المصانع وأتربة أثارها تلك النسائم الهوائية التي وعدك مالكو تلك البنايات أنها ستكون نقية خالية من التلوث!!

صحفي وحيد هو العبد لله يتابع كل هذا ويلتقط الصور.. هذه ميزة أن يكون صديقك ضابط مباحث.. هنا تلعب الوساطة والمحسوبية أجمل أدوارها.. من قال لك يا عزيزي إن الوساطة غير مفيدة.. إنه ساذج ساذج ساذج.. إنها لحظة الحقيقة.. برغم كل ما نتشدد به من رفض للوساطة والفساد والمحسوبية إلخ إلخ.. ولكن الوساطة هي واحد من أقوى اختراعات القرن العشرين وأكثرها نفعاً.. نعم يا عزيزي هي أكثرها وأقواها نفعاً..

عاكفاً على تصوير الجثة المغطاة ببطانية جيش خشنة تنتمي لبواب ما كان يتكفن بها من ليالي التجمع الباردة.. ورجال العمل الجنائي يحاولون كشف أي شيء يمكن اكتشافه.. وأنا أتخيل جموع الصحفيين ومحوري الحوادث وهم ينتظرون أمام القصر العيني في انتظار كلمتين.. من أخبرهم؟؟ حسين طبعاً.. إنه بوقي الأول في أوساط الصحافة والإعلام.. عنصري الاستخباراتي المميز قد نقل غملاً ما أريد أن أنقله.

عماد يشعل لفافة التبغ في ركن فمه الأيمن - ليبدو محنكاً - ثم يقول متابعاً:

- شاب عنده سبعة وعشرين سنة زي ما ببطاقته بتقول.. بنان رياضي مش بطل ولو إن السواد تحت عينه زيادة حبتين.. وقع من الدور الرابع على الطريق الممهّد وانكسرت رقبته وضلعين وفضل يتزف لحد مامات.

- انتحر يعني ولا حد رماه.

- مفيش أي دلائل على أي عنف أو مقاومة عنف منه.. ممكن يكون فقد توازنه ولّا حاجة ولا يمكن كان بيعمل حاجة فوق الطح ووقع.. ويمكن..

صمت وتضيق عين.. ثم..

- عبد الباقي.. هات بطاقة المجني عليه..

- انتحر قصداً.

نظر إليّ بغتة وكأنها سببت الفتى.. ثم انعقد حاجباه ولفافة التبغ تنزلق على طرف شفّته لتعطيه منظراً شبيهاً بكولومبو شخصياً بحواجه الكثّة ولفافة التبغ المنزقة على طرف شفّته والباقية في مكانها بمعجزة ما.. إلا أن الهاتف المحمول فك الانعقاد حين أجاب وألقى بلفافة التبغ متعجلاً وكأن المتحدث يراه!!

- صباح الخير معالي الباشا.. لا أنا في التجمع حضرتك جنب المجني عليه.. شكراً يا عبد الباقي.. أيوه البطاقة معايا يا فندم.. علاء مسعود البلطيمي.. أيوه عارف مين هو يا فندم كويس.. لا حضرتك ما تقلقش احنا مسيطرين على الوضع.. صحافة مين يا فندم هو احنا ناقصين سعادتك.. علّم وينفذ معالي الباشا.. بنفسي يا فندم حاضر بنفسي.

ثم أغلق الخط وأخرج لفافة تبغ جديدة حاول إشعالها ففشلت فدأخته الحربة في منحه قبساً من النار.

- يا بسيوني

اقترب ذكر غوريلا يرتدي جوالاً من الجيتز - يمكنك أن تدعوه بسيوني

- أوامرك يا عماد باشا

- هات ولاعتك.. الواحد مش عارف يولع سيجارة في البلد دي..
هيا الجثة رايحة فين.

- القصر العيني جنابك.. دكتور أحمد علام طالبها هناك هي والجنة الثانية بتاعتم المعادي.

- دكتور علام.. جميل أوي.. طيب إنت هتركب العربية مع المرحوم بنفسك.. مفيش جنس مخلوق ياخذ كلمة منك أيًا كان... الجنة هتسلم باليد للدكتور علام شخصيًا.. وعلي باشا هيصصلك على هناك.. وتستوني لما اجيلكم.. مفهوم يا بسوني.. يا عبد الباقي.

- أوامرك عماد باشا

ثم أدى التحية على عجل وانصرف بينما عماد يصدر أوامره للأمين عبد الباقي الشبيه بعبد الوارث عسر ثم رفع عقيرته مطالبًا عليًا بأن يحرك مؤخرته الناحلة ويلحق بسيارة الإسعاف على طريقة الأفلام الأمريكية التي يدمن عماد متابعتها.. كنت أنا العن تفكيرى الألمي الذي قادنى إلى إخبار حين باني ذاهب إلى القصر العيني.. لا بد أن أجري بعض المكالمات.. لا بد من أن تكون جريدتنا أول من ينشر هذا الخبر بتفاصيله ولكن اليس الاسم قريبًا نوعًا من..

- عمدة..

- مميم.

- علاء ده ابن..

- أبوه.. هو مسعود البلطيمي اللي تقصده.. اتفضل حضرتك عشان عايز اعدي على المديرية قبل ما نروح المشرحة.

وقبل أن أتفوه بكلمة رن هاتفه المحمول من جديد فراح يتمم ويدمدم ويهمهم ثم أغلق الخط واتجه نحو السيارة متابعًا:

- يا ستار يا رب.. ده اليوم العالمي للبحث بقه.. أنا اصطبحت بوش
مين النهاردة.

- بوشي طبعًا ودي عايزة سؤال.

رحت أجاهد للحاق به وصدرى يوشك على الانفجار.. (قطيعة تقطع
الدخان وسينه) كما تقول العبقرية جدًا كريمة مختار..

- خير يا عماد؟؟

اتخذ مكانه خلف المقود وهو يسب ويلعن متابعًا:

- جثة جديدة في الزمالك.. رجل لدغته حشرة ولا عنكبوت.. ده
النهاردة نهارنا نادي باين، وليلتنا اسود من وشك.. على فكرة.. لو
هتتشر الخبر هيبقى بالأحرف الأولى بس.. عليا النعمة يا أكرم لو
عملت زي عادتك وخذتني على قد عقلي لاشيل راسك من على
كتفك.

- يا سلام.. هو انا جاي اشيل الشنطة والسجاير لجنايبك بقه..

أخرج طبنجته الميري من جانبه ووضعها فوق أنفي واللعب يتطاير من
فمه:

- تحب نفذ عملي بقه إذا كان الكلام مش عاجبك..

- عمدة.. وربنا بهزر معاك يا جدع.. أحرف أولى كفاية أوي أوي..
إحنا هنتهب.

ارتسمت على وجهه ابتسامة من طراز - ماتجوش إلا بالعين الحمرا - ثم
أدار المقود وانطلق كالصاروخ.

لولا يكن عماد صديقي.. كنت... و.... أو...

فيما بعد فيما بعد سوف أخبرك.. لماذا يحشر الإنسان أنفه فيما لا
يعنيه...؟؟!!

* * *

- كنا غلطانين.. غلطانين تمامًا
- حقة ثانية يا.. إنت اسمك إيه يا بني؟؟

* * *

(٣)

كلية طب القصر العيني.. الرابعة عصرًا

قادنا الدكتور أحمد علام أستاذ الطب الشرعي العجوز الذي يشع وجهه
بذكاء متقد وعينين تطلقان ذلك البريق من خلف قرنيتين رماديتين أنهكا
من كثرة التدقيق في المجاهر وشرب القهوة السادة.. عبر الردهات نمشي في
هدوء، وهو يتبادل حديثًا وديًا مع عماد.. لربما كانا يتذكرا قصة قتيل مصر
القديمة الذي ساهم الدكتور علام مساهمة قوية في معرفة اسم زوج خالته
أو شيء من هذا القبيل!!

في كل مرة أدلف فيها إلى حضرة الموت تصيب جدي نفس
القشعريرة.. إنه الخوف الذي لا أعرفه ولا أعرف أبعاده.. أنا لا أخاف
من الظلام، فالظلام أبعاده معروفة، ويومًا ما سوف يأتي نور ما فيبدد هذه
الظلمة.. أنا لا أخاف من الرصاص.. فلو اخترق رأسي أو قلبي فأنا ميت لا
محالة، ولو اخترق ذراعي أو بطني فلربما أحيًا يومًا جديدًا.. إلا الموت.. هو

ذلك الكائن الخرافي الذي لا أعرف عنه شيئاً، ولم يذهب أحدهم معه وعاد ليخبرني كيف هو وماذا يكون!! ثم إنني لست تقياً عابداً حتى لا أخاف الموت!!!

جلسنا حول تلك الطاولة الصغيرة في ركن المشرحة حيث بقايا وجبة فول لم يكملها طالبها.. وأشلاء من كانوا يوماً ملء السمع والبصر تتناثر فوق طاولات الفحص كأنها عرائس مريونيت وقعت في يد طفل عابث.

- تشرب إيه يا سيادة الرائد.

- قهوة يا فندم.. السبرتاية وحشتني الحقيقة.

أرسل ابتسامة مريجة في أثر المشرحة الكتيب، ثم رفع عقيرته منادياً ذلك التومرجي ليأتي بالسبرتاية وبرطمانات القهوة والسكر وتلك الكنكة النحاسية ذات اليد الخشبية المحترقة.

شرع يعد لنا القهوة وهو يتبادل معي حديثاً باسمًا عن أحوال الصحافة.. وصحافة الحوادث.. وكيف أنه يشعر أن صحفي الحوادث يشبه حانوتي الأفلام القديمة.. حتى أنه تخيلني مرتدياً ذلك الجلباب والطربوش الأحمر وأشير في وجهه بعصاي مردداً: "الموت عليكم حق".

- ادخل في الموضوع على طول يا دكتور علام.. في رأيك إيه ممكن يخلي بني آدم ينتحر؟؟

- سؤال برة تخصصي كطبيب شرعي.. وفي صلب تخصصي كمواطن مصري.. مؤالي بقه: إنت عايز تعرف الإجابة من مين فيهم؟

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه عماد، ونظر لي، فقلت:

- أعتقد إنني مهتم بالاثنين يا دكتور علام..

خلع عويناته الطبية الأنيقة، وراح يقلب البنّ داخل الكنكة النحاسية
متابعًا:

- كمواطن في هذا البلد المنهك.. عوامل الانتحار عديدة ومتفردة..
طب ده أنا ساعات بسأل نفسي هو إيه اللي ما بيخليش الناس
تتحرر؟؟ انفضلوا القهوة..

ثم صب ثلاثة أكواب زجاجية صغيرة تفوح منها رائحة الحبهان المختلط
بالتراب البني المنعش.

- متفق معاك تمامًا يا دكتور.. تسلم إيدك شكرًا.

رمقني عماد بنظرة نارية وهو يرشف من كوب قهوته بصوت مسموع،
بدا كسباب خفي، فتابع دكتور علام باسمًا:

- برغم إن حضرة الضابط ممكن ما يعجبوش كلامي لكن أنا هقولك
يا أستاذ أكرم.. لما والدك ووالدتك يطفحوا الكوتة - اللي أنا ما
اعرفش إيه هي الحقيقة - عشان يعملوا منك مهندس ولا دكتور ولا
محاسب.. وتصحى من النوم في يوم تلاقي نفسك اتخرجت للأسف
وبقيت عائلة عليهم.. والحكومة بتقولك بالبلدي كده.. شطبنا.. ما
عندناش لا شغل عدل ولا بيت يلحك إنت وواحدة شبهك، عشان
نعملوا أسرة تطلع شبهكم.. اللي حلبتنا كله راح في تلت حروب
وشقيلة اقتصاد متواصلة طول خمسين سنة.. فتقوم طالع على القطاع
الخاص عشان يمص دمك، ويجولك بالتدريج لآلة عديمة المشاعر..
تشتغل عشر ساعات في اليوم، وتحط عليهم أربعة في موصلات غير
أدمية وطرق ما تصلحش لعرييات الكارو؛ عشان تحاول توصل من
مكان لمكان.. وتوصل شغلك عشان تلاقي السيد الباشا مديرك
عصبي حبتين، يبصلك من فوق لتحت وينعنى إلى الوطن ضياع

الكفاءة والمهنية وإن الي زيك لازم يحمدا ربنا عشان لقوا مكان
يشغلوا فيه.. وفجأة في يوم تلاقي نفسك عالرصيف زيك زي أي
سلة مهملات، على العكس من زميلك ابن محسن بيه اللي اتولد لقي
شقة وعربية ووظيفة وعروسة.. وتلاقي شوية عاهات يطنطنوا
في ودنك كل صباح كلمتين عن الكفاح والعمل ومن جد وجد..
ولازم ما نزعش ولا ندايق ولا نغضب ونركز في شغلنا شوية بقه،
والكلام اللي ممكن تسمعه في أي برنامج في قناة النيل للأخبار.. فا
محدث هيقدر يلوم عليك لو رميت نفسك قدام أي أتوبس نقل
عام، عشان تخلص وتخلص اللي حواليك وترتاح الراحة الأبدية..

صمتا للحظات مرت كدهور.. ثم اعتدل عماد كي يبدو عملياً أكثر،
وحتى يتغير ذلك الموضوع السوداوي الكئيب - الواقعي للأسف - متابعاً:

- أنا شايف نخيلنا في رأيك كطبيب شرعي أحسن ونشوف الجثث..

راح يقلب بعض الأوراق أمامه وأشعل لفافة تبغ، ثم تناول نظارة
القراءة، ووضعها على قصبة أنفه قائلاً:

- تعال نشوف الجثة الأولى.. ذكر أبيض في منتصف العشرينات..
حالة سقوط من مرتفع.. تهشم كامل للرقبة والقصبة الهوائية
وضلعين في الجنب الشمال في القفص الصدري.. في شوية آثار على
الأظافر والشفين بتقول إنه كان حريقة سجائر.. وفي على كف يده
الشمال بواقى زيت حشيش..

- حشيش!!

- أيوه حشيش يا أستاذ أكرم أنا مش هغلط في تركيبة الزيت وعموماً
تحليل الدم هيبين كل حاجة على آخر النهار كده.. مفيش أي آثار
دفع في جسمه ولا آثار مقاومة.. السجائر قربت تخلص.. حد يشرب
شاي معايا؟

- لا إحنًا تمام أوي كده كمل حضرتك.. الشاي ورا القهوة خبط لزق يا دكتور.

- يا سعيد.. اعمللي واحد شاي بسرعة.. يا سيدي كله زي بعضه أنا خلاص باكر الستين يا أكرم فاما بقتش فارقة.. والدكاترة بيستمعوك نفس الكلام، لو شربت قهوة بس أو شربت قهوة وشاي، يبقى احرم نفسي وبموت بحسرتي على كوباية شاي.. سيجارة يا سيادة الرائد.. المهم إن الأخ المتوفى نزع من منطقتين في ظهره ورجله ما همش أي علاقة بالواقعة.. إصابات سابقة للحظة الاصطدام، ومجرد إنها ما كانتش التثمت كويس فافتحت تاني وسيلت دم.

ثم أشعل لفافة التبغ، ونظر في أوراقه مستجمعًا خيوط القصة.. كدت أبوح له بأنه لم يسألني عن إذا كنت أحب أن أدخن.. إلا أنه قال وعيناه فوق أوراقه:

- إنت ما بتشربش سجائر يا أستاذ أكرم.. لون شفائيك فاتح نوعًا، وأظافرك بيضاء وصحية، بس أسنانك عليها بواقي من تبغ وقهوة.. أعتقد إنك بتشيش أو بتدخن البتاع اللي اسمه بايب أو غليون..

ثم منحني ابتسامة عريضة.. لم أكن أعرف أنني أمام شيرلوك هولمز.. ربما كانت الإشاعات عن أن الأطباء الشرعيين مصابون بداء التفاصيل صحيحة إذن!!

نظر من جديد إلى أوراقه متابعًا:

- الحالة الثانية لبنت في أوائل عشريناتها.. عندها مرض نادر اسمه متلازمة لويس بار.. في بعض البقع الحمراء تحت عينيها وفي وشها، وهي من العلامات.. كذلك في بعض الالتهابات في جنب القدم

وعند طرف الصبّاع الصّغير؛ نتيجة التّأرجح بعض الأحيان في المشي.. لا مخدرات أو كحوليات حسب تحليل الدّم مبدئيّاً.. مفيش سموم في الموضوع.. سبب الوفاة نزف من خمسة جروح في الرّقبة والذراع والساق وكعب الرجل.. والظاهر إنّ النزف بقاله فترة، مع ضعف واضح في نسبة الصفائح، وارتفاع في سيولة الدّم، خلّي الموضوع أسرع.. الله يرحم الجميع.. آه أنا لقيت دبلة في صباعها اليمين، والاسم اللي مكتوب عليها عصام.. واضح إنها كانت مخطوبة من فترة طويلة؛ لأن لون الجلد تحت الدبلة فاتح شويتين..

تناول القهوة من يد التومرجي، وشرع يرشف رشفات مسموعة، وهو يتحرك نحو أحد طاولات الفحص، استقرت عليها جثة يبدو من ملامحها ومن حالتها أنه لم يفرغ من تشريحها بعد.. حتى كدت أن أتقيأ تفرزاً لما فعله بها.. كأي جزّار محترف يعمل في أحشاء ذبيحته.

- الحالة الثالثة ذكر في العشرينات.. بنيانه جيد جدّاً.. الوفاة تسمم، والحالة واضحة جدّاً.. أعراض موجودة زي اتساع القرحة والبؤبؤ ونشفتان الرقيق.. ولما حللنا الدّم لقينا كمية من سم اسمه Latrotoxin.. في شوية آثار لمواد مخدرة في دمه.. خليط من الإيبوروفين والترامادول.. ولما فتحت المعدة لقيت لسه في بواقي أقراص مسكنة ما ذابتش في معدته، دليل إنه لسه واخدهم طازة.. السم اللي في جسمه بييجي غالباً من لدغة عنكبوت اسمه الأرملة السوداء The Black Widow وفي آثار عضه في فخذه بس في أثر لعضة ثانية في الرّقبة بس أصفر شوية، وللأسف العنكبوت ما جاش مع الجثة والا كنت اتأكدت من العضتين مقارنة بالعنكبوت نفسه..

عماد منح ابتسامة سخيضة نوعاً وهو يسأله:

- إنت عارف إنه كان لعب كورة مغمور، وكان رايح النهاردة الصبح

يوقع لنادي الزمالك، بس ربنا ما أرادش يزود المشرحة قتيل.. أو الحقيقة هو ربنا أراد يزود المشرحة قتيل.. بس الفرق في اسم المشرحة - أنا مش مهتم أوي بالكورة.. بس ساعات كده ببص على الجرنان واشوف المانشيتات العريضة اللي بيكتبوها على فلان الفلاني صاروخ العصر.. وعلان الترتاني الفتى الذهبي.. ولو جاب جون في مركز شباب الدلنجات يبقى هدف وبطل قومي.

ابتسم عماد على دعابة دكتور علام.. فهو زملاوي قديم، ويعاني مع ناديه الحبيب منذ أن كنا في آخر سنين الجامعة.. وهو يشعر نوعاً بأن الله أنقذ الزمالك من لاعب مغموور عديم الموهبة كان سيضاف إلى قائمة ممن ينعتهم عماد دائماً بالفشلة الذين أهدروا تاريخ النادي العظيم!! اعتدل عماد في وقفته، ووضع لفافة تبغ في طرف فمه، وقال - وهو يجاهد لإشغالها بقذاحته الخربة - :

- يعني صراحة كده حضرتك عايز تقول إن اللي حصل جرايم قتل مش انتحار.

رفع دكتور علام وجهه عن الجثة، ونظر نحو عماد بعينه الباردتين قائلاً:
- انتحار.. يا بني أنت بتكلم مع واحد من أقدم ثلاث أطباء شرعيين في مصر.. اسمحلي أقولك بمتتهى الوضوح يا سيادة الرائد إن اللي حصل جرايم قتل.. جرايم قتل مكتملة الجوانب!!

* * *

- "ظلام ظلام ولا شيء هناك"

- أعنفد إنه بروج مننا خلاص.. أنا آسف.

* * *

(٤)

مشرحة طب القصر العيني.. الثامنة مساء
ثلاث ساعات..

أكواب القهوة الزجاجية وما جف بها من ثمالة البن المحوج بأفخر أنواع
الحبهان وجوزة الطيب قوي الرائحة.. مختلطاً برائحة الفورمالين النفاذة
ورائحة تبغ الغليون ورائحة التبغ المنبعثة من أطنان التدخين.. وسط أشلاء
من كانوا يوماً بشرًا يأكلون ويضحكون ويتناسلون..

- ممكن سؤال يا دكتور علام؟
- نعم.
- هو أنتم بتجيبوا الجثث اللي بتعلموا عليها الطلبة تشريح منين؟
التفت ناحيتي وعلى وجهه المرهق شبح ابتسامة.
- واشمعننى السؤال ده؟

- اعتبره فضول بشري مقيت.
- وهنا أطلق عماد ضحكة مدوية حتى أسقط اللعاب من فمه.
- أنت بتضحك على إيه يا عم انت؟
- أصل أنا عارف اللي في دماغك يا معتوه.. والله عارف.
- لا بجدي يا أستاذ أكرم ليه السؤال ده؟
- الصراحة يا دكتور علام أنا مش متخيل نفسي عبارة عن جثة كده، وعيل في سنة تانية طب ماسك مشرط وشغال في تقطيع يمين وشمال وفوق وتحت.
- عماد يواصل الضحك في سخرية:
- والله أنا عارف إن ما همك من كل ده إلا تحت يا اهبل
- بس يا وسخ.
- عماد يواصل الضحك حتى شعرت أنه سينقلب من فوق المقعد المعدني الصدي بينما دكتور علام يشير مهدتًا.
- لا ما تقلقش يا أستاذ أكرم.. طالما إنت مش ميت في مظاهرة أو في عملية إرهابية أو في فض اعتصام أو في حادثة اغتيال أو في جريمة قتل أو وأنت ما معكش بطاقة ومحدث اتعرف على جثتك.. يبقى محدش هيمسك مشرط ويعمد إيداه عليك.
- روح يا شيخ الله يطمئن قلبك.
- ضحكات عماد ودكتور علام جلبت تومرجي المشرحة المعجوز الذي ابيضت عينه اليسرى.. متى ابيضت هذه العين؟ لقد كان سليمًا كزجاجة زيت تموين.!!

- في حاجة يا دكتور؟؟
- لا يا عم متولي.. حضرة الضابط قال لنا نكتة حلوة بس.. روح اعمللنا طقم قهوة وهاتلي علبتين سوبر من عبده عشان القعدة شكلها مطوله.
- آه إذن هذا ليس الآخر المدعو سعيد.. الجلسة في المشرحة سوف تفجر رأسي من الخيالات!!
- سوبر يا دكتور!!
- أنا موظف حكومة يا سيادة الرائد.. وفي يوم هقعدي في البيت واخذ معاش يا دوب يكفيني سبارس يبقى اعوذ نفسي من دلوقتي ليه؟
- ثم أشعل آخر لفافة تبغ، وكوّر العلبه الورقية وألقاها فوق الطاولة
- وبعدين السوبر سيجارة معمرة مع الوقت بتتحول إلى فرد من أفراد العيلة.. ويا سيدي ما كله بيحرق الصدر.
- قاطعًا كلماته التي تحمل بين طياتها الأسى على معاش قد اقترب.. رن هاتفه المحمول طالبًا مني إنقاذه من تلك الملحة التي تتصل للمرة السادسة.
- إيه يا ولاء في إيه؟
- أنت ما بتردش ليه يا نيلة.. رئيس التحرير..
- قالب عليا الجرنان من صباحية ربنا.. غيره يا ولاء؛ غيره.
- إنت فين؟ إخلص..
- ورايا مشوار.
- مشوار!!!! العدد الأسبوعي ما دخلش المطبعة لسه، وهنروح في داهية كلنا، وأنت بتسرمح وتقوللي مشوار!!

ابتعدت إلى طرف الغرفة، وأطرت برأسي محدقًا في يد مبتورة فوق إحدى الطاولات، اسودت أظافرها خافضًا صوتي لأقصى ما تستطيع حنجرتي البالية.

- طز في العدد الأسبوعي.. قولي لرئيس التحرير إن أنا في أيدي موضوع خطير هيقلب الدنيا.. قولي إني بحقق في سلسلة جرائم لسفاح بيقتل الستات الحوامل في بولاق..

- قولته كده الأسبوع اللي فات والي قبله.

- خلاص يبقى قوليله إنه سفاح بيقتل الرضع.. مش الحوامل بيخلفوا برضه؟!

أطلقت ضحكة عالية رقيقة، ونعتني بلفظ بذيء على سبيل الدعابة كماداتها.. ثم أغلقت الخط..

التفت لأجد دكتور علام وعماد أمام إحدى طاولات الفحص فاقتربت مسترقًا السمع.

دكتور علام يتابع حوارًا كان قد بدأ وأنا على الهاتف.. اللعنة عليك يا رلاء وعلى رئيس التحرير:

- زي ما انت شايف يا سيادة الرائد.. الجروح كلها معمولة بزواية مستحيل الضحية نفسها تعملها لنفسها.. ده شيء أنا أكده بكل خبرتي في المجال.. غير أن عضلات إيدها زي ما انت شايف مش لينة لدرجة إنها تعمل جرح قطعي بالطول ده في رقبتها من وراء.. وبعدين الولاد في المعمل الجنائي ما لقوش آلة حادة واحدة مع الجثة.. غير إني ما اعرفش آلة حادة تعمل جرح بالشكل ده غير مبرد الظوافر، ومبرد الظوافر ما يقتلش.. الجروح دي كانت جروح

تعذيب للبننت عشان تفضل تنزف زي الدبيحة لأنه عارف إن عندها متلازمة لويس بار وأي جرح ممكن يسبب نزيف.. ولما زهق منها راح عامل الجرح اللي في الرقبة ده عشان يخلص عليها فوراً.. بس جرح الكعب بقه..

- كمل يا دكتور أنا معاك.. ماله جرح الكعب؟

- جرح الكعب غائر شوية.. لو ما كانش نظري ضعف للدرجة دي.. الجرح ده معمول بآلة حادة قطعت وتر أكيلس.. بس ليه؟!.. دي محتاجة شوية بحث.. بيتهايا لي ممكن يعملوا صورة ثري دي عندكم في البحث الجنائي.

راح عماد يكتب رسالة على هاتفه المحمول بنصف اهتمام وقال:

- والجثة بتاعت لعيب الكورة؟

- العنكبوت اللي اسمه الأرملة السوداء بيعيش في القرى والبيئات الزراعية والاستوائية.. هو لدغه.. آه بس مع البنية العضلية والجسدية للولد ده؛ يبقى احنا قدام احتمالين: الاحتمال الأول إن العنكبوت لدغه لدغتين والولد نايم مثلاً فا جاله تسمم ومحدث لحقه ومات.. والاحتمال الثاني إن اللدغة الصغيرة اللي في الرقبة با كانتش لدغة عنكبوت..

- إزاي يا دكتور هي مش شبه نفس اللدغة اللي في الفخذ؟

- أنا مش خبير في العناكب يا عماد باشا.. بس اللي اعرفه إن اللدغتين مش متشابهتين.. في شوية اختلافات بسيطة بينهم.. اللدغة اللي في الرقبة أصفر حجماً وأكثر عمقاً، وتجلط الدم تحتها مش زي اللي تحت أختها في الفخذ.. أنا عايز العنكبوت أو عايز حد من أساتذة كلية علوم يدبنا رأي نهائي.

رفعت رأسي نحو المحمول في يد عماد.. إنه يسجل ملاحظات وأنا الذي
نأظنه يرسل صديقه الغاضبة دومًا من انشغاله في العمل.. يبدو أنه..
بالنسبة بـقه لأخينا اللي وقع من الدور الرابع.. الشاب ده ما رماش
نفسه.. بس أرجح بـقه إن توازنه اختل ووقع.
إزاي يا دكتور.. معلىش..

لما فحست جنب رجله.. لقيت شوية بواقى أسمنت ناشف وغبار
جبس.. يعني رجله اتحككت في حافة السطح قبل ما يقع.. لو رمى
نفسه ماكانش الأثر ده يبقى موجود.. لو حد شاله ورماه برضه الأثر
ده ماكانش يبقى موجود.. طبعًا ده تخمين.. لكن أعتقد بخبرتي كده
إن الولد ده كان مش في وعيه وهو ماشي فوق السطح.. حد أجبره
أو ضلله وخلاه يعمل كده.

قصداك يعني حد هدهه بسلاح يا دكتور؟
يا أستاذ أكرم أنا مش منجم.. أنا طبيب شرعي.. بس في رأيي إنه
كان.. ثواني كده...

ثم رفع ذراع الفتى نحونا وأشار إلى ثقب صغير في باطن الكوع
ده مكان حقن.. ممكن يكون الولد ده محقون بحاجة ما حولته
لكائن معدوم الإرادة.. أو ممكن يكون أضاف المورفين أو الماكس
كونفورت لقائمة الإدمان بتاعته جنب الحشيش.. بالمناسبة إيه سر
الاهتمام الحكومي الفظيع بالأخ ده.. اسمه علاء مسعود البلطيمي
زي ما الأوراق بتقول.. هو ابن مين بـقه في مصر عشان الدوشة دي
كلها؟

نظر لي عماد نظرة ذات مغزى، ثم ابتسم قائلاً:

- أنت ما بتقراش جرايد يا دكتور؟!
- غالبًا لا.. صفحة الوفيات يوميًا والباقي كل لما افضى
- الوفيات!!
- أنا راجل ملول وما بحبش التكرار.. الوفيات بس هي اللي بتراعي الملل ده، وبتديني عناوين متجددة يوميًا.. كل الجرايد بتكتب نفس الأخبار.. قلق في العراق.. تفجير في لبنان.. زوجة تقتل زوجها.. راجل بيقتل أخته شكًا في سلوكها.. الأهل بيأخذ الدوري.. كلها عناوين قديمة.
- ثم خلع منظاره الطبي، وقادنا نحو الطاولة مشعلًا لفافة تبغ من علبة سوبر متفخة.. متى جاء ذلك التومرجي بالقهوة التي بردت والتبغ.
- حلوة القهوة دي.. محدش أجاب سؤالي لغاية دلوقتي.. ابن مين في مصر علاء ده؟!!
- نظر لي عماد من جديد فاقلت شارحًا:
- علاء مسعود البلطيمي يا دكتور هو ابن رئيس حزب الحق السلفي.. وهو برضه أصغر متحدث رسمي لحزب سياسي في التاريخ السياسي المصري.
- سلفي وحشيش!! any way.. وده يعمل فرق يعني في قضيته عن بقية القواضي.
- ضغط عماد على أعصابه قليلًا محاولًا التوضيح:
- يعني يا أستاذنا العزيز إن كل الصحف والقنوات والمواقع الإلكترونية الممولة للحزب هتتهمنا صباحًا بالتقصير والإهمال وعدم أداء دورنا الأمني والإداري والقومي إذا ما جبناش لهم تفاصيل الجريمة، وإن كان في قاتل

فلا بد أن القاتل وابن خالته وابن عمته يقفوا قدام المحاكمة بسرعة.

- غريبة أوي.. ألا ما شفنا السرعة الخارقة دي في الغلابة اللي ماتوا بقلب ميت في أيام الثورة كلها.. ده أنا كنت بتحايل على الناس عشان ياخدوا مني تقارير التشريح، وكل اللي كنت بلاقيه الطناش.. وفي الآخر لما كنت اقول لرئيس الهيئة إني عايز امشي عشان أنا ما بحبش حد يطنشني، وما دام شغلي مالوش لازمة يبقى أقعد في بيتي احسن.. يقولي سلمناها للجنة تقصي الحقائق.. واللجنة بتدرس كويس عشان تقدم التقرير.. وادينا مستنين التقرير.

- يدينا ويديك طولة العمر يا دكتور..

كانت هذه مني أنا وليس من عماد.. الحقيقة أن علاقة المصريين مع الشرطة تغيرت تمامًا بعد الثورة.. فأصبح الشرطي دائمًا متهمًا بالإهمال والتقصير والتخاذل والميل إلى أطراف عن أطراف والحقيقة أن جزءًا كبيرًا من هذه الاتهامات صحيحة.. حتى أن ضابط مباحث نقى وشريف مثل عماد يستحق تمثالًا في مدخل مديرية الأمن!!

مد عماد يده بصافح الدكتور علام.. قائلًا في هدوء:

- أشكرك يا دكتور علام.. أنا منتظر تقريرك النهائي بفارغ الصبر.

- إن شاء الله يا سعادة الرائد.. أوعدك إني أسرع فيه على قدمي.. ومش عشان خاطر ابن مسعود البلطيمي.. بس في حاجة كده.. الأولاد قالولي إنهم لقوها مع كل الجثث.. أتكلم ولا..

- الأستاذ أكرم وعد بكتمان السر وإن اللي شافه مش للنشر.. مش كده؟

رسمت على وجهي ابتسامة ساذجة - صفراء نوعًا - بينما أحضر الدكتور

علام كينًا بلاستيكيًا صغيرًا به كيب قديم نوعًا في حجم روايات الجيب
ورفعه نحو عماد متابعًا:

- ممكن حضرتك تقولي ليه كل الجثث معاها الكتاب الغريب ده؟؟
- ده يا دكتور أكيد كتاب (لر انتحر ولكني قتلت) أو (كيف تكشف
سر انتحاري).
- أطلق عماد ضحكة ساخرة قصيرة، بينما حدجني دكتور علام بتلك
النظرة الرمادية الباردة، وقال ضاغظًا كل تشكيل حروف كلماته:
- لا يا أستاذ لطيف.. الكتاب اسمه (الرهاب).. (الرهاب) يا أستاذ
أكرم.



حاشية لا بد منها

العام ١٩٧٠ كان عالمًا صاحبًا بحق...

أصوات تخليق المقاتلات.. القصف.. الحرب

الطائرات المصرية تقصف جزيرة شدوان.. الطائرات الإسرائيلية
تردّ بقصف مدرسة أطفال في بحر البقر.. مبادرة روجرز.. الأردنيون
والفلسطينيون يتقاتلون فيما عرف بحرب أيلول الأسود.. جمال عبد الناصر
سيلقى ربه في خريف ذلك العام..

كل هذا الصخب ليس له أي علاقة تذكر بـ "عمر جمعة" ..

شاب في مستقبل عمره.. في الخامسة والعشرين لو شئت الدقة.. وحيد
أبيه؛ الموظف بشركة الكهرباء - وهو ما أبعده عن الجيش على عكس

أبناء جيله - متخرج من كلية الآداب .. يقطن مع أبيه الأرمل منذ عشر سنوات، في ذلك الشارع الهادئ من حي مصر الجديدة الهادئ - في تلك الأيام بالطبع - ..

كما ترى .. شاب عادي كغيره من الشباب .. يهف قلبه لصوت عبد الحليم .. يدخن سجائر بلمونت - رمز مصر في ذلك الوقت لأن عبد الناصر كان يدخنها - .. يحب سناء ابنة جاره الأستاذ موافي .. لا شيء في حياته يطفو على السطح ليؤثر على سريان نهره الرقراق .. فقط عندما جاء ذلك اليوم ..

كان عائداً من المقهى ليلاً .. المقهى الذي كان ملتقى كل مثقف ومتحضر .. المقهى الذي كان برلماناً وصالوناً أدبياً ومركز شباب - في تلك الأيام العاصفة

كان عائداً في سيارة صديقه محمود .. محمود ابن الضابط السابق في البوليس المصري، والذي يملك سيارة من طراز نصر لا يمكنها إلا عالية القوم .. يقصد ذلك الشارع الهادئ الذي تقبع فيه البناية حيث يكن مع أبيه الأرمل ..

توقف محمود بالسيارة في صمت .. ونظر إلى صديقه بعين لا ترى.
- تعرف يا عمر؟

- لا ما اعرفش ومش عايز اعرف .. أنت ياد مالك بقيت خرع كده ليه .. إنت مش رايع جهنم يا محمود .. إنت رايع تدافع عن بلدك .. طب والله لولا إن أبويا راجل وحيد ومفיש حد يراعيه غيري كنت سبتك هنا ورحت أنا مكانك الجبهة.

- خلاص يا جدع ما كانوش كلمتين.

- حد هيوصلك بكرة ولا اصحى بلدي واجي معاك؟
- ميادة القائمقام مصمم يوصلني بنفسه بكرة.. وانا مش عايز ازعله.
- تروح وتيجي بالسلامة يا صاحبي..
- ثم منح صديقه ابتسامة مشجعة.. وربت على كتفه تاركًا إياه ومرتجلًا من السيارة..
- لر ينظر خلفه أبدًا.. الواقع أن عمر يحب محمود كشقيقه.. أبوه عزف عن الزواج بعد وفاة المرحومة أمه.. فلم يمنحه من يشعر تجاهه بذلك الشعور.. إذن فلتبحث عن شقيق يا عمر.. ومن غير محمود يصلح أن يكون كذلك..
- راح يمشي الهوينا إلى باب البناية الحديدي.. يمشي على الرصيف فقط لأنه هاب السيارات المسرعة حتى ولو كانت الساعة تندو من منتصف الليل.. هو لا يحب السيارات ولا يحب المرور أمامها.. فقط ليتشر فيا اصطلمت به قدماه..
- كان كتيًا صغيرًا.. كتيًا في حجم (ميكي جيب) لو أردت تقرب الصورة.. وتبدو عليه مظاهر القدم.. كتاب صدى لو جاز التعبير..
- هل برئ عمر كتابًا ملقى على الأرض بدون أن يعرف ماهيته؟؟..
- مستحيل يا صديقي.. إذن فأنت حديث العهد بذلك الشاب.. عمر دودة قراءة لو أردنا أن نصف علاقته بالكتب.. لن يصبر حتى يصعد ويفلق عليه غرفته ليعرف ماذا يكون..
- يلقي تحية المساء على أبيه الذي جلس يستمع لآخر أخبار مبادرة روجرز.. يبدو أن عبد الناصر سيقبلها.. لكن أباه مصر على أن الحرب لم تنته بعد.. فقط عبد الناصر يلتقط أنفاسه.. لا أكثر ولا أقل..
- يفلق باب غرفته ويده كوب الشاي الثقيل الذي يفضل.. يتناول

الكتيب الذي أدرك أنه - حتى الآن - لا يعرف عنوانه على الأقل.. كتاب قديم جدًا.. نوعية الورق حتى تختلف عن ورق الكتب المصقول الذي كان يميز كتب الستينات والسبعينات.. إنه ورق قديم مهترئ الأطراف.. وهذا ما يمنحه سحرًا لا يقاوم بالنسبة لشخص كعمر..

مجموعة قصصية لمؤلف يدعى إبراهيم صفوت.. قصص!!.. ومن ذلك الوغد رائق البال الذي يكتب مجموعة قصصية في مائتي صفحة بهذا الحجم الصغير!! إن نجيب محفوظ نفسه لا يجسر على ذلك، فما بالك بهذا ال إبراهيم صفوت.. اسم غريب نوعًا.. ولكن منذ متى كانت هذه هي المشكلة بالنسبة لعمر..

مجموعة قصصية!!.. الرهاب - بضم الراء -.. ماذا يعني.. أخرج معجبًا صغيرًا، وراح يبحث عن أصل الكلمة.. الرهاب هو الخوف العميق غير المبرر بأساس.. هو يذكر حين كان يقرأ في أحد كتب (يانج) أن الخوف من أشياء ما غير مبرر الخوف منها تكون لدى الإنسان من اللاوعي الجمعي، وانتقل لنا بدرجات ما وبتفاوت.. لكنه لم يقتنع كثيرًا.. لو سألت يانج عن سبب المفص الذي يتأبك بعد أكلة كشري لقال لك بملء فمه (إنه تكوين من اللاوعي الجمعي لجذك العشرين الذي كان يصاب بالمفص من الكشري).

الحقيقة أن ذلك الوغد أجاد اختيار اسم مجموعته.. هو اسم يشير الفضول والتوجس والإثارة والتشويق معًا..

راح يقلب صفحات الكتاب باستمتاع.. الخط مطبوع بطريقة البالوطة القديمة والشهيرة.. فقط حينما وصل إلى تلك الصفحة.. أدرك أنها الثانية صباحًا..

أربع ساعات من القراءة المتواصلة.. الحقيقة أن الرجل موهوب بلا شك يا عمر.. لقد جعلك تغلب على عاداتك السيئة في كشف كل أغراض وأهداف أي قصص تقرأها.. أنت لا تعرف ماذا يريد حتى الآن.. فقط هي مجموعة لطيفة من جرائم السرقة والقتل والانتحار، وتحمل أسماء غريبة لأناس يخافون من أشياء غريبة لا تبعث على الخوف..

مثلاً.. هذه القصة تتحدث عن رجل يعيش وحيداً مع ابنه الشاب.. في بناء هادئة في شارع هادئ في مصر الجديدة.. ذلك الرجل الذي أوى إلى فراشه في الثانية عشرة بعد منتصف الليل تاركاً ابنه الشاب يقرأ في غرفته حتى الثانية صباحاً.. فقط ليصحو قبل دقة ساعات الثانية صباحاً.. إنها المائة الممتلئة.. ليجد مفاجأة غير سارة أمام حجرة نومه.. ولتكون دقات الساعة الثانية هي آخر ما يسمعه في حياته الطويلة..

ولكن يا عمر.. لماذا بهت واصفر وجهك حتى صار كلون صفحات الكتاب!!؟

لماذا يبدو لك الأمر مألوفاً أكثر من اللازم!!؟

لماذا مع دقة الساعة العتيقة المعلقة على الحائط في غرفة الصالون تسمع صوت ذلك الارتطام وكأنها جسد عجوز مرهق ممتلئ المائة يسقط محدثاً كل هذا الدوي!!؟

يبدو أن خيالك قد لعب لعبته بك يا عمر..

* * *

تنعي أسرة الفيومي وأبو كارم فقيدهم الأب والخال والعم البار جمعة الفيومي الموظف بالمعاش، وتسأل الله العزيز القدير أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته.

* * *

جزء من تقرير طبي لاستخراج شهادات وفاة

الاسم: جمعة عبد التواب الفيومي

السن: ٦٣ عامًا

سبب الوفاة: أزمة قلبية

* * *

(٥)

مديرية الأمن.. السابعة صباحًا

ربما لا توافقني الرأي.. لكنني أجد الاسم مثيرًا للفضول نوعًا.. خاصة مع الغلاف الجلودى ذي الطباعة الغائرة.. واسم مؤلفه الذي طبع - وبيا للغرابة - بحجم خط يماثل حجم عنوان الكتاب!! إبراهيم صفوت.. ومن هذا إبراهيم صفوت وما هو وزنه في الأدب؟؟ هو ليس محفوظ ولا إدريس ولا إحسان.. هو ليس المنسي قنديل ولا إبراهيم أصلان حتى!!

صفحات مهترئة توحى بقديم.. لا رقم إيداع ولا رقم تسجيل.. لا دار نشر.. ربما طبع هذا الكتاب داخل زقاق مظلم رطب.. ربما كانت هذه هي الطبعة الوحيدة.. ربما طبع بطريقة البالوطة القديمة.. حيث الأحرف المحفورة في الورق.. ووصلات الباء والتاء المقطوعة قطعًا.. وحيث الطبعة الواحدة تقتضي أسبوعًا!! ولكن لماذا هذا الحجم الصغير؟؟! لم تكن من عادات الأربعينات والخمسينات والستينات طبع كيبات بهذا

الحجم ١١ قبل أن تظهر تراجم الأدب الروسي الشهيرة وكتابات دار الهلال وروزاليوسف..

ثم إن الكتاب مهترئ بشكل مبالغ فيه.. ورائحته تشبه رائحة شراعة باب بيت جدي في القلعة.. كتاب صديئ لو كان لي أن أقول ذلك.. ١١
كنت جالسًا أراقب الكتاب وأقلب في صفحاته في حجرة مكتب عماد بمديرية الأمن حينما اقتحم عماد الغرفة اقتحامًا..

- أنت تور يا جدع!! في أوروبا والدول المتقدمة يخبطوا عالباب الأول.

- ابقى حط يافطة عدم الإزعاج على الباب يا روح امك.. إحنا في مديرية الأمن مش في الإنترنت كوتنينيتال.. وبعدين ده مكتبي يا بني آدم.. إنت قلة النوم لحست غحك!!

نظرت نحوه في عدم إدراك وخدر لذيذ يغزو عقلي ويتركه في سبات محب.

- أنا بقالي يومين ما نمش.. يا دوب بقه أقوم اروح انام لي ساعتين واشوف العدد الأسبوعي بدل ما رئيس التحرير يرمني في الشارع.

- تروح فين.. احنا هنفطر سوا بابا.. وبعدين هو صلك بعريتي.. الواد بتاع الفول اللي في شارع بورسعيد بيعمل شوية فول بالزيت الحار يستاهلوا بقلك.. ولا كلمة زيادة..

ثم وقف أمام تلك النافذة موليني ظهره.. حتى اقتحم علي الضابط الصغير المكافح - المكتب هو الآخر.

- عماد باشا.. وصلت المعلومات من الأحوال المدنية.. معايا يا باشا؟
- معاك يا علي كمل..

ألقى بنظرة متشككة علي فمحته ابتسامة ماذجة، ثم تابع:

- السجل المدني يقول إن في عدد مش بطلال من اللي اسمهم إبراهيم صفوت، سواء ثنائي أو ثلاثي ينتهي بصفوت أو رباعي ينتهي بصفوت.. حوالي متين وخمسين ألف مواطن.. عشر تلاف منهم فوق سن الستين.. ألفين من العشرة عناوينهم جوه القاهرة الكبرى.. ده غير اللي معندهم رقم قومي وساقطين القيد واللي بطايقهم على عناوين برة القاهرة.

- ودول كام كمان؟

- حوالي عشرين ألف تانيين.

- جميل أوي.. والمتوفين منهم قد إيه.

- تلمية وخمسين جوه القاهرة بس.

- حلو أوي يعني محتاجين خمس سنين بالميت عشان نتحرى عنهم، ويطلع حد منهم له علاقة بالكتاب أو بالجثث..

ثم زفر في إحباط وتابع:

- والكتاب.. وصل لإيدين المجني عليهم إزاي؟

- محدش عارف حاجة مؤكدة يا عماد باشا.. أم البنت عندها انهيار عصبي واخوها الكبير يقول إن اخته عمرها ما حبت القراءة.. أهل لعب الكورة الريفي بيأكدوا إن ابنهم عمره ما قرا جرنان وإنه ييفك الخط بالعافية.. آه بالمناسبة؛ أهل علاء البلطيمي برة.. تعليقات سعادتك.

- دخلهم الأوضة اللي جنبني واعمل الواجب معاهم بزيادة شويتين.. وانا جاي اتكلم معاهم كلمتين.. إحنا مش ناقصين مشاكل مع

البلطيمي وحزبه كمان.. آه وابعت بيومي يجيب فطار من عند الواد
بتاع الفول اللي على ناصية حسن الأكبر..

انصرف الضابط الشاب مسرعًا.. أخرجت علبة التبغ وغليني الأثير -
أعشق تدخين الغليون فهو يعطي مظهرًا يليق بالعباقرة - فقط لاكتشف أن
التبغ نفذ.. يوم رائع وعظيم.. طبعًا لو طلبت من عماد أن يأمر أحد عساكره
ليحضر لي علبة تبغ لألقى بي من نافذة مكتبه.. إذن فلا تدخين اليوم..

زفرت في ضيق.. الحقيقة أن هذه الأيام أصبحت روح المرء فينا على
طرف أنفه.. ثم إن الحرّ خائق نوعًا.. والرطوبة لا تطاق كأننا نعيش في قلب
الماء.. السنا في مايو ١٩! أتذكر عندما كنت في الجامعة أن أيام مايو كانت
لطيفة مشمسة ولا ينفصها سوى اقتراب الامتحانات.. ثم لماذا دائمًا يقوم
هؤلاء الأوغاد بجرائمهم في أيام صيفية رطبة ١٩٩٩!

- البصمات..

- اشمعني. ٢٢

- أنت هتخشي قافية يا جدع انت.. متسجلة عندكم؟

- يعني هي لو متسجلة عندنا كنا هنقعد نشرب قهوة ونرغي يا أكرم..
وحياة امك هي مش ناقصاك انت كمان، إنت وملاحظاتك النيهة..
هلاقيها منك ولا من مساعد الوزير ولا من الولاة اللي قرفاني في
عيشتي.

ثم حاول من جديد إشعال لفافة تبغ.. فلما لم تستجب القداحة للمساته
المتكررة ألقى بها فوق ذلك الكتيب، فأصدرت صوتًا مكتومًا.. لا أدري
لماذا توقف فجأة.. ونظر نحو الكتاب قاطبًا حاجبيه حتى ظننته سيصارع
الكتاب، ثم قال:

- أكرم..

- خير!!

- معاك مطوة أو قصافة؟

- وهشيل مطوة ليه.. هو انا مش شرط ولا ههجم يابا!!

أشار لي كي أصمت.. ثم مد يده في درج مكتبه وهو يراقب الكتاب بعينه وأخرج مدية صغيرة تشبه مدية قاصفة الأظافر.. وراح يعبث بها في الجانب الداخلي من الغلاف فتقدمت نحوه مندهشاً.. نعم هناك جزء ما يبدو كفراغ مجوف خلف هذا الغلاف السميكة.. كيف لم ألحظ ذلك وأنا أقلب الكتاب في يدي منذ ساعة.. أخذت المدية من يده، ورحت أمر ببطء شديد على ذلك الفاصل الورقي.. حتى تكشفت تلك المسافة الصغيرة بين جانبي الغلاف السميكة.

- علي.. أيوه أنا عماد.. ابعتلي التهامي بسرعة.. فوراً يا علي..

ثم وضع سماعة الهاتف، وراح يحدق الكتاب بنظرات قلقة حاول إخفاءها خلف قناعه الشرطي الجامد.

- عماد.. هو مين التهامي ده؟

- هتعرف لما ييجي.. ما تشوفي ولاعة بدل ما انت واقف كده.

لم تكده عبارته تتم خروج أحرفها من فمه حتى سمعنا صوت طرقات مكتوم، ودخل إلى الغرفة رجل نحيف يرتدي نظارات طيبة سميكة.. أخرج من حقيبته في يده ذلك الملقاط الصغير، وراح يعبث به في تلك المسافة ليخرج تلك الورقة المطوية الصغير.. ورفعها أمام عيوننا المنتصرة..

- ها يا سيادة الرائد.. افتحها.

- بسرعة وبحرص أرجوك.

لم أكن أعرف كيف تجتمع السرعة بالحرص هنا.. لكن الرجل فض الورقة بسرعة وبحرص شديد.. ثم وضعها مفرودة داخل كيس بلاستيكي شفاف وناولها لعماد.. دون أن يفكر حتى في إلقاء نظرة.. وانصرف مسرعاً..

عماد يحملق في الورقة.. فاقترب منه متسائلاً فقط ليمد يده بها إلى

ورقة قديمة لكن حالتها ممتازة.. عليها كلمات كتبت بخط أنيق منمق.. وقلم حبر من الذي يستخدمونه مصحوباً بدواية حبر.. وبقعة بفعل الحبر الزائد في طرف الورقة.

رحت أقرأ بصوت مسموع محتويات تلك الورقة:

أنت يا من سوف تجد هذه الورقة.. احرق هذا الكتاب اللعين فهو ما وطئ مكاناً إلا حل الخراب معه.. واحذر أن تقرأ كلماته في ليلك الأسود منفرداً.. وتذكر أنني حذرتك وأنذرتك.. والله من وراء القصد، أو هكذا أزعم.. المخلص التعس.. عمر جمعة".

رفعت رأسي نحو عماد لأجد حاجبيه لا زالاً منعقدين.. حتى ظننت أنها لن يتخليا عن وضعهما.. وقلت مستفسراً:

- أنت فاهم حاجة من الكلام ده؟؟

- اللي فهمته إنه كلام واد اهيل بتاع تخاريف.. وشغل كتب ملعونة والجو الرخيص ده.

- أو ممكن تكون رسالة تمسكنا طرف خيط مهم.

- خيط إيه ونيلة إيه.. ناقص تقولي تعالى نحرق الكتاب، ونرقص حواليه، يمكن اللعنة تروح والناس تبطل تتقنل..

ثم تناول عماد طبنجته الميري، ووضعها تحت إبطه وارتنى سترته قائلاً:

- بقولك إيه.. أنا هخس اخلص تحقيق مع آل البلطيمي عشان زمانهم
خللوا من القعدة في المكتب، واعدى على رئيس المباحث، وبعدين
نروح مشوار سوا.

- مشوار إيه يا جدع انت.. بقولك بقالي يومين صاحي وورايا عدد
أسبوعي ورئيس تحرير وتقوللي مشوارااا.. بص أنا هقوم امشي والله
الغني عن التوصيلة.. وكمان مش عايز فطار..

فتح الباب ورفع عقيرته منادياً:

- بيومي

- أوامر معاليك.

- جيت الفطار؟

- بيتوضب جنابك..

- طيب حلو أوي.. هنروح لحد علي باشا وتقول له يستعجل تقارير
الأحراز بتاعت القضية.. ونجيب لأكرم باشا قهوة لحد ما الفطار
يجهز.. آه.. أكرم باشا ضيفي ومش عايزه يتحرك من المكتب
خطرة.. وحياة امي يا بيومي لأحولك لمحاكمة عسكرية لو خرج
برة باب الأوضة..

- أوامرك يا عماد باشا.

حاولت أن أعترض فنظر لي نظرة كادت تثقب رقبتني وتردني قتيلاً..
ثم صفق الباب خلفه في عنف، وأغلق المكتب بالمفتاح..

إذا كان هذا هو حق الصداقة.. فلتذهب الصداقة وحقها وعماد إلى
الجحيم معاً.. لراهم منذ يومين يا كفرة.. حسي الله ونعم الوكيل.

رحت أتسلى بقراءة مجلة الشرطة وصنع المراكب والضفادع من تلك

الأوراق البيضاء التي اعتاد عماد أن يشخبط فيها وهو يحقق مع أرباب
السوابق متظاهراً أنه يسجل ملاحظاته.. ثم رحت أراقب الكتاب الصدى
الشبه بمقاعد أتوبيس النقل العام..

طرقات مكتومة جديدة.. ثم ذلك الوحش الكاسر بيومي يدخل ومعه
القهوة فأخرجت لفافة تبغ الغليون الورقية وقلت:

- ممكن خدمة ثانية يا بيومي؟!

- أوامر جنابك.

- ممكن علبة زي دي بالضبط.. لو في أي بتزينة أون ذارن قريبة
هتلاقها.

- بتزينة إيه يا باشا؟؟!!

- ما تشغلش دماغك.. شوف أي حد قريب وهات واحدة زي دي
بالضبط.

تناول اللفافة مني ووقف مبتسماً في بلاهة.. فكورت عشرين جنيها
ودسستها في جيب قميصه.

- خللي يا باشا خيرك سابق.

وكانه يعرفني منذ سنين!!

- لا ولا يهملك المرة الجاية.. بس بسرعة وحياة والدك.

خرج من الباب وأغلقه خلفه بالفتاح.. يبدو أن عماد لا يمزح عادة
مع مرؤوسيه حتى أن ذلك الغوريلا حبسني في الغرفة حتى لا أتحرك من
مكاني!!!

جلست أقلب الكتاب في يدي.. مستقرّ فعلاً هذا الكتاب.. عندما أقلب

الصفحات تستفزني لقراءتها، ولكني لا أحب القراءة وأنا لا أقدر على فتح عيني.. ثم أي شيء يغريني في قراءة كتاب مثل هذا؛ يتصف مؤلفه بغرور شديد، لدرجة أن يكتب اسمه بهذا البظ العريض، وكأن الكتاب يدعى إبراهيم صفوت وليس الرهاب!!

لنر ماذا كتب هذا الأستاذ إبراهيم صفوت..

هناك قصة تدعى (إلى العمق)..

اسم مسطح يشبه أسماء برامج قناة الجزيرة الإخبارية..

"راح سمير يقترب من سطح الماء الرقراق محاذراً أن تنزل قدماه فيقط على وجهه في صفحة الماء الواسعة.. إنه يحتاج أن يعرف السر.. ولولا هذا لما اقترب من صفحة ماء في حياته، إنه لا يقرب الحمام في آخر الحارة، ويفضل الاستحمام بذلك الكوز وداخل الطشت الخاوي.. ثم"

ثم فتح الباب...

- يا عماد حرام على امك!! أنا مش شايف قدامي.. والعدد الأسبوعي فاضله...

فقط لأجده يقتادني من ذراعي وكأني مقبوض علي.. وأهمل تماماً كل توسلاتي أن يتركني وشأني.. حتى وجدت نفسي جالساً في سيارته.. فقلت متبرماً:

- على فين يا سيادة المعاون؟

- المعادي.

- هتهب إيه في المعادي؟!!

- هنزور بيت البنت اللي اسمها أمل.. عايز اعمل شوية تحريات كده وعمايزك معايا.

ثم أدار السيارة وانطلق بها في حِدة، فكاد يصدم شابًا على دراجة نارية صينية ويلقي به فوق الرصيف هو ودراجته.

- طيب أنا كنت مدي بيومي عشرين جنيه عشان يجيبلي تبغ للبائب.

- مش مشكلة هجيلك تبغ دلوقتي.

- والعشرين جنيه يا عم..؟؟

- كلك عشرينات يا كيمو.. جت يعني على دي.

ثم قبض على المقود وأداره يمينًا في حِدة ناحية نفق الأزهر متابعًا:

- وبعدين أنا عايز اشوف المكان اللي هي عايشة فيه وبعدين.. ملعون

أبو اللي علمك السواقة.. لازم اشوف موضوع الواد لعيب الكورة ده..

- طب قابل بقه نفق الأزهر وجماله..

فقط لنجد النفق قد تحول إلى علبة تونة محفوظة قطعة واحدة ممتازة.. لا يوجد خرم إبرة لسيارة فيه..

- لقد وقعنا في الفخ باين.

- من أعمالكم يا حضرة الرائد.

- بطل بقه شغل النسوان الحمضان ده.. وبعدين انت بتهيب إيه في الموبايل.

- بحاول اخش عالنت بس الشبكة معاندة معايا عشان دخلنا النفق.

- وتمعمل إيه بالنت.. هتلعب المزرعة السعيدة ١١؟

أدريت وجهي نحوه مبتسمًا:

- لا ما تشغلش دماغك.. أنا بس بسأل الأخ جوجل على اخونا إبراهيم صفوت وكتابه.

- بلا جوجل بلا ياهو.. أنا هخلص مشوار البت ده ونعدي على الأزيكية نسأل على... اتحرك يا بني آدم النفق فتح بقه.. إحنا كنا بنقول إيه.. يا ابن ال.. ده أنا هطلع ميتين أهلك.

الآخيرة كانت لأحد سائقي التاكسي البارعين.. والذي تذكر فجأة أنه لا بد من الوقوف احتراماً للطريق ليصطدم بسيارة عماد.. ووجدت عماد في قارعة الطريق يهدد سائق التاكسي النحيل بالويل والثبور وعظائم الأمور.. يبدو أنه لن يتركه إلا جثة هامة..

وهنا فقط.. في بحر شرودي تذكرت شيئاً هاماً.. هاماً للغاية



حاشية لا بد منها

العام ١٩٨٥ كان عامًا حزينًا يا مدام ميرفت..

على صوت محمد منير الدافئ القوي تتلاعب بك الشجون والأحزان.. وهو يغني يا زمني اضحكلي.. تمنين أن يضحك لك زمانك ولو مرة واحدة..

فقدت أبويك في حادثة سيارة صعبة.. فقدت ابنك الوحيد عندما صلمته سيارة نقل يقودها سائق متهور.. كعادة كل سائقي النقل.. ثم أخيراً فقدت زوجك المحب العطوف البار..

كان ذلك في ليلة صيف حارة.. عاد زوجك إلى المنزل حاملاً ذلك

الكتيب الصغير المهرئ - صغير كأعداد ميكي جيب لو شئت الدقة - لماذا
جال برأسك تعبير ضحكك له زوجك حتى دمت عيناه.. كتاب صدى..
هكذا وصفت ذلك الكتاب..

رحلت تساءلين عن مصدر ذلك الكتاب الغريب..

- ده كان في حاجة؛ صاحبي اللي اتوفى من كام؛ يوم الله يرحمه.. الله
يرحمه، ما سابش للعنينا غير كام كتاب ونظارة قراية ومحفظة فاضية..
فقري طول عمره.

- الكتاب ده شكله مش مريحني أصلاً.. مقبض كده وكتيب.

- ده عشان أنتي كتكوتة نونو ما بتحيش القراءة

تذكرين كيف كان يصفك بالطفلة.. طفلة في الخمسين من عمرها
نعيش وحيدة بلا سند في حياتها..

تذكرين يا مدام ميرفت كيف تزوجتها.. زوجك محمود.. الشاب
العابث الذي تركت الحرب فيه أثراً لا يخفى.. كيف جاءك في ليلة حارة من
صيف أغسطس عام ١٩٧٣ بتصريح أجازة سريعة ليطلب يدك للزواج قبل
أن يذهب للجبهة من جديد.. كيف انطلقت تركضين في الشوارع فرحاً يوم
السادس من أكتوبر.. وكيف ذبت قلقاً يوم تأخرت عودته.. وكيف همت
جأ به عندما عاد ليكون لك للأبد..

تذكرين كيف دخل محمود إلى غرفة مكتبه في تلك الليلة.. كيف جلس
إلى المكتب كعادته وارتدى عوينات القراءة.. كيف أراح رأسه على كفه
وراح يقلب في صفحات الكتاب في فضول..

- الرُّهاب.. اسم مقبض كده.. وبعدين ليه الفذلكة ما كان سماه
الخوف ولا الرعب وريح نفسه.

- كتابه وهو حرفيه يا ميمي.
- ومين إبراهيم صفوت ده.. عمري ما سمعت عنه؟؟
- ولا أنا والله يا حبيتي.. يمكن كان مشهور في أيامه.. وكان بيحضر صالونات مي زيادة ولا بيناظر العقاد وإبراهيم ناجي.. بس الكتاب شكله حلو ويستاهل القراءة.
- والنبي انت اللي حلو
- طب ما تبجي تاخدي شوية حلاوة كده يا قطني
- ويحاول احتضانك بكلتا يديه فتمنعين في دلال
- يا راجل سييني اريح شوية من شغل البيت.. أنت إيه مش بني آدم فينظر لك في قسوة مصطنعة خائبة ويرفع حاجبه متابعًا
- أنا مش بني آدم يا قطة.. أنا عزيز
- دعابته المرحه.. ابتسامته العطوف.. قبلته الدافئة على وجنتك.. تلك القبله التي لم تختف من حياتكما حتى يوم اختلفتما.. يومها أوصلك لبيت أمك ثم طبعها على وجنتك - برغم أنه كان في قمة غضبه - يومها لم تتحملي ساعتين وعدت إلى بيتك بنفس ثيابك التي خرجت بها..
- كيف استيقظت فجأة في الرابعة صباحًا.. ورأيت الضوء لا يزال منبعثًا من حجرة المكتب..
- كيف دلفت على أطراف أصابعك لتجدي زوجك جالسًا على تلك الأريكة وعيناه مغمضتان..
- كان نائمًا كالأطفال - أو هكذا ظننت - ..
- لماذا قادتك فضولك إلى ذلك الكتيب المستلقي فاغرا صفحاته..؟؟

لماذا قرأت تلك الكلمات..؟؟

قصة بعنوان (أحمر)

رحبتِ نقرأين حتى أوقفتيك تلكم الكلمات

"فقط عندما نظر إلى الحائط أمامه.. كانت تستقر صورة له مع زوجته وطفله الوحيد يرتدي قميصه الأحمر الأثير.. لماذا لام نفسه على تركه بنجول بدرجاته أمام المنزل في ذلك اليوم المشؤم حتى تصدمه سيارة النقل الحمراء.. لماذا أحس بحنين غريب نحو طفله الوحيد.. اللون الأحمر يغشي فيه ويملكه ذعر لا ينتهي.. رعب جعله يغادر مقعده خلف المكتب.. ويستلقي على تلك الأريكة ويلقي بعويناته بإهمال على الطاولة حتى لا يرى الصورة التي تستقر على الحائط خلفه.. لماذا أغمض عيناه في استسلام.. حتى يبدو لك نائماً كالأطفال.. لكنه - مع الأسف - ليس نائماً أبداً.. لقد لحق بكل من مجبهم بأسرع مما دار بخياله."

لماذا رفعت رأسك بحركة حادة - تلقائية أكثر منها حادة - نحو زوجك الراقد كالأطفال على الأريكة؟

لماذا لم تنتهي من قبل إلى عويناته الملقاة في إهمال على الطاولة؟؟

لماذا صرختي بملء فمك يا مدام ميرفت؟؟

لماذا تذكرين الآن ذلك الكتاب الذي ورثه زوجك - نظرياً - من صديقه؟؟

و الأغرب من كل ذلك.. لماذا تذكرين الآن أن ذلك الصديق يدعى عمر جمعة؟؟!!!!



- الواد هيروح مننا زي الثاني وانتو قاعدين تنظروا هنا
- "ظلام بكر خال من الشوائب."

* * *

(٦)

جريدة (.....) التاسعة صباحًا

جالس في مكثبي بالجريدة أشرب القهوة الباردة - التي كانت ساخنة - وهي عادة محببة إلى نفسي.. القهوة تأتي ساخنة فأرشف منها رشفتين ثم أنساها حتى تبرد.. ثم أرشف رشفتين لتتحول إلى قهوة باردة لذينة ومحبة إلى نفسي.. لا نوم إذن ولا راحة.. سوف يتسرب خدر تلك المرحلة الجميلة من اللانوم لا صحو ثم ينتهي الأمر بصداغ فتاك يشطر رأسي إلى نصفين ويحولني إلى مومياء حية تمشي على قدمين..

عماد أطلق سراحني أخيرًا بعد أن رفض أهل الفتاة السماح لصحفي بدخول منزلهم.. لو أن الوضع يختلف لكنت أول المرحبين بهم في المنزل.. لكن الصحفيين هم أول المنبوذين في المصائب..!

ألقي نظرة على الطبعة الأولى للجريدة.. العدد الأسبوعي صدر أخيرًا وكأنه كان يتظرني حتى أضغ بصممتي عليه!! اسمي يتذيل مجلس التحرير

في الجريدة بوصفي مسئولاً الآن عن صفحات الحوادث.. عيناى تنهبان الكلمات بلا تركيز أو تشوق لفهم المكتوب.. خبر وفاة علاء البلطيمي ينزوي في ركن صفحة الحوادث بحروف أولى على غرار (ع.م) مع ترميز لوظيفة والده ووصفه بسياسي مشهور.. وصورة ضابط كبير يتعهد بكشف الغموض في أربع وعشرين ساعة.. أي غموض تعرفه يا سيادة اللواء فلان.. لا طالما كان الإخراج الفني في جريدتنا رديئاً.. رديئاً إلى حد لا يوصف.. لقد كتبت خبراً من ستة سطور فتحول إلى صدر صفحة واللواء فلان والعقيد علان!! ولكن ما علاقة هذا بالإخراج الفني يا أكرم!!؟ إنه رئيس التحرير ينبغي توزيعاً مضاعفاً وأنت وقعت على البروفة وكتبت العنوان بنفسك.. هل حدث هذا.. اللعنة على العدد الأسبوعي والكتب المجهولة والجثث.. واللعنة على الأبراج كذلك.

غرقت في نهر شرودي إلى أن دلف ذلك الشاب المتأنق الشبيه بأحمد عز - الممثل الذي يظنونه وسيماً - والذي جلس إلى جانبي ومد يده إلي بمظروف ضخّم قائلاً:

- صباح الفل يا كيمو.. إيه مالِك؟؟
- صباح الخير.. ولا حاجة مطبق بقالي يومين وشغال على حكاية معقربة كده، ومنخاتق مع أختي ومع رئيس التحرير وشوية قرف.. ها عملت إيه.
- الملف اللي معاك فيه كل حاجة بخصوص الراجل ده.. زي ما انت قولت طلع اسمه الثلاثي عمر جمعة الفيومي.. اتوفى سنة ٨٥ في حادثة عربية.. أو هي حادثة سير زي ما بتقولوا.
- عربية خبطته يعني وهو ماشي؟
- الحقيقة زي ما الشهود يقولوا في الخبر إنه كان قاعد مستني

الأوتوبيس وبيقرا في كتاب كده، وبعدين قام فجأة ووقف في نص الشارع يبص على الأرض.. وبها أن الأوتوبيس ما بيقفش في المحطة كالعادة فا خبطه وفرتكه حتت.

- يا ساتر.. طيب وابوه... قرايه.. مفيش أي حاجة عنهم
- مفيش غير حوار كده معمول مع واحد صاحبه اسمه محمود الطيب لقوا ورقة فيها اسمه وعنوانه في جيب المرحوم.. وبيقول في الحوار إنه صاحبه واخوه وإن من ساعة ما ابوه توفي سنة ٧٠ وهو مالوش في الدنيا حد غيره.. الغريب بقه إني لقيت نعي منشور للمراجل ده بعدها بأسبوعين.. نعي باسم: (زوجتك العزيزة ميرفت).
- مم.. هي غريبة فعلاً.. كان يوم إيه تقريباً..
- هتلاقي التاريخ عندك في الورق.. هشد انا بقه عشان ورايا شغل.. تؤمر بحاجة ثانية.
- تسلّم يا ابو كمال.. صباحك زي العمل.
- رحت أطلع القصاصات المصورة من عدة صحف في أوائل السبعينيات وأوائل الثمانينيات.. اخبار الحوادث كانت تحتل نصف صفحة إلّ جانب الكلمات المتقاطعة وحظك اليوم.. أما الآن فاما شاء الله تحتل صفحة كاملة ويصدر لها ملاحق متخصصة منذ بداية الألفية السعيدة.. أرايتم أي عصور زاهية نحيا فيها.. والله إننا لمحظوظون..
- قصاصة لنعي بسيط تنعي فيه أسرة الفيومي وابو كارم فقيدهم الأب البار جمعة الفيومي.. وقصاصة لنعي صغير ينعي فيه الأستاذ إبراهيم صفوت صديقه جمعة الفيومي فقيد أسرة..
- وكانها لدغتني عقربة.. وأصابني بلوثة.. رحّت أفرك عياني وأقربها

بشدة من تلك القصاصة الصغيرة.. ثم أقيت بعيني على التاريخ المدون من
إدارة الميكرو فيلم لأجده صبيحة يوم وفاة ذلك الرجل المسكين في صيف
عام ١٩٧٠.. ١١

إذن فذلك المؤلف المخبول كان صديقاً لوالد عمر.. أو هو يدعي ذلك..
طلبت رقم عزت صديقي الذي يعمل بقسم الميكرو فيلم بأحد الصحف
الكبرى.. فاجأني صوته الجهور مرحباً إلا أني قاطعته:

- حبيب قلبك إيه ويتاع إيه بقه.. إنت خليت فيها حبيبي.. لا يا عم
أنا زعلان.. لا ما تصالحنيش ولا الكلام ده خلينا في الشغل.. لا إذا
كان فيها غدا يبقى تصالحني زي بعضه.. بقولك يا زيزو أنا عايز
منك خدمة.. عايزك تبصلي على صفحة الوفيات في الجرنان عندكم
أو في أي جرنان ثاني سنة ٨٥.. التاريخ هقولك عليه بس يمكن
تلاقيه بعد كده بكام يوم.. ما تدور يا عم هو شغلي ولا شغلك..
طب يا جدع خلي في عينك حصوة ملح على الأقل عشان خاطر ابن
اختك اللي لسه مستلم امبارح.. أسبح إيه بقه ما انت اللي بتقوللي
مشغول ومش فاضي.. لا حبيبي يا زيزو.. بص هقولك التاريخ كان
يوم....



حاشية لا بد منها

العام ٢٠١٢ عام غريب يا أستاذ غريب..

ما كل هذه المشاكل التي يواجهها الجميع..؟؟

زلازل.. أعاصير.. أزمات اقتصادية.. حروب.. توترات.. غلاء..

فتاوى خزعبلية تشبه قبعة المهرج.. ثورات.. ثم حروب.. ثم ثورات من جديد لإنجاح ما فشل في ثورات أخرى..!!

وأنت جالس في غرفة نومك تقرأ..!!

أغلقت التلفاز منذ خمس دقائق.. قناة الجزيرة تصر على أن تعطيك أملا بأن العالم يعجب بالأوغاد والقتلة والمدعين.. وأنت تحب مشاهدة العالم من الخارج.. لا طالما أحبت ذلك.. فانت تعرف أنك أجبن من أن تقتحم أي شيء في حياتك..

وأنت طفل صغير كنت تضرب وتهان وتسرق شطائرك وتمرمغ في التراب.. إلا أنك لم تعترض.. لم تشك.. لم تذهب يوماً إلى مدرستك تطلب منه الحماية.. أنت تخشى ممن فعلوا بك ذلك.. فالمدرس لن يذهب معك إلى المنزل.. لن يتعلق بالعربة الأخيرة في مترو مصر الجديدة ليحميك من هؤلاء الأوغاد.. فقط ترضي نفسك بأنك ستكون مواطناً صالحاً يفيد نفسه وبلاده - كما يقول كتاب القراءة الحديثة - بينما سيتحول أي فرد منهم إلى سفاح أو تاجر مخدرات - على أقل تقدير-

وأنت شاب مراهق رفضت كلية الشرطة - برغم الوساطة المضمونة ووظيفة والدك الحساسة - لأنك لا تحب العنف..

هكذا حاولت أن تقنع نفسك يا عزيزي.. أنت لا تحب أن تواجه.. لم تتخيل نفسك يوماً تقف ممسكاً بسلاحك الميري مشهراً إياه في وجه أحدهم وأنت تردد العبارات التي يدرسونها في مقرر السنة الأولى - هكذا كنت تعتقد -.. ارفع إيدك يا بيومي.. المكان كله محاصر.. مفيش فايدة من الحرب!!

وأنت رجل كبير تزوجت أول فتاة رأت أمك - رحمها الله - أنها صالحة.. لم تجسر على أن تعرف على سعاد أو إلهام.. أو مي التي كانت تهيم بك حباً

وأنت تدعي أنك لا تشعر نحوها بأي شيء.. لقد كذبت يومها يا عزيزي..
أنت كنت تحبها.. لكنك لم تتصور نفسك تفتح بيت أهلها وتجر والدها
المتسلط - بمنامته الكستور وجواربه الصوفية صيفًا وشتاءً - على أن يقبل
بك زوجًا لابته.. لم تتصور أنك يمكن أن تتحمل كلماته وهو يصفك
بالرقيق.. لأنك تضع كريم الشعر على رأسك الصغير

الآن أنت بلا زوجة - فقد هجرتك - .. وبلا عمل - فما هو مستقبلك
كمحام محدود الموهبة وسط الآلاف من أمثالك - .. وبلا ولد - ربما لأنك
جبن وأحجمت عن الإنجاب أيضًا.

تجلس وحيدًا تقرأ في ذلك الكتاب الذي ابتعته من سور الأزيكية.. كتاب
صغير بحجم روايات الجيب.. مهترئ الصفحات.. الكثير من القصص
الغامضة.. كلها تتحدث عن القتل والسرقات والوفيات الغريبة.. أنت
تبع القاعدة الفرويدية بمنتهى الدقة يا عزيزي.. تفرغ نفسك وتطهرها..
فأنت لا تتخيل نفسك فردًا في هذه القصص.. لا تتخيل نفسك ضابط
شرطة أو محقق أو قاتل أو حتى ضحية من ضحايا هذه القصص..

إبراهيم صفوت!! لم تسمع به من قبل.. برغم أنك تعشق القراءة.. إلا
أنك لم تسمع بهذا الإبراهيم طوال سنوات عمرك الأربعين..

ثم إنه ليس عريض الموهبة حتى يجسر على تأليف قصص بهذه الكمية..
ثلاثمائة صفحة..!!

تأمل هذه القصة لتعرف أنه ضعيف الموهبة بشكل كبير..

قصة تدعى (جبان)

قصة تحكي عن رجل في الأربعين من عمره.. رجل وحيد ومحبط
وجبان.. عاد من المكتبة حاملًا كتابًا قديمًا ليقرأه.. وشطيرتين من الفول
بالزيت الحار كي يتناول إفطاره - الذي هو غداء بصورة ما - هو والقط

الصغير الذي يؤنس وحدته.. كيف أكل شطيرة الفول وشرب من تلك
الزجاجة الخضراء.. لم يكن يعرف أنها زجاجة ذلك المنظف المزعج ثقيل
الرائحة.. وجلس يقرأ في فراشه.. حتى غلبته عيناه مع الثانية عصرًا فنام..
إلا أنه لم يكن يعرف أنه لن يستيقظ.. لن يستيقظ أبدًا..

هل توفقني الرأي في أنه محدود الموهبة يا صديقي؟؟

لكن الساعة الآن الثانية عصرًا.. لقد تأخر الوقت يا غريب.. لا بد أن
ننام قليلًا.. أمامك يوم من البحث عن عمل ما في مكاتب أحد المحامين..
إن شطائر الفول تحتاج إلى المال.. ومهام رفعت قضية لتحصل على نفقتها..
إذن فلا بد أن..

لماذا يأتي النوم ثقيلًا وسريعًا هكذا..

إن الثانية ظهرًا هي ميعاد مناسب للنوم العميق لو سألتني..



(٧)

مقهى الليالي بحي عين شمس.. الثامنة مساء

صوت قرع أحجار الدومينو.. والطاولة.. وتقلب الزهر.. وقرقرة
مياه الشيشة داخل الإناء الزجاجي المزخرف.. وصوت أم كلثوم يدوي من
المنديع الياباني القابع فوق ذلك الرف..

دائمًا تثير هذه الخلفية الموسيقية المختلطة أذني.. وكثيرًا ما كنت أجلس
بمفردي أراقب عيون الناس وهي تتابع في شغف ذلك الدور العصيب
في لعبة الدومينو.. واللاعبان يبدوان كرئيسي دولتين عظميتين.. أو ذلك
الشاب الذي يقرع أحجار الطاولة.. ليعلن أن العشرة انتهت بهزيمة ساحقة
لغيره..

الامر ليس في اللعبة نفسها أو إثارتها أو حتى في مهارات خاصة قد تبذل
بجهودًا كبيرًا لتعلمها.. الامر كله يتركز في هذه الإثارة.. في كمّ البشر الذين
يتجمعون حول اللاعبين مشيرين عاصفة من المؤثرات البصرية.. رافعين

غيرتهم التي أبلاها المعسل والدخان.. مشجعين هذا أو لائمين على هذا..
وكان الحرب العالمية الرابعة سوف تشتعل نارها إذا لم يتحرك هذا (القشاط)
أو لريأت الزهر بما تشتهيبه الأنفس!!

الدكتور أحمد سليمان.. الطبيب النفسي الشهير والصديق القديم جدًا
لوالدي - رحمه الله - يسحب نفسًا عميقًا من تلك الشيشة ثم يتابع نافثًا
محادبة من الدخان حوله:

- إزيك يا أكرم.. ده انا بقالي يجي ثلاث سنين ما شفتش خلقتك يا
واطي.

- اعذريني يا عم احمد والله.. الدنيا ممرمطة الواحد شغل وأكل عيش
وجري على أكل العيش ومحدث بيرحم.

- والله وكبرت يا أكرم وبقيت تتكلم عن أكل العيش

ثم ضرب كتفي بقبضته الواهنة وأطلق ضحكة صافية عجوز ذكرتني
بضحكة أبي رحمه الله عليه في ليالي الصيف الرائقة ونحن نلعب الطاولة في
شرفة منزلنا.. كانت أيامًا شبيهة بنمة عابرة مرت على وجهك في قيط
أغسطس فلم تعرف كيف جاءت ولا متى رحلت!

- طيب بص يا دكتور أنا هخش في الموضوع على طول عشان عارف
إنك بتنام بدري.

- أنا كلي آذان يا سيدي.

- أنا عايز اعرف شوية معلومات عن الفوبيا

توقف قليلًا عن تدخين الشيشة وسعل من كل أعماق صدره الذي أتلفه
المعسل تقريبًا فلم يترك سوى حويصلات قليلة في رتته لتبقية حيًا يرزق..
ثم خلع نظارته الطبية الأنيقة ووضعها على الطاولة وقال:

- طيب يا سيدي.. هو في أنواع كثير للفويا أو اللي بيسميه اللغوين
الرهاب.. سنة ٢٠٠٩ عملت ورقة علمية كده في مؤتمر جمعية الطب
النفسى الأمريكىة ممكن اجيبها لك بكرة تقرأها.

- لا، أقرأها إيه يا عم احمد.. وحياتك يا دكتور قولي كده على ملخص
الأمر في قعدتنا اللطيفة دي.. وربنا يخليك لينا.

- ما تكرمشلى خمسين جنيه في إيدي كمان.. إيه ياد قلة الأدب اللي انت
فيها دي.. هو إذا ما كانش العلم يجي في كبسولة تبلمها بيقين ميه
ساقعة ما يتشافش ولا يتقري.. خلاص يا اخويا روح دور عالنت
وانت تلاقي الملخصات.

كنت أريد أن أخبره أني فعلت ذلك فعلاً قبل جلستا هذه ولكني
أحجمت فوراً.. غضب من هم في سن أبي آخر ما أريد إثارته في جلسة
ربيعية لطيفة مثل هذه.. لكني حاولت جعل كلامي لطيفاً أكثر مما أستطيع.

- اللي عالنت كلام فاضي حاطينه شوية عيال يا دكتور سليمان.. لكن
إنت الخبرة اللي فاهم وعارف.. إديني حاجة مبسطة كده زي بتوع
تبسط العلوم عشان اعرف أستوعب.

- أمرنا الله.. ورحمة ابوك الحاج فهمي حبيب اللي ما بحلف برحمته على
حاجة وارجع فيها.. لولا إن أنت ابنه أنا ما كنت عبرتك ببصلة.

- طول عمرك قلبك كبير يا دكترة.

نظر لي في تقزز العالم الذي يكره تلخيص مجهود أعوام في جلسة على
أنغام الشيشة وأحجار الدومينو لصحفي لزج مثلي ثم احتضن البسم بين
كتفه وصلبره.. ورفع كف يده يعد على أصابعه:

- في الورقة العلمية كنت عامل ثلاثة تصنيفات للفويا من وجهة

نظري.. التصنيف الأول هو (الرهاب المنتشر).. في منه على الأقل خمسة أنواع من الفوبيا متشرة بدرجات متفاوتة في أكثر من ثمانين في المئة من سكان كوكب الأرض أشهرها على الإطلاق.. Acrophobia الخوف من المرتفعات وAchluphobia الخوف من الظلام وClaustrophobia الخوف من الأماكن المغلقة وHydrophobia الخوف من الماء وAgoraphobia الخوف من الأماكن المزدحمة

- التصنيف الثاني هو (الفوبيا قليلة الإصابة) ودي ليها أنواع كثيرة برضه.. وأشهرها على الإطلاق Agyrophobia الخوف من عبور الطريق وAilurophobia الخوف من القطط وHemophobia الخوف من منظر الدماء وArachnophobia الخوف من العناكب وOphidiophobia الخوف من الثعابين.

- ويعتبر النوع الأخير ده هو الأشهر حدوثًا تقريبًا في الفئة الثانية.. أنت عارف حواديت كارل يانج والوجدان الجمعي اللي بيركز الخبرات وينقلها عبر العصور إلخ إلخ.. كل أنواع الفوبيا النادرة بتتركز على خبرات سابقة تضخمت بالعقل الباطن، والوجدان الجمعي نقلها.

- ما بيلعش كلام كارل يانج أوي وموضوع الوجدان الجمعي من أيام المدرسة.. وبيتهيا لي يانج لو عرف إن عندي إسهال مزمن من أكل المسقة فاهيبقى تشخيصه إن جدي السادس عشر كان يبجيله إسهال من المسقة.. ما علينا يمكن يكون رأي صادم حبتين.. طيب والتصنيف الثالث يا دكتور..

كان شاردًا وهو يسحب نفسًا عميقًا من الشيشة.. ويراقب شابًا يلقي

بالزهر على علبة الطاولة الخشبية بطريقة (القرص) الشهيرة وصديقه يرفع
عقيرته غاضبًا:

- أنت بتقرص يا بابا تاني.. هو أنت ما تعرفش تلعب لعب نظيف أبدًا
- آدي بقه آخرة اللعب مع الهواة اللي زيك.. ده ستايل يا جاهل.. هو
كل ما الواحد يرمي الزهر بستايل تقولوا بيقرص!!
- ستايل!!.. الله يرحمه.. كان بيعلي الراديو ويوطي من تحتيه..
- دكور سليمان!!
- إيه يا أكرم في إيه سرعتني يا جدع.
- التصنيف الثالث يا عم أحمد الله يكرمك.

وكانما أحدثه في أمر غريب.. اتعت عيناه وراح يحمق في وجهي..
وكانما يراني للمرة الأولى في حياته التي تخطت السبعين.. ثم كما شرد فجأة
استعاد كل تركيزه فجأة، وراقب مياه بحيرته، وتابع:

- اعذرني يا أكرم معلش اليوم كان طويل شويتين وطلبة اليومين
دول في الجامعة يطلعوا عينك على ما توصلهم معلومة.. التصنيف
الثالث بقه يا سيدي هو (الرهاب النفسي).. كل الأنواع اللي فاتت
دي أسباب إصابتها - زي ما أكيد عرفت لأنك مستحيل تكون
جايلي أبيض يا ورد من غير معلومة واحدة - الإصابة بيها بتبقى
مبنية على حوادث قديمة حصلت في وقت من أوقات حياتك
وترسبت جوه عقلك الباطن وبقي يستدعيها وقت الحاجة فتلاقي
نفسك حسيت بخوف غير مبرر من الحالة اللي أنت فيها للدرجة إنك
نفسك شخصيًا ممكن تنسى السبب اللي تخليك خايف!! زي مثلاً
الطفل اللي اتعود أهله يحبسوه في أوضة ضلمة لما يغلط بتكون عنده

قناعة إن الضلعة مخيفة جدًا وتلاقيه بقى هستيري أوي لما يكبر قصاص
أي موقف يلاقي نفسه فيه جوه مكان ضلعة.. إنها النوع الثالث ده
مالوش أي تفسير غير تكوينات في اللاوعي بتلعب بوعيك الحاضر..

ابسمت وأنا أخلم نظارتي لأنظفها في قميصي المتسخ وهو يتابع:

- العقل الباطن ييموت في الألاعيب والإسقاطات.. مثلاً مدرسك
في ابتدائي كان عنده عربية فيات زرقا والراجل ده أنت ما كنتش
بتطيقه وكان دايمًا بيدايك أو بيضربك.. فتكون جو لا وعيك
إن كل واحد عنده عربية فيات زرقا من نفس الموديل يبقى زي
مدرسك بتاع ابتدائي: وغد وإنسان سادي ولازم تكره صُحبته
ويمكن تطب ساكت لو ركبت عربية فيات زرقا زيها.. زي مثلاً لما
حصلت تفجيرات سبتمبر وطلع بن لادن أعلن مسئوليته عنها..
اتكونت الصورة في لاوعي الإخوة في أمريكا وأوروبا إن كل واحد
مسلم ملتحي إرهابي ومالوش أمان ولازم يتضرب بالنار هو ودينه
رغم إن أغلبهم عارفين إيه هو الإسلام وإن عمره ما كان دين إرهاب
وتفجيرات.. الإسلاموفوبيا زي ما أنت عارف Islamophobia!!

- ده انا كنت فاكهه مصطلح علم اجتماع سياسي مثلاً.

- ممكن أوافقك في الرأي بس تفسرلي ليه إن ستين في المية من سكان
أمريكا الشمالية وغرب أوروبا عندهم عداا غير مبرر للإسلام..
وإن ثلاثين في المية منهم بيتعالجوا من آثار نفسية عدائية ضد كل
ما هو إسلامي أو عنده مظهر إسلامي.. بدليل حادثة قتل المرحومة
مروة الشربيني اللي ما كانش ليها أي مبرر غير إن المختل نفسيًا اللي
قتلها كان كاره منظرها بالحجاب!!

ثم التفت ناحية الشباب لاعبي الدومينو وضافت عيناه متابعا أحدهم

وهو يلقي بأحد الأحجار في قوة:

- قفلت يا تلموذ.. قولتلك مش هتقدر عليًا
- قفلت يا نصاب.. ده احنا عايزين ولا خمس ثورات عشان النصاين
اللي زيك يتمسحوا من على وش الأرض.. دول خمسة سيه (ثلاثة)
بس يا نصاب.. وانا معايا اتنين لسه..
- خمسة بس.. لا مؤاخنة غلطت في العدد.
- طب خش شيل اللي برة يا روح امك عشان تبقى ما تغلطش تاني.
- دكتور سليمان!!!
- وكانها لدغه عقرب انتفض جسده وأسقط مبسم الشيثة ونظر نحوي
في حدة:
- أكرم.. ما تبطل الطريقة المقرقة دي.. أنا عديت الخمسة وستين يا
ابني وما بقتش قادر استحمل اللي انت بتعمله ده.
- اعذرني بس انا كان عندي سؤال أخير عن التصنيف الثالث.
- خلصني أنا معاد نومي قرب..
- رفعت مبسم الشيثة وناولته فأعلن أنه غير راغب فيها وأشار بأصبعه
- أن تكلم - فتابعت:
- هو في أنواع ثانية غير الإسلاموفوبيا غريبة برضه كده.
- كثير أوي يا أكرم.. زي الخوف من الزهور.. من العربيات.. من
الثلج.. من الألوان الأحمر والأصفر.. الخوف من اليهود والخوف
من الألمان وحتى الخوف من الصينيين!!
- أنا عندي المشكلة دي بقا.. أنا بخاف من الصينيين عمى.. ولما حد

بيخبط عليا منهم عشان يعرض عليا طقم ملايات ولا دسطة اطباق
بقفل الباب في وشه بسرعة برغم إنه بيقي في منتهى الأدب.

- لا دي مش فوبيا يا أكرم.. ده أنت بتستعبط بس.

- والله يا دكتور أنا مش عارف أقولك إيه.. مين غيرك كان هينوري
طريقي المظلم.

- ياديا حلنجي..

ثم ابتسم في ود... ونهض معلناً أن الوقت قد تأخر وأنه لا بد من النوم..
فهو كعادة كل من تقدموا في السن ينام في التاسعة ويستيقظ قبيل الفجر
وكانهم زهدوا النوم بعد ما تمتعوا به طوال عمرهم.. رغم أن أبي رحمه الله
كان ينام في العاشرة ويستيقظ في الخامسة منذ أن كان في الثامنة والثلاثين!!

راح دكتور سليمان يوزع ابتساماته على كل الحضور في مودة.. هو من
أقدم من يرتادون هذا المقهى وحضر كل تغيراته منذ أن كان مرصوفاً
بالقيشاني الزلق وحتى تحولت واجهته إلى رخام كرامة الفاخر.. وراح يسأل
عم خليل صاحب محلات البقالة عن هبة ابنته.. فيخبره أنها في آخر سنين
الجامعة الآن.. ليلعن هو الأيام التي تجري بسرعة ويردد عبارات من غرار
"العيال كبرت جداً" أو "إنه زمانهم يا حج" ..

ثم تركني وأنقذ النادل ثمن المشروبات... بعد أن أقسم بكل الأيمان
التي أعرفها والتي لم أسمع عنها في حياتي أنه هو الدافع... ثم منحني ابتسامة
أبوية حنون واحتضنني حضناً كنت أشتاق إليه منذ أن منحني مثله يوم وفاة
أبي.. الحقيقة أنني أرى في وجهه ابتسامة الأستاذ فهمي حبيب مدرس أول
التاريخ في مدرسة الطبري الثانوية بنين.. وموجه المادة ووكيل الوزارة
لاحقاً.. الرجل الذي وضع في يدي جريدة الأهرام يوم أن كنت طفلاً في
العاشرة وأشار نحو صورة أحمد بهاء الدين وقال لي بصوته الوقور الدافئ:

- شاييف ده؟
- مين ده يا بابا؟
- ده صحفي اسمه أحمد بهاء الدين.. يوم ما تكبر عايز اشوفك قاعد على كرسية في الاهرام وتكتب مقالة في نفس عموده.. يوم ما تعمل كده ابقى كملت رسالتى في الحياة وما بقتش عايز حاجة من الدنيا.
- ثم وضع في يدي قلما وكراسة خاوية وقال:
- اوعى تبطل تكتب اللي انت عايزه.. اكتب عن المدرسة واللى حصل فيها.. اكتب عن صحابك اللي بتلعب معاهم في مركز الشباب.. اكتب عني وعن ماما وعن أمجد وأسماء وإخواتك.. إوعى تبطل تكتب مهيا حصل.
- الهاتف المحمول يعوي طالباً مني إنقاذه من كل تلك الكلمات المحشورة في حلقة الضيق.. إنه عماد.. يبدو أنه تذكرني أخيراً بعد عشر اتصالات..
- تو ما افكرت يا بيه..
- يا جدع إنت هو انت صحبتي.. وبعدين إيه تو دي..
- أنا بسمعهم بيقلوها كده الحقيقة.
- اسمعني بقه وخلينا في المهم.. أنا عايز منك خدمة مهمة جداً جداً.. وهتقابل الساعة ٨ عندي في المديرية الصبح.
- أوامر يا قمر أمرك يمشي..
- راح يمل على أشياء أفعلها وأماكن أزورها.. وكل ذلك لا بد أن يتم قبل منتصف الليل.. والساعة الآن العاشرة مساءً!!! لا يعرف سعاده اني لو فكرت الخروج فقط من هنا سيستغرق الأمر ما يربو على الساعة..

ولكن ضباط الشرطة لا يعرفون ماذا تعني عبارات "مرور مزدحم" أو
"الإشارات كثيرة ومزدحمة" لا وجود لها في قاموسهم في الواقع..

ولما جاء وقت إنهاء المكالمة قال مسرعًا:

- آه أكرم.. كنت هنسي اقولك يا أخي.. في جثة ظهرت وجنبها نفس
الهباب الكتاب إياه في بولاق.. محامي عاطل عن العمل.. راجل أكل
أكلة فول وطعمية دسمة حبتين وبعدي رفع قزازة فينيك وبعدين
ذبح القط بتاعه وربنا خلصه من عذاب الدنيا.. أكرم.. بقولك إيه..
أكرم.. هي الشبكة بتقطع ولا إيه..

* * *

- "كأنك في رحم أمك"

- أقسم بالله لأقطع رقابيكم جميعًا لو ما فاقش حائلًا

* * *

(٩)

مديرية الأمن.. التاسعة صباحًا

- أنا حقيقي في غاية السعادة من اللي انت بتقوله ده.. حقيقي فخور
بيك والله.

- بلاش طريقة وحياة والدك.

- بلاش طريقة.. إنت هستعبط يلا.. إنت عايز تثبتي إن كل حاجة
بتلف وتدور حوالين الكتاب الاهل المصدي ده.. وإن اللي بيشتري
الكتاب يا بيتقتل يا بيتتحر.. إنت مدرك للي بتقوله ده ولا خلاص
محك اتلحس من كتر الكتب الهابلة اللي بتقراها؟؟!!

- أنا مدرك لكل كلمة بقولها يا عماد.. اللي عمل الكتاب ده بينفذه على
أرض الواقع ويقتل كل حد بيقع في إيده الكتاب..

تركني واتجه لباب غرفة مكتبه وفتحته على مصراعيه متابعًا:

- جميل أوي.. أنا عايزك تخرج من الباب ده وتطلع دورين لحد مكتب مساعد الوزير تقوله إن المتهم الرئيسي في جريمة قتل علاء مسعود البلطيمي وآخرون هو كتاب اسمه الرُّهاب مؤلفه واحد مجهول اسمه إبراهيم صفوت في الخمسينات وإنه بيجري ورا كل اللي بيشتري الكتاب ويموته.. آه ما تنساش تبقى تشرحه نظريتك كويس قبل ما يجيب القميص الأبيض ويلبس هولك بالمقلوب.
- احمرت أذناي من كثرة الإحراج وصوته يملأ طرقات المديرية مجلجلاً
فنهضت غاضباً عازماً على الرحيل.
- أنا فعلاً مخرج من الباب ده بس على بيتنا على طول ومش هتشوف خلقة اللي خلفوني تاني.. إوعى من وشي يا عماد.
- وحياة امك بطل شغل العيال ده واترزي مكانك..
- ثم دفعني نحو المقعد الجلدي فغصت فيه مشيحاً وجهي ناحية النافذة الزجاجية الكبيرة.
- أشرف.. إنت يا زفت.
- أوامرك عماد باشا.
- هاتلي اتنين قهوة عالريجة وتدخلهم بنفسك.. ومش عايز أي حد يدخل علياً أياً كان السبب.. لو وزير الداخلية شخصياً ما يدخلش..
- ثم صفع الباب في عنف وعاد إلى مكتبه.. وراح ينقر سطح المكتب بطرف قلمه الجاف.
- معلش يا أكرم حقك علياً..
- ولا يهملك..

- إنت ما تعرفش أصلك مساعد الوزير عمل فيا إيه الصبح.. ده شطفني.. أنا ممكن اقلع الرتب والبس البيجامة واقعد جنب امي لو ما جببتش اللي عمل كده.

تشاغلنت بتنظيف غليوني غير ناظر إليه.

- ما تشغلش دماغك.. مفيش حرج على تور لو كسر سور الجنية.

- تشبيه سخيف زيك.. إنت عارف كويس إني لا بعترك صحفي شاطر ولا صديق والكلام ده.. إنت اخويا والوحيد اللي بثق فيه وفي دماغه.. وبعدين إنت بتعرف تتحرك بسهولة من غير إذن نيابة ولا مذكرة ضبط وإحضار.. وفي الشغل علاقتنا تكافلية زي ما إنت بتقول على طول.

- زي الخريت وطائر القراد بالضبط.

- ماشي يا سيدي أنا خريت.. وتور وكل اللي في نفسك تقوله.. بس حتى الخريت والتور ما يقبلوش كلام زي اللي انت بتقوله ده.

- عشان إنت معدوم الخيال يا حضرة الظابط.

- اللي إنت بتقوله ده شطحان مش خيال.. خيلنا نتكلم بجد شوية بقة..

اعتدلت في جلستي ورفعت نظارتي الطبية على قصبة أنفي في وضع هجومي مستفز.

- أنا بتكلم بجد يا عماد بس إنت اللي مش عايز تسمع.. الكتاب ده بيظهر في كل مكان حصلت فيه أي جريمة هو ومؤلفه المغمور إبراهيم صفوت.. عمر جمعة مات تحت عجل أتوبيس النقل العام ولقوا معاه الكتاب زي ما عرفت من تقارير الحادثة بتاعته سنة ٨٥

ولقيت نعي منشور باسم إبراهيم باشا صفوت ليه.. وابوه الله يرحمه مات سنة ٧٠ برضه وفي نعي باسم الزفت إبراهيم صفوت ليه.. وبعدين الكتاب نفسه وقع في إيد صديقه محمود الطيب وبعدها بامسوع مات هو كمان في بيته بأزمة قلبية ونفس النعي منشور من نفس الإبراهيم صفوت برضه في الجرنان.. وبعد ٢٨ سنة يموت أربع بني آدمين في جرايم قتل متدبرة حلو أوي أوي وبرضه تلاقي نفس الزفت الكتاب معاهم.. وتقولي صدفة وشطحان.. ده الشطحان ذاته إنك ما تصدقش إن كل حاجة ليها علاقة بالزفت اللي متلقح على مكتبك ده.

- برضه ده مش دليل على كلامك.. أي حد ممكن يفكر التفكير ده ويتحرك بالطريقة دي عشان يضللنا ويكمل هو براحته كده.

نهضت حاملاً ورقة صغيرة ألقيتها على مكتبه فنظر فيها ثم حدجني بنظرة جحيمية غاضبة:

- أنا بدور في الكتاب ده بقالي ساعتين ولقيت شوية العناوين اللي في إيدك دي.

- وافهم انا إيه من العناوين دي يا عبقرى زمانك؟؟

- هقولك يا حضرة المعاون.. إسمع بمكن تفهم..

ثم أمسكت الورقة ورحت ألقى بالعناوين مفسراً:

- قصة اسمها (الثانية صباحاً) بتحكي عن راجل عنده خوف من دقائق الساعة القديمة.. وفي يوم اشترى ابنه ساعة حائط قديمة لقاها في محل أنتيكات وعلقها وابوه نايم.. وفجأة الراجل الكبير

بصحى من النوم يروح الحمام الساعة اتين صباحًا فا يسمع دقائق الساعة ويطب ساكت بأزمة قلبية.

- أنا ما بحبش صوت دقائق الساعة القديمة برضه.. بس مش هطب ساكت لما اسمعها يعني.

- لو كان عندك ستين سنة ومريض قلب أصلا هتطب ساكت من الخضة.

دقات على الباب فأجفلت وأمسك عماد بمسدسه شاهراً إياه ناحية الباب قبل أن يدرك أنها دقائق باب مكتومة عادية..

- مين؟؟

- القهوة يا عماد باشا.

- تعالى يا أشرف.

دخل المجند البائس حاملاً القهوة ووضعها أمامنا ثم ناول عماد مظروفاً صغيراً وقال:

- علي باشا ساب ده لحضرتك من شوية.. بس تعليقات سيادتك إن محدش يخش فاهو سابه مع بيومي، وهو اداهلوي أسلمه لحضرتك.

- طب روح إنت يا أشرف.

فض المظروف وراح يقرأ ما فيه مرعاً ووجهه يتبدل نوعاً.

- في إيه الظرف ده يا عماد؟

- بعدين هقولك.. كمل نظريتك..

- وبعد ما رجعت الأرشيف والميكرو فيلم في كذا جرنان لقيت إن الأستاذ جمعة الفيومي والد عمر والي عرفت اسمه الثلاثي من كتابة

بالقلم الرصاص في ظهر الكتاب مات بأزمة قلبية في البيت سنة ٧٠ ولقينا النعي إياه.. الغريب بقه إن محمود الطيب صاحب عمر اللي مات في بيته برضه كان عنده طفل عمره سبع سنين خبطته عربية نقل حمرا من بتوع زمان دول قدام باب الفيلا بتاعته في المعادي.. ولما قلبت في الكتاب لقيت قصة اسمها (أحمر) بتكلم عن واحد مات بسبب خوفه من اللون الأحمر لما شاف صورة ابنه محطوطة جوه برواز أحمر في بيته.

- إيه الهياقة دي..

- النعي بقه متوجه من إبراهيم صفوت للأب.. إيه علاقة إبراهيم صفوت بالراجل ده.. أنا رحت لمراته وأنا بحاول اخليص الحاجات اللي طلبتها مني.. الست كبرت وعجزت وما بقتش تشوف قدامها مترين بس ذاكرتها حديد وفكرة كويس إنها رمت الكتاب ده في الزبالة تاني يوم وفاة جوزها لأنها اقتنعت إنه نحس.. وإن جوزها كان معدود الأصحاب وما كنش ليه صديق اسمه إبراهيم صفوت نهائي!!

انعقد حاجبا عماد في شدة وكانها بدأ يشم رائحة غير محبة في كلامي فاقنصت الفرصة متابعا:

- في نفس السنة وقبلها بأسبوع مات عمر جمعة مصدوماً بأتوبيس نقل عام في مصر الجديدة.. ونفس النعي برضه في نفس الجرنان باسم إبراهيم صفوت.. دلوقتي افتح الكتاب على صفحة ٨ هتلاقي قصة اسمها حافلة الموت افتح الكتاب.. القصة دي بتلكم عن واحد يخاف يعدي الشارع وفجأة لما قرر يتغلب على خوفه ويعدي الشارع...

- صلعه أتويس نقل عام.
- دلوقتي إحنا على نفس الموجة..
- نهض عماد شاردًا وأشعل لفافة تبغ وراح ينفث دخانها في شرود وهو
يجوب الغرفة كالهائم على وجوههم في الطرقات المظلمة ولم يقطع شروده
سوى صوت رشفاتي للقهوة عديمة الوجه سيئة الصنع.
- إيه القهوة المقرفة دي.. إنتو بتجيوا البن ده من شونة غلال.
- أكرم.
- ها.. عايز إيه..؟؟
- قرئت جرايد النهاردة؟
- والله العظيم ما انا اللي سربت اسم علاء البلطيمي ولا..
- لا لا.. أنا بتكلم عن صفحة الوفيات في جرنان (...) المتقل.
- ثم تناول جريدة مستقلة أصبحت واسعة الانتشار منذ ثورة يناير وقال
متابعًا:
- صفحة الوفيات في الجرنان ده عبارة عن مساحة صغيرة كده جنب
الإعلانات في الصفحة قبل الأخيرة.. النص اللي تحت فيه نعي
صغير موجه لأسرة البلطيمي.. أيوه موجه زي ما قولتها لأنه نعي
سياسي.. موجه من أمين حزب الحرية في السنلاوين.. وده في حد
ذاته شيء غريب ومدهش جدًا.
- وإيه الغريب في كده؟! البلطيمي رئيس حزب وابنه المتحدث
الرسمي ولازم شوية مجاملات كده بين الأحزاب وبعضها.
- المدهش يا سيدي إن حزب الحرية معندوش أمين لجنة في السنلاوين

من أساسه.. الحزب لسه يبشكل لجان فرعية ومث ناوي أصلا
يعمل لجنة في السنبلاوين لأن عنده لجنة عامة في المنصورة.

- يا سلام!!

- ده كلام رئيس الحزب نفسه لما كلم رئيس المباحث النهاردة الصبح..
وكان مضايق أوي بقه وناقص ياكل شعره من الغيظ عشان عايز
يعرف مين اللي بينكت النكتة السخيفة دي ويحاول يوقع بينه وبين
عيلة البلطيمي وهم في حالة حداد.. وبالخصوص بقه إن النعي
موجه من السيد..

- ما تقوليش إنه..

التفت نحوي نافثا دخان سيجارته في وجهي متابعًا:

- الظاهر إن الأستاذ إبراهيم صفوت له نشاط سياسي كمان!!

* * *

حاشية لا بد منها

لا جديد كل صباح إلا عصام

الحقيقة يا أمل إنك تعتبرين نفسك محظوظة.. بل أنت أكثر بنات عصرك
حظًا لأن الله رزقك بذلك الحاني العطوف الكريم الوسيم الرقيق..

صباح جميل آخر والسبب أن هاتفك المحمول أشرق عليك صباحًا
بوجه عصام على شاشته مخبرًا إياك أنه يستعد لجعل يومك أفضل وأفضل..

تحلمين كثيرًا بذلك اليوم الذي تصبحين فيه زوجته.. منذ أن رأيته
أول مرة في عيادته البسيطة في أطراف حدائق المعادي وأنت تحلمين.. منذ
أن لمست يديه وهو يصافحك يومها وأنت تحلمين.. منذ أن طلب يدك

للزواج ووضع خاتمه الذهبي الأنقى حول بنصرك الأيمن وأنت تحلمين..
أنت الفتاة الفقيرة.. حمراء الشعر.. هزيلة الجسد.. النمشاء كما كان
الأستاذ عرفة يلقبك في طفولتك.. المريضة بداء عضال لا يبدو أنك
مستفين منه قريباً.. عصام قال إن علاجه صعب ويحتاج إلى تكاليف
ويمكن أن تعيشين به.. فقط تجنبى الجروح وارتندي حذاءً مريحاً وواسعاً..
عصام لا يتضايق من كثرة النمش على وجهك ولا من تلك البقعة
الحمراء في رقبتك.. عصام لا يتضايق من مشيتك المتعرجة نوعاً بل ويسعد
بها..

عصام لا يعرف أنك تعملين في ذلك المشتل حتى تساعدني نفسك
وتدخرين مالا لذلك الوحش الكاسر المسمى (جهاز العروس).

أبوك رجل فقير.. موظف في إحدى الشركات الخاصة التي تحلبه كالبقرة
مقابل جنيهاً تغطي تكاليف البيت وإخوتك وأهلك.. أينقصه أن تنقص
عليه حياته فتاة رقيقة في عشريناتها تريد الزواج من طيب محدود الدخل!!
إذن فلتعملي في وظيفتين أو ثلاث فأنت يا فتاتي مثل الآلاف من
حاملات الدبلوم أو كما تسميه أمك (الدبلون) تذهبن إلى الثانوية التجارية
وتدرسين ثلاث سنوات بجهد ثم تتخرجين لتعملي مندوبة مبيعات أو
عاملة سترال شعبي أو منسقة ورود كما يجب الأستاذ عبدالتواب صاحب
المشتل أن يلقبك..

أنتِ موهوبة في هذا يا أمل..

دائماً ما يلقيها الأستاذ عبد التواب - السفير السابق - على مسمعك كل
مساء في بداية وقت عملك.. هو لا يحب ذلك الفتى الرقيق الذي يعمل في
وقت الصباح ويغازل بنات المدارس والمعاهد.. هو يأتي بالمال نعم.. ولكن
من قال إن الأستاذ عبد التواب يحتاج إلى المال!!

المشتل يزدحم في أيام المناسبات.. وسكان المعادي لطيفو المعشر يمرون
بليك مساء ويتحدثون معك كأنك صديقة أو فرد من العائلة.. أخي
مريض يا أمل وأريد باقة ترد له عافيته فور أن يراها.. أختي أنجبت ولداً
(so cute) يا أمل وأريد باقة ورد (lovely) احتفالاً به..

تراقص أصابعك فوق الورود في تناغم وأنت ترتدين ذلك القفاز
المطاطي الذي منحك عصام إياه كي تحمي يديك من نزف الأشواك..
القفاز الذي يمنحك منظر المحترفة النظيفة وهو ذلك المنظر الذي يعشقه
سكان المعادي النظيفين كحيهم.

تخيلين لو كان هذا المشتل في البساتين قرب بيتك.. لو رآك عم شافعي
البقال وأنت تقطعين بهم الجبن المصنوع من بودرة الحليب أو تتاولين بهم
الطرشي البلدي لوصفك بالرقيدة الممللة!! ولطردك من البقالة إلى قارعة
الطريق.

الفقر يفقد الناس إحساسهم بكل شيء حتى يظنون أن النظافة والنظام
نوعان من الرفاهية والتلذذ.. الأستاذ عبد التواب عندما رآك ترتدين
القفازات انعقد حاجباه في مرج وخلع نظارته الأنيقة قائلاً:

- هايل يا أمل.. موهوبة وفنانة وبتحافظي على نظافة المكان كمان..
بلغني تحياتي لعصام بقه وقوليله إن رينا بعته هدية من السماء..
الزوجة النظيفة فعلاً هدية من السماء.

يحمر وجهك خجلاً فتذكرين كلمات عصام عن الفتنة والسحر الذين
يراهما في وجهك عندما يحمر خجلاً فتصبحين كتلة من الأحمر الفاتن
الساحر.

اليوم يوم هادي يا أمل.. لا زبائن ولا مناسبات.. الساعة تقارب
العاشرة.. إذن فلتقرئي صفحتين أو ثلاث من ذلك الكتاب الغريب ثم

فلترحلي حتى تلحقني بميكروباص الباتين.

كتاب وجدته أمام عتبة باب المشتل أمس.. قديم ومهترئ ويحمل اسماً غريباً ظلمت ساعتين محاولين قراءته حتى قرأه لك الأستاذ عبد التواب.

- رُهاب.. اسم غريب أوي.. ومين إبراهيم صفوت ده؟!!!

- حضرتك تعرفه يا أستاذ عبد التواب؟

- عمري ما سمعت بيه أبدا.. أنا قرئت حوالي مليون كتاب بتلات لغات طول سنين عمري الستين.. وعمري ما سمعت لا عن رُهاب ولا عن إبراهيم صفوت.. تلاقيه كان واحد من كتاب الخمسينات المغمورين ولا حاجة..

الكتاب قديم ومهترئ ولكنه ساحر.. تحبين القصص التي يقشع لها بدنك ونصيك بالخوف والرعب.. والاثارة.

كنت تذهين مع صديقاتك إلى السينما الرخيصة في أطراف المعادي أيام الدبلوم لتشاهدي أفلام الرعب - الرخيصة كذلك - ولا تتوقفين عن الصراخ في استمتاع من أول دقيقة في الفيلم حتى تضاء أنوار القاعة.. عصام قال لك إنك تتلذذين بإخافة نفسك حتى تعوضى نقصاً ما في شخصيتك بتلك اللذة المأسوسية.. وعندما غضبت من كلامه - الذي لا تفهمينه غالباً - قال لك إنه يعاني من نفس الحالة وإنه سعيد بالتوافق بينك وبينه حتى في الأمراض النفسية!!

مثلا هذه القصة تدعى (الجرح الأخير).

إنها تحدث عن فتاة فقيرة معلمة مصابة بمرض عضال يجعلها تنزف بلا توقف تذهب مع حبيبها إلى مشتل زهور وعندما يدخلان يطلب منها أن تحضر له وردة من ركن الورد الوحشي كثير الأشواك لأن الورد كثير

الاشواك كثير السحر والعطر أيضًا.. فقط لتذهب إلى ذلك الركن فتجرح
أرقبتها من نبتة متوحشة علقها هو في سقف المشتل وتنزف بلا توقف
أنت قلميه وهو يتابعها في تلذذ..

فترتشف جسدك من السعادة والمتعة والرعب.. هذه المركبات المتشابكة
التي حدثك عنها عصام يومًا.. تضعين الكتاب أمامك وأنت ذاهبة إلى
ذلك الطرف القصي من المشتل وتحديث نفسك متلذذة.. ذلك الطرف
الذي يحمل لك كل ذكريات لذيذة تنعش جسدك.. مع كل لذة اضافها لك
ذلك الكتاب..

" الله.. قصة مرعبة وحلوة أوي.. أنا جسمي بترتشف من الفرحة
والرعب.. أنت معاك حق يا عصام.. طول عمرك معاك حق يا حبيبي.. "

* * *

- أنا آسف.. مضطراشيل التنفس الصناعي.. النبض وقف تمامًا.
- والله العظيم لتحصله لو فكرت بس تعمل كده
- أنا عايز جهاز الإفاقة بالصلصات حالاً.. وإلا هقفلكم المستشفى
دي فوراً.
- "ظلام.. ظلام خال من الشرائب".

* * *

(٩)

جريدة (.....) المستقلة .. العاشرة صباحاً

عماد يجلس في سيارته الفيات المتهاكة يحرق السجارة تلو الأخرى
كسيارة ميكروباص رامو.. وأنا تقريباً أستجوب ذلك الفتى الصغير
الخائف في مدخل تلك البناية النظيفة التي تقع بها جريدة (.....) المستقلة
التي أصبحت من أشهر تلك الجرائد بعد ثورة يناير.

- يا عصمت يا حبيبي ما هو كده مش هينفع.. لازم تفكر.. الضابط
اللي قاعد في العربية هناك ده روحه في مناخيره ومعاها شهادة معاملة
أطفال.. وأقلها هيحولك عالنيابة بكرة الصبح وتصبح تلاقى
نفسك خدت لقب مزور عن اقتدار.

- أنا لا زورت ولا عملت حاجة لا مؤاخذه.. أنا جاني زيون عايز
ينشر نعي في الجرنان.. ولما قولتله اسمك ايه قالى أنا إبراهيم صفوت
أمين حزب الحرية في السبلاوين.. رحى موريله الفورم بتاع النعي

وكل فورمة هتكلف كام.. راح منقي الفورمة اللي انتشرت ودفع
وخذ الإيصال.. يعني لا مؤاخذه لو في حد زور حاجة يبقى هو، أنا
ماليش فيه لا مؤاخذه.

الفنن يبدو واثقاً.. إذن لنلعب لعبة الصداقة ونجرب فتح ثغرة في حائط
.. له منه.. شرطي جيد وشرطي سيء كما يسمونها.
بص يا عصومة.. خد سيجارة الأول.

متشكر ما بغيرش.. لو شربت سجارة من دول هتعود عليها لا
مؤاخذه وببتي هيتخرب.

بلاش السجارة.. بص أنا حاسس بيلك كويس.. أنا في أول ما
دخلت المهنة المهية بتاعتنا دي كنت بتشوق على أي نعي أو إعلان
أو كلمتين في خبر أهبل في طرف صفحة في قلب الجرنان.. وعارف
إن رئيس التحرير ما بيرحمش ولازم تجيب شغل عشان ما تلاقش
نفسك راجع القهوة تاني.. بس إنت في مشكلة كبيرة.
مشكلة إيه ولا مؤاخذه.

مشكلة كبيرة طبعا.. إنت نشرت نعي من حزب الحرية رايح لحزب
الحق.. والحزبين اليومين دول في بينهم مشاكل كبيرة بعد موضوع
الدستور..

- وأنا اعرف منين ولا مؤاخذه.. الاتنين بدقون والاتنين بتوع قال الله
وقال الرسول.. وأنا لا مؤاخذه ماليش في السياسة.

ثقب صغير يظهر في الجدار.. ارفع معولك وواصل العمل يا أكرم

- أنا عارف والله عارف.. إانت راجل شقيان وتعبان ومش فايق
للسياسة والرغي الفاضي.. أنا هفهمك بقة.. الحزبين اليومين دول

مولعين في بعض في الجرايد والبرامج.. ده كان مع الدستور وده
كمان كان مع الدستور.. قوم بقه بعد الدستور رئيس حزب الحق
طلع في مؤتمر، وقال إنهم بالبلدي كده اشتغلوا كل الأحزاب عشان
الدستور يعدي زي ما هما عايزين.. وبعدين ساعة الانتخابات
لما ياخدوا الأغلبية هيقفوا القوانين زي ما هما عايزين.. قوم بقه
رئيس حزب الحرية طلع في برنامج ثاني يقول إن حزب الحق بيزيف
الحقائق وإنه إلخ إلخ.. وشوية حلوين من اللي قلبك مجبهم وقامت
الحناقة.. يقوم رئيس حزب الحق ابنه يموت وحزب الحرية ينشر
نعي موجه من أمين لجنة مش موجودة أساساً.. يبقى إيه الحال.. لا
مؤاخذه كده؟؟

- الحال يبقى كرب لا مؤاخذه.. بس انا مالي هو انا اللي كبت النعي..
ده واحد...

- ومن هيصدق ساعتها بقه.. الاتنين هيجوا ساعتها ويقعدوا فوق
دماغ الأستاذ عبودة رئيس التحرير.. ويهددوه إنهم هيقفوا كل
الإعلانات والدعاية اللي تبهم وتبع رجال الأعمال اللي تبهم..
وانت عارفه راجل مناضل وثورجي طول عمره وما بيعحبش يزعل
حد.. ساعتها بقه هيجيبك فوق المكتب ويخليك تعمل عجين
الفلاحة عشان تثبت إن اللي عمل كده حد ثاني.. وساعتها هيسألك
عن صورة بطاقة ولا باسبور ولا حتى كارنيه نادي.. هترد تقول إيه
بقه لا مؤاخذه؟؟؟

زاغ بصر الفتى وتهاوت تلك النظرة الواثقة من عينيه كما تهاوى كتفاه..
بل وابيضت شفتاه حتى ظننت أنه ابتلع كامل ريقه.. لم أكن أعرف أي بارع
في لعب دور الشرطي الجيد الذي يتظاهر بذلك.. لو رأي خالد الصاوي

الآن لغير وجهة نظره وأداءه في ذلك المشهد في فيلم الجزيرة وجلس
.. افبني!!

- لما طلبت منه صورة البطاقة عشان ادبسها في صورة الإيصال لا
مواخذه.. قالي إن البطاقة والرخصة اتسرقوا مع عربيته اللي اتسرفت
من أسبوع.

- ومين يصدق بقى ساعتها.. هتبقى ساعتها إنت الوغد العميل
الممول اللي عايز تفسد العلاقات التاريخية الأصلية بين الحزبين..
وانك فلول وعندك أجندة وعدو للمشروع الإسلامي في مصر..
وساعتها رئيس التحرير هيضحى بيك عشان الإعلانات وترجع
تنام في بيتكم وتستحمل زن الحجاج والحاجة، وتلف على كعوب
رجليك عشان تلاقي وظيفة كاتب في مكتب محامي أرياف.. ده
إلا بقه لو كان عندك معلومات تقولها لحضرة الضابط اللي قاعد في
العربية هناك ده.. وساعتها هو هيحميك من رئيس التحرير، وتبقى
البطل الهام اللي ساعد في كشف المؤامرة الخطيرة على المشروع
الإسلامي في مصر..

نظر الفتى نحوي وعيناه تائهتان طالبًا المدد.. تلك الرعشة في يده تدل
انه انهار تمامًا.. يالك من وغد يا أكرم.. كنت تظن الفتى لن ينهار مع هذا
الحوار وأنتك ستحتاج إلى مجهود إضافي لفتح ثغرة في جداره.. لكنك لمست
أكثر نقطة هشة في الجدار فانهار بأكمله.. اللعنة على الفقر والحاجة.. اللعنة
على رؤساء التحرير الذين لا يرحمون!!

- قولت إيه بقه يا عصومة..؟؟

- أنا اعرف شكل الراجل ده كويس.. واقدر اطلعه من وسط مليون
بني آدم..

- حلو أوي.. إحنا دلوقتي هنركب العربية مع حضرة الضابط ونطلع على مديرية الأمن.

- مديرية الأمن.. لا مؤاخذه إحنا ما اتفقناش على كده..

- بصورة ودية يا جدع.. إنت شاهد مش متهم.. إنت هتقابل رسام الشرطة وتقعّد معاه ربع ساعة ونفطر سوا..

- سبقتك يا باشا الحمد لله.. لا مؤاخذه أنا اوصف وانا هنا ما اروحش مديرية الأمن.

- يا سيدي بلاش فطار.. تشرب الشاي بتاعك في مكتب الباشا معزز مكرم وبعدين تتوكل على الله ولا كأن في حاجة.. وبكده يوم ما حد يفكر يقربلك تكون انت أمنت نفسك والمباحث عارفة كل حاجة..
يلا يا عم عصمت ربنا يهديك.. يلا يا حبيبي.

ثم تأبطت ذراعه واتجهت ناحية سيارة عماد..

فقط ليسقط بجواري كجوال البصل!!

* * *

- إخلاء.. دلوقتي..

- " لحظة أن خسرت أول جنيهااتك "

- سلبي.. لسه مفيش نبض.. إخلاء..

* * *

حاشية لا بد منها

غداً تصبح ملء الفم يا هيثم!!

غداً تتصارع الصحف وبرامج القنوات الرياضية للحصول على كلمات
بسيط منك ويتخاطفك مقدمو البرامج بشكل يومي
انتهى عصر الصغار وبدأ عصر القمة والشهرة لك

تجلس في فراغ شقتك الجديدة التي أحضرك إليها رئيس النادي الشهير
وسلمك العقد وهو يمنحك ابتسامة واسعة تخفي كل ما يشعر به من
سخط عليك.. أنت يا ابن قرية ميت الحبش أصبحت أشهر مني وأصبحت
الجماهير تهتف باسمك لأنك سجلت هدفين في فريقنا.. أنت يا من أكلت
البلهارسيا في جسد أبيك وأضاع النيفود بصر أمك أصبحت تتقاضى آلاف
الجنيهات شهرياً..!!

إلا أن كل هذا لا يهمك في شيء يا هيثم.

أنت الآن رجل الساعة.. غداً ستقف أمام الكاميرات تحمل قميص
ناديك الجديد وتقبض مقدم تعاقبك وتضرب فلاشات الكاميرات في
وجهك لتصبح نجم الموسم الكروي.

تفتح التلفاز المسطح الذي لم تره إلا في التلفاز القديم الصدي في بيت
أبيك بميت الحبش لترى برنامجاً رياضياً يستضيفون به لاعباً شهيراً.. تتخيل
نفسك غداً مكانه وأنت تجلس على نفس المقعد والإضاءة الحارقة تلمع فوق
رأسك الذي غطيته بأكوام الجمل وكريكات الفرد المستوردة.. وداعاً للفازلين
إذن!!

الهاتف المحمول يرن بصوت مرتفع بتلك الرنة القبيحة.. غداً سوف
تسبله بأحد هواتف الآي فون التي تراها في أيدي لاعبي الفرق الكبرى

- عندما يهبطون من حافلاتهم، فقط أجب تلك المكالمات قبل أن يذهب المتصل.
- هيثم.. إنت فين يا معتوه انت.. يوم ما اوصل البلد ألاقيك سافرت.
 - أنا في مصر يا دكتور.. قاعد في شقة كده في الزمالك حازها لي نادي الزمالك عشان إن شاء الله هنمضي العقد بكرة..
 - الزمالك يا هيثم.. والله ولعبت معاك يا ولا ومنتحلو.. يالا ربنا معاك.. شد حيلك.. أنا ماليش في الكورة ولا بحبها بس اسمع إن الزمالك عنده وعكة اليومين دول يا شحاتة.
 - ربنا يكرم يا دكتور.. وبلاش شحاتة ديه أصل الجرايد مش رحمان ومعياني أبو كف.
 - وحياتك أنا ما افهم مين شحاتة أبو كف ده.. أنا لا بحب الكورة ولا بحب سيرتها.. أنا اسمعهم يقولوا كده في التلفزيون بس.
 - ابتسمت لسخافة الفكرة.. أنت متعلم ولست لاعباً بالإعدادية العامة.. سمعت يوماً ذلك المحلل السياسي الشهير وهو يتحدث عن أهمية كرة القدم وأن كل من لديه نقص من ناحية لاعبي الكرة يدعي عدم اهتمامه بها وأن أسعار اللاعبين ارتفعت وأن... إلخ إلخ هذا الهراء.. رغم أن بعض الممثلين والكتاب يحصدون الملايين من مواهبهم.. هل هو حلال لهم وحرام عليك يا بن ميت الحبش؟!
 - طب إنت مش ناوي تزورني ولا إيه.. أنا قاعد في الزمالك لحد ما النادي يجيلي شقة كده في مدينة نصر.
 - يا هيثم يا اخويا أنا ممكن أقابلك في ميت الحبش أسهل من إنني أجيلك الزمالك.. نورت مصر يا اخويا ومسيرك هتعرف.. شد حيلك كده وسمعني عنك الخير.. سلام يا ابو الكباتن.

عصام طبيب مجتهد.. هو عبقرى في مجاله الذى لا أعرف فائدة له..
ما الفائدة أن تكون طبيب أمراض مناطق حارة؟! في النهاية ستجد أن
تخصصك لا يساوي شيئاً في السوق المصري.. ثم تفتح عيادة صغيرة في
أطراف حدائق المعادي وتصبح طبيب باطنة تكتب أدوية للإسهال وعسر
الهضم!!

تفتح حقيبتك التي خيبتها بالأمس لتصبح لائحة بوضعك الجديد..
تخرج ثيابك البسيطة.. غداً سوف تمنحها لذلك البواب كهدية له وتشتري
ثياباً من تلك المحلات التي تنير شوارع وسط البلد.. تقولها لنفسك مراراً
وتكراراً (سوف أكون لائقاً بوضعي الجديد)!!

كتاب في قلب الحقيقة؟؟ من وضع كتاباً لك هنا؟؟ أنت لا تحب القراءة
ولا تطبيقها.. إذن لمن هذا الكتاب؟؟

لا بد أن عبير شقيقتك قد وضعتك بالخطأ في الحقيقة.. ربما يخص عصام
فهو قارئ شره لكل الكتب.. الكتاب قديم ومهترئ وكأنها أصبح جاهزاً
ليعش على العنكبوت.. اشتمزت للفكرة وارتعشت يلك.. أنت لا
تحب العناكب ولا تطبيقها.. إذا رأيت أحدهم ينصب بيته في مكان ما تفر
تاركاً المكان وأنت موشك على إفراغ بطنك!!

فلتركه هناك على طاولة السفرة كنوع من ادعاء الثقافة.. لربما جاء
برنامج ما ليصور شقتك.. فلتجعل من نفسك مثقفاً تقرأ كتباً قديمة أكل
عليها الدهر وشرب!!

لماذا لا تقوى على النوم؟؟

تجلس فوق تلك الأريكة الواسعة المريحة.. اطفأت الأنوار وشربت
اللبن البارد وخفضت التكييف إلى درجة قارسة البرودة.. ولكنك لا
تستطيع النوم.. ذلك الكتاب يحتل جزءاً كبيراً من تفكيرك.. الغلاف

الجلدي القديم.. العنوان المطبوع.. يا ترى ماذا تعني كلمة (الرهاب)؟؟
غذاً سوف تسأل عصام عن معناها.. أنت متعلم ولكنك لست مثقفاً ولكن
عصام كذلك..

تقرب من الكتاب رويداً رويداً حتى تفتح صفحاته المصقولة ذات
الرائحة القديمة.. تقلب الصفحات حتى تقف على تلك الصفحة المطوية
على قصة ما.

القصة تدعى (أرملة سوداء)..

فقط تبدأ الآن في القراءة.. إنها قصة سخيقة تتحدث عن رجل يجلس
وحيداً في منزله ليلاً ولا يقوى على النوم.. فقط عندما تبدأ عيناه في
الانغلاق يظهر ذلك العنكبوت الضخم من أسفل الأريكة فيقضم فخذه
ويهرب.. لينزل أسفل الأريكة من جديد.. الرجل يصيبه الدوار والغضب
معاً.. الغضب يفقد التوازن فما بالك بالدوار أيضاً.. وعندما يحركه غضبه
لينظر تحت الأريكة محاولاً اصطياد ذلك الكائن المقرز يفاجأ بتلك اللدغة
في رقبته.. الدوار يتسع، وذلك العنكبوت الضخم يلعق قوائمه في تلذذ..

لماذا أقيت بالكتاب كأن ذلك العنكبوت لدغك أنت.. ورحت تنظر
إلى تلك القوائم التي راحت تبت للكتاب؟؟

لماذا تشعر بأن ذلك العنكبوت قد لدغ رقبتك أنت الآن؟؟

لماذا أقيت برأسك المنهكة من الدوار للخلف؟؟

إنه دوار تعب السفر يا هيثم.. خاصة إذا اختلط بقرص الترامادول الذي
ابتلعتة صباحاً لتخفي ملامح الإثارة والجنون في وجهك وتطفي قليلاً من
البلادة على شعورك وأنت تحتضن أمك الضريرة الباكية..

نم يا عزيزي..

فغداً يوم طويل..

إذا جاء..!!



(١٠)

مستشفى الهلال .. الواحدة مساءً

- الحمد لله الواد كان رايح في داهية.. لولا إن دكتورة آمال سعيد كشفت موضوع التسمم بسرعة ولحقته قبل ما يروح فيها.
- دكتورة آمال سعيد مين؟؟.. قصدك آمال سعيد خبيرة السموم؟
- إنت تعرفها؟؟
- ومين في مصر دلوقتي ما يعرفهاش يا عماد.. دي أكثر خبيرة سموم شهرة في المجال.. الست دي بتكتشف نوع الإصابة والسم كمان نوعه إيه من نظرة واحدة على الجثة وبعد الوفاة بكام يوم.. غير إنها ناشطة سياسية معروفة ووكيل مؤسسين حزب الإصلاح الديمقراطي.. أنا مش عارف إنت ظابط شرطة ولا مبيض محارة.
- يا عم خلاص عرفنا.. هو انا مخي دفتر..

ثم أشاح عماد وجلس إلى جوارى فاردًا ساقيه الطويلتين في عرض الطريق.. وأشعل لفافة تبغ غير عابى بلوحة ممنوع التدخين التي ذهبت الأثرية بالوانها الحمراء.

- إحنا في مستشفى يا تور.. اطفى السيجارة دي

- خليك في حالك..

ولكنني بذراعه محطما ضلعين على الأقل في قفصي الصدري الواهن،
وتابع:

- بتفكر في اللي انا بفكر فيه؟؟

- الحقيقة لولا العناية الإلهية ثم مجهود دكتورة آمال كان الواد ده راح في شربة ميه.. بيتهايا لي بقه مفيش حجة كده.. مجرد ما يفوق تجبيوا رسام الشرطة، ومن الوصف يديكم شكل الأخ اللي عمل النعي ال fake ده.. وفي ظرف كام ساعة تحط إيدك عليه..

- والله إنت اللي fake يا أكرم.. أبسط القواعد بتقول إن الراجل هيروح متكر عشان محدش يكون أي معلومة عنه..

نظرت إليه في حدة وكأنه احتمال مستبعد ثم فطنت إلى غبائي الشديد وأنه من الطبيعي أن يكون متنكرا!!

- عموما الجرنان كان فيه كاميرات مراقبة وانا طلبت تفريغ الشرايط في اليوم اللي قبل يوم نشر النعي.. وكلها كام ساعة واخينا ده يفوق ويللنا على شكل الأخ ده في الكاميرات..

فقط لتخرج الدكتورة آمال سعيد بقاتها الفارعة المشوقة التي لم تتأثر بسنوات عمرها الخمسين.. وشعرها الأشقر المعقوص كذيل حصان في أناقة.. فانتصبت قامة عماد قاطعة على مجال الرؤية.

- دكتورة آمال .. ممكن اشوف المجني عليه.
- No way يا سيادة الرائد.. المريض mentally disordered .. هو فاق نظرياً آه.. هنستنى لما حالته تستقر ويعدوا الكام ساعة الجاين ويعددين يبقى بتاعك إن شاء الله تشرحه حتى..
- يا دكتورة اعذريني الوضع مش مستحمل تأخير.. في ثلاث جرايم قتل حصلوا..
- أربعة أربعة..
- كانت هذه مني همساً حتى إن الدكتورة آمال ألقت عليّ بسهام نظراتها الثاقبة من خلف نظارتها الطبية الأنيقة حتى كادت تقتلني خجلاً فابتسمت في غباء وعماد يتابع:
- في أربع جرايم قتل لمجموعة من الأبرياء ما همش أي ذنب غير إنهم اشتروا أو قرؤا كتاب المختل اللي حاول يقتل الولد الغلبان اللي راقده جوه.. والولد ده هو طرف الخط الوحيد اللي حيلتنا دلوقتي.
- اعذرني يا سيادة الرائد.. أنا احب إن الشرطة تشوف شغلها hundred perecent .. وأنا كمان اشوف شغلي بنفس النسبة.. بس I'm so sorry .. المريض حالته حرجة ومن واجبي إنني أحبيه لحد ما حالته تستقر.. وبعدين يعني غريبة أوي.. هي كل جرايم المرقعة والنصب والقتل خلصت.. ولا عشان ابن البلطيمي فيها يعني.. إنتو ما تشوفوش شغلكم إلا عشان كده.
- مش عارف ليه حاسس بنبرة سخرية مش عاجباني في كلامك يا دكتورة.
- أنا ما طلبتش منك تعجب بنبرة صوتي ولا بطريقتي يا عماد باشا..

بعد إذنك عشان ورايا شغل.. وكمان مرة بقولهالك.. مفيش
تحقيقات من غير ما انا اسمح.. أوكيه.. excuse me .

ثم نصبت قامتها وواصلت طريقها مبتعدة.. تاركة عماد كمن تلقى
صفعة على وجهه تتعمق آثارها مع دقائق كعبها المتوالية السريعة فوق بلاط
الستشفى.

- قليلة الذوق جدًا جدًا

- يعني هي قالت حاجة غلط يا عمدة..

- وانا مال أمي أنا إن في ضباط ما يشفوش شغلهم عدل.. أنا راجل
بحب شغلي..

- إنت بس.. لكن أغلبية الداخلية...

- بص.. ما تخلنيش اكسر رقبتك نصين واخد فيك تأييده إنت كمان..
الكلمتين بقه بتوع الشرطة المتخاذلة والداخلية اللي عايزة معرفش
إيه تقولهم لأي حد تاني غيري.. إنت عارفني كويس وعارف إني
راجل بتاع شغل وعمر ما كان لي في اللوع ده.. ولا هو كل واحد
عايز يعمل فينا مناضل يرميها على أي ميري يلاقه في وشه من غير
تميز..

- خلاص يا عم قلبك ابيض

دوئ صوت هاتفه المحمول يقطع الحديث، فأجاب مستخدمًا لغته
الشهيرة في طمس كل الكلمات:

- همم.. إهمم.. جميل.. فين بقه.. إهمم.. همم.. طيب أنا في الطريق..

ثم أغلق الخط، ونظر إلى قاطعًا خيط فضولي:

- عبد التواب البشري.. ملحق سابق في سفارة مصر في زيمبابوي..
- أهلاً وسهلاً.. مين بقه؟
- ما هو لو تبطل تقاطعني زي المرة ال.. استغفر الله العظيم.. ده صاحب المشتل اللي كانت بتشتغل فيه أمل
- أمل مين؟
- البت اللي ماتت مقتولة في المشتل يا أكرم.. ده انت طلعت ميتين أهلي يا أخي.. أنا ماشي وبيننا تليفون.. سلام..
- كنت أنظر إليه بنصف عين من أثر أربعة أيام من الاستيقاظ المتواصل حتى أني لم أقرّ على رفع صوتي لأردّ عليه!! لكنه وكأنها تذكر شيئاً مال نحوي وضاعت عيناه حتى رسمتا أخدودين على قسبات وجهه.. وقال ضاعطاً على كل حروف كلماته:
- أنا عايز اعرف كل حاجة عن نوع السمّ اللي كان هيموت الواد صفوت بتاع الإعلانات ده.
- عصمت قصدك.
- صفوت.. عصمت.. جن ازرق؟ هو انا هناسبه.. وعايز اعرف إيه موضوع السم اللي لقوه في دم الواد لعيب الكورة.. وإيه علاقة العنكبوت اللي اسمه العذراء السوداء بالموضوع ١١؟
- الأرملة السوداء...
- أرملة.. عذراء؟ مش مهم.. المهم انا عايز اعرف الكلام ده في ظرف ساعتين.. تتشقلب بقه للدكتورة آمال دي.. تعملها أراجوز.. تعملها ميت.. أنا مستنيك كمان ساعتين في المديرية ومعاك الخلاصة.. فهمت؟!

الهاتف يرن من جديد... وعماد يهمهم وينته من جديد:
مممم.. فين... هممم... إوعي تحرك حاجة من مكانها.. هبعثلك
التهامي ومصطفى حالاً.. وأنا وراهم.
ثم أغلق الخط وتخطاني كأني جزء من ممر المستشفى المزدهم فحشت
الطلي وراءه محاولاً اللحاق به قبل أن تصيني جلطة.
- عماد.. انت يا عم اصبر هموت..

مفيش وقت.. في جثة ثانية في بنها.. عيل سواق لوري مشنوق في
ثلاجة فاكهة.
- وانت رايح بنفسك ليه.. مديرية الأمن هناك مافيهاش مباحث!!
- لا فيها يا خفيف.. بس الوزير بنفسه مدي تعليقات إن محدش يقرب
لأي حاجة تخص القضية دي غيرنا في مباحث العاصمة..
- وهما عرفوا مين إن الجثة تبع القضية؟!
- لأنهم لقوا نفس الكتاب في جيب الجثة يا أكرم.. ممكن تعمل اللي
طلبته منك بس.. الله يرحم والدبك.. ده انت أسلثت تفور الدم!!

* * *

- هي دي كحة برضه ولا دي خيالاتي المريضة؟؟
- في نبض هنا في نبض.. بسرعة عايز عشرة ملليجرام من ال....
- أكرم.. please give me a dam answer

* * *

(١١)

مكتب الدكتورة آمال سعيد.. جامعة (....).. الرابعة مساء

- أشكرك على حسن استقبالك يا دكتورة.. والله إنتي ما تعرفيش أنا معجب بشغل حضرتك إزاي على المستويين العلمي والإنساني..

- أكرم.. ده أقل واجب مني ناحية صحفي talent و hardworker زيك.. أنا قرئت التحقيق الصحفي بتاع قضية الدكتور طارق حسين.. ولما عرفت إنت حليت الموضوع إزاي قولت: wow , we .. have an excellent detective here

ثم أطلقت ضحكة عالية مجلجلة عندما لاحظت خجلي.. وراحت تتسلى بترتيب بعض الأوراق على مكتبها الشيه بطاولات تشريح دكتور علام وقد تناثرت أجزاء الجثث الورقية فوق كل شبر منه مع أقداح القهوة.

- ودلوقتي أنا معاك.. ده بقه حوار صحفي ولا جلسة استجواب ودية
عشان صاحبك ظابط المباحث!!

- زي ما حضرتك تحبي أنا معاكى .. بس قوليلي بقه حضرتك عرفتني
منين إنه صاحبي ١٩

- أكرم.. Don't play games with me .. مش انت لوحدك اللي
ذكي وبتعرف تربط..

- بس حضرتك كنتي شديدة عليه شويتين.

- غصب عني يا أكرم.. هو آه شكله ولد مكافح ومحترم وبتاع شغل،
وكان honest جدًا، وهو بيقوللي إن الوقت ضيق والوضع صعب..
بس انا عندي مشكلة كبيرة أوي مع الداخلية يا أكرم.. من ساعة
الثورة واللي شفته بعيني في الميدان وأنا عندي مشكلة كبيرة أوي مع
الداخلية عمومًا.. seriously it's not personal .. بس انا كده مع
أي ضابط .. ممكن اكون مصابة بمرض ولا اكون policophobic ..

ثم أطلقت ضحكة مجلجلة أخرى كادت تدمع عيناها معها.. لا أدري
حقيقة ما الطريف في وسم نفسها بمرض الخوف من ضباط الشرطة!! إن-
فشتها عايمة - كما يقول التعبير العامي.. يبدو أننا سنقضي الجلسة في خمس
جمل وعشرين ضحكة مجلجلة!!

- Sorry يا أكرم والله ما قصدي.. بس الفكرة خلتنني هموت من
الضحك.. أنا قعدت أسبوع معتصمة في الميدان بحاول أقنع
الشباب معانا في الائتلاف إنهم ما يبقوش Islamophobics وإن
ده مرض سيئ وإننا لازم نتفتح على عقول وثقافات بعض.. وكنت
بعمل rounds كتيرة على الخيم والتعدادات بتاعت الشباب عشان
كده.. وإن كل حاجة فيها الكويس والوحش ولازم ما نجتمعش
كل البيض في نفس ال basket .. وأنا شخصيًا مش عارفة اعمل
كده مع نفسي.

ثم واصلت الضحك مع نهاية أحرف جملتها حتى كاد اللعاب أن يتطاير من فمها الصغير المطلي بأحمر الشفافة.. ورفعت يديها نحو وجهي معتذرة.. ثم هدأ ضحكها قليلاً، وخلعت نظارتها الطبية ملقاة إياها في إهمال وسط أكوام الأوراق.

- خلاص خلاص.. أنا معاك آهو.. إتفضل اسأل عشان اجاوبك..

- عندي سؤالين يا دكتور الحقيقة..

- إديني أصعبهم الأول..

- إيه هو السم اللي كان هيموت الأخ عصمت؟؟

- ..Atropin

انعقد حاجبائي حتى كادا أن يلتحما فتابعت:

- ال Atropin مش سم في الأساس.. إحنا بنستخدمه كثير جداً في

عمليات العين عشان بيوسع قزحية العين شوية زيادة وفي حالات

ال Cardiac Arrest

- أفندم..

- تروق القلب.. سوري أنا هحاول أقلل المصطلحات شوية في

الكلام.. غصب عني يا أكرم..

- ولا يهملك يا دكتور أنا بتعامل..

- Any way .. الأترويين مفيد.. آه.. بس ده ما يمنعش إنه سام جداً

لما بيتاخد Oral قصدي من الفم يعني وبالذات لو كانت الجرعة

نباتية.. سمعت عن نبات اسمه Atropa Belladonna؟؟

- لا الحقيقة ما حصليش الشرف..

- النبات ده شبه الباذنجان لو حينا نقرب الصورة.. أنا ماليش في علم النبات ولا تصنيفاته بس أنا اعرف كويس أوي أي نبات بيطلع منه سم.. ال toxic plant ده مجالي الأساسي.. المهم إن الولد ده خد جرعة من النبتة دي عن طريق الفم.. جرعة صغيرة أوي ما تقتلش.. اللي اداله الجرعة دي حدّ professional جدًا.. ولما بدأ الأترويين يتسرب لدعه بدأت الأعراض من غير هو حتى ما يحس بيها.. حدة العين توسع جدًا.. عرق كثير أوي.. جفاف الحلق.. زوغان العين and so on..

وأنا الذي ظننت أن طريقي القاسية في الاستجواب كانت السبب في اصحاب عرق الفتى واضطراب نظراته!!

- معلش يا دكتور اعذريني أنا عارف إنه سر المهنة.. بس حضرتك عرفتي ده ازاي من غير تحليل الدم.. سوري الولد كان مغمى عليه..

- شوف يا سيدي.. الولد شفائفه كانت شبه الإسكيمو في بياضها.. وبعدين جسمه كان بيترعش أوي وكأنه متكهرب.. بالذات رجله الشمال.. شكيت الأول في السيانيد بس لقيت مفيش vomiting ولا diarrhoea.. إسهال يعني.. بس عينيه كانت مفتوحة حتى وهو غائب عن الوعي.. ولما لقيت البقع الحمراء تحت إيده قلت ده hundred percent Atropin.. عشان كده طلبت منهم يدوله جرعة Pilocarpine عشان يخفف شوية من تأثير الأترويين في الدم.. وبعدين عملنا غسيل معدة سريع واديناه شوية Potassium Permanganate عشان نقضي على أي بقايا للسم في معدته.. دي طريقي الشخصية اللي ناس كثير ما بتحبهاش.. but whatever أنا مقتنعة إن كده صح.. هو بس في ملاحظة قد كده..

- ملاحظة إيه حضرتك؟!!
- الشخص اللي اداله الجرعة ذكي أوي ومخترع أوي.. وكان متأكد إنك هتبقى هناك في الوقت ده يا أكرم.. من الآخر اللي حصل ده just a muscles show .. عايز يعرفك إنه قادر على حاجات كبير أوي فا عملك فرصة وذن يعني..
- واشمعني أنا شخصيًا؟؟
- ده سؤال تسأله لنفسك مش لي.. سؤالك الثاني بقه عشان عندي محاضرة بعد نص ساعة.
- الواقع إني لا أستبعد نظريتها أبدًا.. هي لا تعرف شيئًا عن الموضوع كما يبدو لي.. لكنها ذكية ويبدو أننا نتعامل مع شخص يعرف أين يضع قدميه.. بينما نحن كالقثران العمياء نتحسس طريقنا فلا نجدّه!! وإنا نحتاج إلى بعض العقول المتحركة التي تلعب خارج الصندوق مثل عقل هذه السيدة التي رشحت لجائزة بنيامين فرانكلين حينما كانت تعيش في أمريكا!!
- إيه هو اللاتروتيوكسين Latrotoxin؟؟
- القهوة دي بردت وما بقتش تشرب خالص.. إنت بتكلم عن Black Widow بقه.. تشرب قهوة معايا
- ثم نهضت من خلف مكتبها في رشاقة نحو ماكينة قهوة أمريكية صغيرة، وراحت تتحدث وهي تحاول ضبطها لصنع قدين من القهوة:
- بص ال Latrotoxin ما بيقتلش زي الاتروبين إلا بقه لو كانت الجرعة عالية أوي.. النسبة بتاعت التسمم من السم ده بين ١٠٠ ل ١٤٥ ميلليجرام لكل كيلوجرام.. يعني تقريبًا خمس عناكب مع

بعض ممكن يسمموا بني آدم وزنه ستين كيلو.. عشرة جرام سم
تقريباً لو حسبناها...

- معلى اعذريني حضرتك.. أنا ما جيتش سيرة بني آدم أصلاً.. ده
مجرد سؤال عن...

- أكرم.. إوعى تعمل كده معايا.. Don't jump around the
Bushes.. أنا ليا معارف أنا كمان وبعرف برضه اللي بيدور جوه
المطبخ.. غير إني كنت بتعشى مع مدام علام امبارح.. ودكتور علام
شخصياً is a very best friend..

ثم منحني ابتسامة صفراء لا بأس بها، وناولني كوب القهوة الأسود
منابعة:

- الدكتور علام حكى كل حاجة كصديق وكزميل عايز يستشير حدّ
في الموضوع، وده مش عيب ما دام I can keep secrets .. ومن
غير ما افحص الجثة يا أكرم أنا متأكدة.. لدغتين عنكبوت مش ممكن
يقتلوا الولد ده.. أما بالنسبة للعضة اللي في رقبته.. فاهي مش عضّة
عنكبوت نهائي يا أكرم..

ثم تناولت كتاباً فخماً مليئاً بالصور من قلب كومة الأوراق المبعثرة..
وفتحته على صفحة ما ثم ناولته لي..

في تلك الصفحة يوجد صورة ملونة جميلة لجثة بشرية ازرقّت شفّتها
وأطرافها مع صور جانبية لأشياء تشبه الثقوب..

- الجثة دي ما بتفكرش بحاجة؟!!

- شفت شبهها في مشرحة زينهم من ستين.. كان رجل أعمال اتقتل
بالسم وغطّسوا جثته في المية عشان تبان إنها حادثة غرق عادية..

- ما شفتش حاجة شبه كده من كام يوم يا أكرم.. حد مصاب بتسمم وفي أعراض زي دي عليه مالهش علاقة بتسمم اللاتروتوكسين..
- حضرتي تقصدي إن..

Bingo -

يبدو أن حلقة مفقودة مني هنا.. الكلمات اللاتينية تحت الصور عسيرة الفهم وتمتلئ بمصطلحات عميقة لا أفهم منها حرفاً.. عن أي تسمم تتحدثين يا سيدتي؟؟

- الموضوع واضح لينا جداً يا أكرم.. السم اللي كان في جسم الولد كان خليط من بثوال الصوديوم وكلوريد بوتاسيوم وحاجة كمان اسمها بانكورونيوم بروميد.. اللي معروفة جداً في أمريكا بـ Lethal Injection ..

- ثواني ثواني.. لو انا مش غلطان حضرتك تقصدي...
- أبوه.. اقصد حقنة الموت يا أكرم..

* * *

(١٢)

مديرية الأمن .. الثامنة مساء

- جميل .. يعني احنا كده متفقين إننا قدام قاتل متسلسل .. بيقتل حسب ترتيب عشوائي لقصاص في كتاب قديم لمؤلف مغمور .. من غير دافع ولا هدف ولا تسلسل محدد .. أنا محظوظ والله .. أكثر ضابط مباحث محظوظ في المجرة .. لا مجرة إيه .. ده أنا أشهر ضابط مباحث في الكون ..

- ما تهذ يا جدع إنت وتسمع كلام الراجل الكبّارة اللي قاعد .. قول يا دكتور سليمان الله يكرمك ..

الدكتور علام يجلس في طرف المكتب بجوار الطاولة فاردًا ساقيه المصابتين بالخشونة، وعيناه الرماديتان تحدقان إلى دكتور سليمان في ثبات من خلف دخان سيجارته المنعقد في هواء الغرفة الكئيب ..

- تنحج الدكتور سليمان عدة مرات كعادته بعد إيمانه للمعسل..
- في الحقيقة يا رائد عماد إحنا قدام قاتل في متهن الذكاء ومتهن الاحترافية.. إحنا بقالنا ساعتين في العيادة عندي بتناقش أنا والدكتور علام وكيمو عشان...
 - كيمو ده اللي هو أكرم؟!!
 - ما علينا.. إحنا درسنا النسخة اللي مع أكرم كويس أوي.. وزى ما توقعت الراجل كاتب مجموعة من القصص القصيرة الطححة جدًا اللي مرتبطة بالرهاب أو الفوبيا..
 - ودي حاجة كلنا عارفينها..
 - صبرك عليا يا عماد يا ابني.. أنا لسه ما خلصتش كلامي..
 - ثم أطلق زفرة ملل محققًا في بحدة؛ وكأنه يقول لي لائثًا: "أنت من طلب مني الحديث مع هذا الضابط الملول قليل الذوق".
 - هي عادته ولا هيشترها يعني يا دكتور!!
 - خليك في حالك يا.. يا كيمو.. كمل يا دكتور بعد إذنك.. مساعد الوزير ناقص بيعتلي اتنين عساكر يقبضوا عليا عشان كده تلاقيني مستعجل بس.
 - بص يا عماد.. إحنا بعد مناقشات مطولة.. اتأكدنا إن الكتاب ده كوموفلاج.. تمويه يعني.
 - وضح أكثر الله يباركلك.
 - طعم يا عماد باشا.. أرنب سبق يا سيدي.

كانت هذه من الدكتور علام، فأشار له الدكتور سليمان بإبهامه مؤيداً
م تابع:

أي حد درس علم نفس جريمة واحتك بموضوع ال Serial Killers أو القلة المتسلسلين عارف دايماً إنهم ييجبوا الشهرة.. ييجبوا يتلوا بشعور الأقوي والأذكى والمتحكم في زمام المبادرة.. وده راجع لشوية مركبات نقص على شوية رغي تحليل نفسي مش هيفيدوك كثير..

- المفيد يا دكتور سليمان..

- المفيد يا حضرة الرائد إن الأخ ده أيّا كان هدفه ما بيقتلش بتلّ قصص الكتاب وبس.. ده بيقتبس القصة وينفذها حرفياً، بس مع شوية إضافات.. القاتل ده بينفذ جرايمه بطريقة علاجية قديمة من الفوبيا كانت مستخدمة في أواخر السبعينات في الاتحاد السوفيتي لعلاج المرض النفسي.. الطريقة اسمها...

- واجه مخاوفك قبل أن تقتلك..

- براقو عليك يا عماد..

- أنا ضابط شرطة آه بس اعجبك يعني.. اتفرجت مرة على فيلم على ناشونال جيو جرافيك عند أخينا ده كان بيتكلم عن الموضوع المكعبل ده.. بس اللي انا فهمته دلوقتي إن الأخ ده بيبي..

حانت مني ابتسامة ساخرة وأنا أقاطع عماد متابعا:

- بالضبط يا حضرة المعاون.. القاتل ده أخذ على عاتقه تطهير كل هؤلاء المرضى من مخاوفهم بمواجهتهم ليها.. حتى ولو كانوا غير مرضي أصلاً.. من الآخر يا عماد وبمختصر المفيد.. القاتل بيطبق

كل وسائل العلاج بالمواجهة على القتلى الغلبة.. بمنتهى الحساس
ومنتهى التفاني.

- بس معنى كده إننا..

ثم دار ببصره في وجوهنا نحن الثلاثة ثم توقف على وجه دكتور سليمان
متابعًا:

- معنى كده يا دكتور إننا لازم نتحرك بسرعة قبل ما يفوت الأوان..

- هو كلامك مضبوط في حالة واحدة بس يا ابني.. إن الأوان يكون
له ما فاتش أسامًا

* * *

- هيدروفوبيا.. هيدروفوبيا..

- أكرم.. سامعني.. علي صوتك شوية.. بتقول إيه؟؟

* * *

(١٣)

مديرية الأمن.. الثالثة صباحاً

فرخ كبير من الورق المقوى يلتصق بحائط من حوائط غرفة مكتب عماد، وقد كتب عليه بخط صغير منظم أشهر عشرين نوعاً من الفوبيا..
لها أصر الدكتور سليمان على وضع أسماء القصص التي تتعلق بهذه الأنواع أمامها إلا أن عماد طلب منه أن يستريح قليلاً لأن فريقاً كاملاً من مخبري المباحث يقومون بذلك الآن.. ثم يمكنهم إضافة ما استخلصوه..

عماد قد فكّ أزرار أكمام قميصه ولفافة التبغ المشتعلة تتدلى من طرف يده، وهو عاقد ساعديه كجنرال يحاول أن يشرح لمجموعة من الضباط مديني العهد بالقتال.. تصوره لأرض المعركة القادمة..

- دلوقتي يا دكتور سليمان أنا على حسب ما فهمت منك.. الأخ ده استخدم خمسة أنواع من طرق القتل اللي عايز تسميها (قتل تطهيري) ولو إني مش فاهم معناها إيه.. وإن الخمس أنواع دول

لسه في غيرهم حوالى خمناشر أو عشرين نوع مشهور من الفوبيا.
ده غير بقه الأنواع نادرة الإصابة غير الأنواع اللي لسه العلم
بيكتشفها.. كده أنا واصلا في المعلومة صح؟؟ دكتور سليمان.. يا
دكتور سليمان..

صوت غطيظ الدكتور سليمان يصمّ الأذان.. الرجل العجوز فقد القدرة
على التحكم بجهازه العصبي، وذهب إلى سبات عميق يأكل فيه أرزاً مع
الملائكة..

- إيه ده.. هو نام!!
- لا ما تشغلش بالك.. دي السيمفونية العاشرة لبيتهوفن..
- زفر عماد في ملل ونظر إلى ساعة الحائط التي تشير للثالثة والنصف..
- أكرم..
- خير..
- روح نام إنت كمان يا أكرم.. قعدتنا دي مالهش لازمة دلوقتي..
مفيش تحركات جديدة للقاتل واحنا مش عارفين نوصل لأي
نتيجة.. مالوش لازمة التطبيق والفرهدة عالفاضي.
- ما تشغلش دماغك بيا.. أنا معاد نومي الطبيعي فات من ساعتين..
بقولك.. ما تيجي نتمشي شوية تحت واعزمك على حجرين معسل
عالقهوة.. يلا يا جدع يلا..
- ثم ربت على كتفه العريضة وناولته سترته التي أوشكت على أن تبلى من
كل أطرافها.. وتركنا المكتب مترجلين على سلاله مديرية الأمن التي بلت
أطرافها كثرة عماد.
- إنت يا جدع انت مش ناوي تحبيلك حنتين حلوين بدل الجواكت

اللي هتدوب وتبقى شبه هدوم شحاتين السيدة

- انت شايفني فاضي حتى أشوف امي العيانة.. ده انا بيات في المديرية بقالي خمس تيام.. وبعدين توضيب الشقة بالعمالي ورايا واللي قدامي.. وحضرتك ظابط شرطة بقة.. يعني لازم شقتك تبقى على أحدث طراز وأحسن توضيب.. غلابة ما يعرفوش اللي فيها.
- ما تدعش الفقر عليا ياد..

- جتك خيبة أمال لو ما كتتش بمدّ أيدي في جيبك كل شهر.. بالمناسبة معكش ميت جنيه سلف لحدّ ما نقبض البذل..

- على رأي المثل.. شحات يشحت من شحات يطلع في.... إيده حسنة
- آه يا وسخ..

إلى الشارع الخاوي أمام مديرية الأمن ترجلت أقدامنا ورحنا نتسكع بالأيام الخوالي.

- بتضحك على إيه يا اسطى؟

- افكرت أيام الطبري.. لما كنت بتقول للأستاذ فهمي الله يرحمه إنك نازل تذاكر عندي.. وأنا أقول للعقيد محمود حمدي الله يرحمه إني رايح اذاكر عندك.. واحنا في الآخر ماشين بتسرمح في مصر الجديدة الساعة ثلاثة بعد نص الليل.. فاكر...

- إلا فاكر.. طب دي قهوة السوايسة ياما شافت عشرات دومنة كنت جهزاً اللي خلفوك فيها.. فاكر الظابط اللي وقفنا عند الاتحادية الساعة ثلاثة صباحاً وكان عايز البطايق.. ولما عرف إن مفيش بطايق كان هيشحننا عالبوكس زي المسجلين..

- ودي حاجة تنسي.. طب ده لولا إني قولتله أنا عماد محمود حمدي

ابن العقيد محمود حمدي رئيس مباحث مصر الجديدة كان سحنا
عالمقسم.. وكان ابويا مات بالذبيحة الصدرية من قهرته على اب
الفاشل..

- أنا فاكرك لما شاف كارنيهات المدرسة صدقنا مش عارف إزاي.
وانت اللي كنت لسه بتشتمني قبلها بربع ساعة عشان خدتك من
إيدك عند المشرف الاجتماعي عشان نعملها.. كنت بتقول عليا
ساعتها عيل سيس تربية ستات.. آدينا كنا هنبقى سيس رسمي.
يومها إنت قررت إنك لو حتى جبت ٩٠٪ في الثانوية برضه هتدخل
كلية الشرطة عشان محدش يوقفك في الشارع تاني.
- ويومها قررت إنك هتبقى ظابط عشان نفضل سوا.. ونعمل بنه
ثنائي ولا ريجز ومورتاه في زمانهم (أبطال فيلم السلاح القاتل).
ثم تبعها بضحكة ساخرة وضربة فوق ظهري كادت تلقيني على
الرصيف قتيلاً..
- يومها قولتلك إنك معصعص واضبش بنظارة وما تنفعلش ضابط
إيقاع حتى.
- ويومها أنا قولتلك إنك غبي ومخك على قدك وما تنفعلش أمين
شرطة في إشارة مرور.
- أطلق ضحكة صافية مجلجلة.. وأخرج لفافة تبغ محاولاً مع قداحتي
الخربة.. إلا أنها استجابت رغم ذلك.
- أيامها كنا فاكركين العيشة سهلة.. والواحد ممكن يبقى اللي هو عايزه.
- وطبعاً كالعادة ابن الظابط طلع ظابط عشان أبوه قام بالواجب.
- وعم فهمي الله يرحمه مارضيش يفتح غمه ويشغل عشان تعدي.

ثم الجھنا نحو أحد المقاهي التي تضع مقاعدها في الشارع.. فجلست
صمقت بيدي لذلك النادل النحيل الذي ما إن رأى عماد حتى انتصبت
.. وركض مسرعاً.

عماد باشا.. نورت المكان يا معالي الباشا.. أوامرني
إزيك يا عزوز.. عامل إيه وإزاي عيالك.. هما بقوا كام دلوقتي؟
ثلاثة والولية بنت الكلاب حامل ثاني.. قال إيه لازم تجيلي واد
يشيل اسمي.. قال يعني هيشيل اسم ابو تريكة ولا مؤاخذه.. ما
علينا يا كبير مش عايز ادوشك معانا.. أوامر البهوات.
اتنين شاي ثقيل.. وشيشتين قصص.. بس قص يا عزوز مش معجون
الصراصير اللي بتخطوه فوق الشيش.. ما تفضحوناش قدام
الأجانب.

- عينا يا عماد باشا.
- السكر برة يا عزوز الله يكرمك.
- عينا يا أجنبي باشا.. وعندك معلتين قصص واتنين على بوسطة
سكر برة وصاية للباشا الكبير.
وانطلق الفتى يتعثر ويتخبط من أثر الرهبة، بينما وضع عماد ساقاً فوق
ساق وقال:

- قوللي بقه يا كيمو.. إيه رأيك في كلام الدكتور سليمان؟
- إحنا بنضيع وقت في حوار الفوبيا وربطها بالجثث الصراحة..
المفروض نركز مع عصمت وكاميرات المراقبة بتاعت الجرنان اللي
اتنشر فيه النعي.. بالمناسبة الواد ده فاق صحيح؟

- والرسام اذانا صورة مبدئية عملنا بيها إخبارية ومذكرة ضما
واحضار كمان.. وتقريبًا كاميرات المراقبة حددت لنا جسم الراجل
وطوله مع الصورة ممكن يجوا بفائدة.

- وتقرير الدكتور علام.. خلص؟؟

أتى الفتى بالشيثة ووضعها أمامنا، فراح عهاد يسحب أنفاسًا عميقة
تليق بمعلم في سوق الخضار ثم قال متابعًا:

- جثة الواد لعيب الكورة فعلاً محقونة بالحقنة اللي قالتلك عليها
دكتورة أجاثا كريستي.. العنكبوت دخله حالة دوار وانعدام
وزن خلّت القاتل يعرف بحقنه في رقبته بسهولة.. جثة البنت
بتاعت المشتل كانت مصفية دمها كله تقريبًا، والجرح بتاع الكعب
هو السبب في الترف.. بس الغريب بقه إن دكتور أحمد يقول إن
البنت صفت دمها في مدة أقل من المفروض يحصل معاها.. وإنه
احتاج كام جرح كمان عشان الهبوط يحصل وتموت.. غير بقه شوية
الجوابات والصور بتاعتها هي وخطيبها الدكتور ده.. اللي أكد ساعة
استجوابه إنهم اتسرقوا منه من أسبوع..

- ما يمكن حب قديم وبينتقم مثلاً؟؟

- لا بعيدة شوية.. البت عمرها ما كان ليها أي علاقة بأي راجل طول
عمرها غير أبوها وأخوها.. بيضا خالص ولسه خام.. الواد خطيبها
دكتور فاتح عيادة باطنة في حدائق المعادي عشان يلمّ فلوس رسالة
الدكتورة بتاعته ويعرف يتجوز.. حطلي معلقتين سكر الله يباركلك..
تسلم إيدك.. علاء ابن البلطيمي بقه كان مأجر شقة في العمارة دي إيجار
جديد من شهر.. والبواب قال إنه كان بيعجي لوحده ويمشي لوحده..
ولما فتحنا الشقة لقينا كنبه وترابيزة وكرسيين.. وميزان حساس..

ده |نجار كمان مش تعاطي..

هو الاتنين الحقيقة.. تحليل الدم لقى آثار مخدر.. وترامادول..
وباركينول.. غير بقه إن دكتور علام شك في حاجة فاعمل تحليل
مش عارف اسمه كرامتوجرافيا ولا معرفش إيه.. فالقى في دمه
محلول اسمه بنشوال الصوديوم.. عندك فكرة عنه؟؟

.. هبت نفسًا عميقًا من الشيثة الحارّة حتى توهج الفحم وأصدر
أنا أنا تليق بناره المستعرة.

الصراحة كل اللي اعرفه عنه من القصص بتاعت نييل فاروق إن
اسم الشهرة بتاعه محلول الحقيقة.. وزى ما يكون بيخلي المحقون بيه
زى المتنوم مغناطيسي كده..

فكرتك عنه قرية من الحقيقة شوية.. هو زى ما قال الدكتور
هولمز علام بيعطل وظائف المخ المتقدمة زى القدرة على الابتكار
والإبداع.. غير ضعف التحكم في العضلات والأعصاب.. يعني
بيخليك عروسة معدومة الرأي تقريبًا.

فتت دخان الشيثة في تلذذ وجرعت جرعتين صغيرتين من كوب
الأناناس، وقلت وأنا أعدل من وضع نظارتي:

والمحامي وسواق اللوري؟؟

المحامي بقه شارب كمية حمض كاربوليك.. الفنيك يعني زى ما
فهمني دكتور علام.. المشكلة بقه إن ساندوتشات الفول اللي لقوها
جنبه...

- مسمومة.؟؟؟

- سيانيد.. سم فتاك وسريع العمل.. خلّص عليه بعد قطمتين تقريبًا..

وبعدين راح ذابح القطة ورامبها في حجر القليل ومشى.. الفيلك دال
تموية عشان عمرنا ما كنا هنفكر نحلل الفول لولا دكتور علام.. سواف
اللوري بقه هو الحادثة الوحيدة الطبيعية.. واحد خنقه من وراه وعاه
في ثلاثة فاكهة على درجة مالب خمسة متوية لدرجة إننا لما لقينا الجاه
كانت زي ما تكون مقتولة من ماعة، وطبعاً في حوالي ستة طن موز
راحوا في الحادثة.. في شوية ترامادول في معدته ودمه بس مفيش أي
سموم.. يا عزوز..

ثم ألقى بمبسم الشيشة رافعاً عقيرته لينادي على ذلك النادل الذي راح
يقسم الأيمان كلها إن الحساب وصل وإن المعلم سيقطع رقبته إذا أخذ ما يما
فزره عماد غاضباً:

- يا باشا والله ما ينفع كده...

- ولا يا عزوز.. من إمتى ياد بشرب عندكو شكك.. ما تخليش
احلف ما اعتبها ثاني..

- لا يا باشا الطيب احسن..

أنقده الجنيهاات التي طلبها مع بقشيش محترم يعادل سعر ما شربناه.. ثم
اصطحبني مترجلين في طريق العودة إلى المديرية حينما قلت:

- يعني لو افترضنا إن نظرية دكتور سليمان صح.. يبقى احنا عندنا
خمس حالات تطهير من خمس أنواع فوبيا.. أكروفوبيا (الأماكن
المرتفعة) أنثوفوبيا (الزهور) أركانوفوبيا (العناكب) إيلوروفوبيا
(القطط) فريجوفوبيا (التجمد).. تفكر ده معناه إيه؟؟

- معناه إنك لازم تنام شوية عشان مخك لفت.. وعشان انا كمان لازم
اكون بكرة الصبح في ديوان الوزارة عشان عندي تحقيق.

خير عملت إيه.؟؟ يكونش أهل البلطيمي اشتكوك؟

لا أهل البلطيمي حطوا الجزم في بقهم لما عرفوا موضوع الحشيش،
وطلبوا مننا سرعة البحث بس ولو احتجنا منهم أي مساعدة فهما
حاضرين بكل... إلخ إلخ.. والهرتلة دي.. ده ضابط زميلنا عامل
مصيبة في قسم الدرب الأحمر وهما طالبني للتحقيق عشان كان
شغال معاينا هنا في المباحث قبل ما يروح هناك.. الحقيقة هو يستاهل
كل خير.. مش كان دفعتي وصاحبي.. لكن استغفر الله العظيم لو
اتحرق صاحبي يبقى حلال فيه..

زفرت في ملل وأنا أصعد معه درجات السلم الرخامي الذي خرب
صفه وتحول إلى فخ للسقوط من عل.. ودلفنا إلى المكتب لنجد الدكتور
سليمان نائماً كالفيلة!!

- دكتور سليمان.. يا دكتور سليمان..
- يا أم جمعة قوتلك النهاردة أجازتي وأنا.. مين أكرم؟؟.. هو انا
فين؟؟!!
- في مديرية الأمن يا دكتور.
- وكم الساعة لو سمحت؟؟
- الساعة فاضلها دقيقتين وتبقى خمسة صباحاً
نهض متمطعاً وفارداً ذراعيه:
- جميل بقه كده الواحد يصحى يصلي الفجر ويفوق شوية.. صباح
الخير عليكم جميعاً.. مفيش قهوة قرية هنا الواحد يشرب قهوته
الصباحية ويأخذ حجرين معسل بسرعة؟

- أول مجلس الأمة في قهوة كويسة.
- طيب تمام.. تيجي معايا يا أكرم.. يلا تعالى وبعدين اوصلك الدقي في طريقي.
- ثم تقدم نحو باب المكتب، ونظر نحو الورق المقوى.. وكأنها تجمد في مكانه.. توقف وظهره لنا.. ثم التفت ناحية الفرخ المقوى وانعقد حاجباه وهو يتقدم نحو الحائط حتى كاد يلتصق به..
- أكرم.. ناولني قلم إذا سمحت.
- ناولته القلم فراح يضع دوائر حمراء حول بعض الحروف في أسماء مصطلحات الفوبيا التي انتشرت على الورق المقوى وأنا وعماد نراقبه ثم قال متابعًا:
- أظن يا سيادة الرائد إني عرفت الهدف القادم لأخيئنا سفاح الفوبيا.
- اتسعت عينانا في دهشة وانعقد حاجبا عماد كديدهنه كلما لفت انتباهه شيء وهو يشير لنا بطرف القلم كي نقرب من لوح الورق وقال:
- فاكربين لما اتكلمنا على حب القاتل المتسلسل للظهور والميديا وانه كمان بيحب يسب دليل وراه للشرطة عشان يعرف يمرح معاها شوية.. لو طبقنا الكلام ده هنا.. هنلاقي الدوائر الكبيرة اللي رسمناها حوالين الخمسة أنواع التي اكتشفناها في جرايم القتل الخمسة، أما الدوائر الصغيرة اللي عملتها بالقلم فبتبين حسب تصوري الحروف الخمسة اللي بتوضح نوع الفوبيا اللي هيستخدمه القاتل.
- رحت أنظر إلى الدوائر الصغيرة في الكلمات الخمس ثم قلت متابعًا:
- اعذرني يا عم احمد.. إنت بس مش متعود على نومة الكنية فامش

مركز معانا في نقطة هنا.. فرضًا إن نظريتك صح مية في المية.. إنت معلم بخمس دواير على خمس أنواع اللي هما:

- Arachnophobia - Hemophobia - Acrophobia
Frigophobia - Ailurophobia

- المرتفعات - الدم - العناكب - الققط - التجمد

- تمام.. هو ده قصدي.

- ده بقه مش صح يا دكتور.. بفرض صحة النظرية.. فا الكلمة الصح هي Anthophobia أو الخوف من الزهور.. بمعنى أصح وبوضوح كده.. الحروف الخمسة بتوع حضرتك مش مطبوعين.

- اعذرني يا أكرم ولكن إنت اللي دماغك مشوشة من قلة النوم.. البنت حسب تقرير الطبيب الشرعي بدأت النزف من كعبها الأول وبعدين بقية الجروح.. وجرح الكعب كان بالة حادة.. والقصة اللي في الكتاب المخبول اسمها (الجرح الأخير) بتكلم عن خوف البنت من مظهر دمها وده خلاها ما تاخدش بالها إنها بتغوص في الجروح ثاني ومفيش أي زهور في الموضوع.. وضحت الصورة؟!!

ثم تناول قلمَ خطٍ عريض كان ملقًى فوق مكتب عماد وكتب خمسة حروف إنجليزية متجاورة قائلاً:

- الحرف الأول من الكلمة الأولى A الحرف الثاني من الكلمة الثانية E الحرف الثالث من الكلمة الثالثة A الحرف الرابع من الكلمة الرابعة U الحرف الخامس من الكلمة الخامسة هو O.. مما يعني أن عندنا كلمة AEAUO.. عندك فكرة الحروف دي ممكن تجمع كلمة واضحة؟؟

- يا دكتور سليمان الموضوع مش...
- سيبه يكمل يا أكرم وما تقاطعوش بعد إذنك..
- يا سلام.. ده إيه الخيال الجامح اللي نزلك عليك فجأة انت كمان...
- حول بصره ناحيتي وأشار بيده أن أصمت قبل أن أقطع رقبك فابتلعت لساني ودكتور سليمان يتابع:

- هي فعلاً كلمة عديمة المعنى.. بس لو حطيت قصاص كل حرف الرقم اللي يقابله في الأبجدية الإنجليزية.. نعمل جدول صغير كده عشان أوضحلك الصورة.. كده يبقى عندنا أرقام ١ و ٥ و ١٠ و ٢١ و ١٥٠
- وبعدين.. برضه مفيش أي معنى لل...
- ما تصبر على رزقك يا بني آدم.. جمع بقه الحروف دي يبقى عندك رقم.. واحد زائد خمسة يبقىوا ستة وواحد سبعة وخمستاشر يبقىوا...
- المجموع ٤٣ يا دكتور.. ٤٣.

عماد انطلق كالفهد إلى مكتبه ورفع نسخة الكتاب النائمة فوقه في خمول وتحدّ وفتح الصفحة رقم ٤٣ ثم قرأ بصوت عال:

- أربع حيطان!!

ثم نظر نحوي ونحو دكتور سليمان متسائلاً، وتابع القراءة:

- إن زقزقة الطيور فوق أعشاش أشجارها الملتوية هي شيء يبعث البهجة في صدور بني البشر، عدا أجمد، إن هذه الزقزقة تبعث في قلبه قشعريرة تصيبه بالخوف حتى تطمئن نفسه وتركن إلى نومه متلخفاً بالسماء الزرقاء الصافية، في هذا الوقت فقط يبدأ صباح أجمد المتكرر المستديم، ولهذا فقط يدفع إيجار تلك الغرفة الباهظة في أطراف المحروسة حتى ينام بجوار باب الغرفة الخشبي الضعيف

ملتحفًا سماء زرقاء تشعره بالطمأنينة والسكينة... أنا مش فاهم
حاجة من الهبل ده!!

- عدي كالم سطر وكمل يا عماد..

- طب خد انت بقه عشان انا ما فياش دماغ للهبل ده..

القى عماد بالكتاب إليّ كأنه يتخلص منه فعللت نظارتي وأكملت:

- ولكن ذلك اليوم لا بد أن يأتي، يوم ترتكب إرادته الحرة الطليقة
كغزلان البراري ذلك الخطأ، ويظل أمجد ساهرا خارج بيته إلى
منتصف الليل فلا يجد من يقله إلى منزله في أطراف القاهرة الهادئة،
إذن فلا بد أن تنام في ذلك الفندق يا أمجد، لكن هل يمتلك الفندق
سطحًا مفتوحًا إلى عنان السماء كغرفتكَ الصغيرة؟؟ إنهم يطردونك
الآن من "ماتيا" لأن التعليمات تقول إننا سنغلق في العاشرة مساءً
، إن الأحكام العرفية يا أمجد أفندي لا تعرف خوفك المستديم من
حوائط الغرف الضيقة، والبوليس لا يرحم الشاردين والمتسكعين
من الأفندية أمثالك، بيد أنك بعد كل هذا لو استطعت عبور
الحواجز والمتاريس سوف تفاجأ بعربات جيش الإنكليز تغلق
الطريق، كما أن الطريق إلى جنوب القاهرة...

- السطر الأخير يا أكرم إذا سمحت الله يكرمك..

نظرت نحو عماد الذي راح يسجل ملاحظات في ورقة ما وكأنه ليس
معنا، بينما الدكتور سليمان يمدق إليّ في نفاد صبر.. فتابع:

- أنت نائم الآن هنا يا أمجد في غرفتك الضيقة المتزوية في نهاية الممر
الخالي من النزلاء، تحاول اجتراح الذكرى الجميلة كي تبعث طمأنينة
في نفس المستعرة شوقًا إلى نوم ما بعده تعب، إن النوافذ مغلقة وقد
صُبغ زجاجها بالأزرق الداكن حتى لا ترى الطائرات ذلك الضوء

الضعيف الذي يخرج من لبة الجاز، والحائط يضيق عليك وأن .
تصرخ، تصرخ مثل امرأة سلبوها ولدها الوحيد في ليلة شتاء زلعة،
لكنك مشلول الحركة لا تستطيع الركض، أنفاسك تضيق والحائط
يضيق، حتى صراخك لا يخرج من حلقك يا أمجد، والغرفة تضيق،
كسّم الحائط..

رفعت عيناى مذهولاً من فوق الكتاب بينما عماد يجري مكالمته هاتفه
غاضبة:

- صباحية مباركة يا اخويا.. دي خامس مرة يا علي.. يعني إيه الساعة
سته صباحاً هو احنا شغالين في بنك.. اصحى معايا وفوق كده..
هتكلم رئيس مباحث حلوان وتصحيه من النوم.. وتأخذ بعضك
وتطلع على القسم.. عايز كردونات حوالين كل المباني هناك.. أي
حد بطاقته مش على حلوان يتفتش ويتعرف أصله وفصله.. والله
لو خرجت صف الضباط والمخبرين كلهم حتى دي مش قصتي..
أيوه الموضوع ليه علاقة بسفاح الكتاب.. شكراً يا سيادة النقيب..
مستني منك مكالمه كل ربع ساعة تديني فيها تقرير مفصل عن كل
حاجة..

ثم أغلق الخط، ونظر نحونا فتلقفه الدكتور سليمان بابتسامة عريضة
قائلاً:

- ولو إني عارف ليه.. بس اشمعنى حلوان يا عماد؟
- على حسب كلامكم عن الكتاب والدراسة اللي عملتها المصنفات
حوالين الكتاب.. الكتاب ده اتألف بين سنة ٤٠ وسنة خمسين
تقريباً.. هما بقه يفهموا في مواضيع نوع الورق وطريقة الطباعة
والتغليف والفنيات اللي انا ما بفهمش فيها دي.. القصة دي مكتوبة

أيام الحرب العالمية الثانية ووقت إعلان الأحكام العرفية من حكومة الوفد.. الأخ إبراهيم صفوت قال إن بطل القصة ساكن فوق سطح عمارة في مكان ما جنوب القاهرة.. المعادي أو حلوان.. في الوقت ده كانت المعادي لعلية القوم بس، وهو كلمه في القصة وقال (أجد أفندي) يعني واحد من أفراد الطبقة الوسطى زي ما بتسموها.. وأيامها حلوان كانت فاضية صحيح بس كان فيها عمارات أكيد.. ولو الأخ اللي بينفذ جرايم القتل ملتزم بالكتاب حرفيًا زي ما حضرتك قولت.. يبقى مفيش غير حلوان هنا..

رفعت كفي مصفقا وأنا أربت على كفي عماد وابتسامة الانتصار على
منه حاذ الملامح كطفل القنى على مسمع معلمه قصيدة صماء بدون
إعطاء.. بينما رفع دكتور سليمان إبهامه إليه متابعًا:

- كده الواحد عمل اللي عليه وساهم في إنه ينورك السكة يا حضرة
الرائد.. اروح بقه اشرب القهوة والحجرين وانا وانا مطمئن قبل ما
اروح العيادة.. جاي معايا يا أكرم..

- لا يا دكتور أنا هتمشى شوية واركب تاكسي.. ويمكن اعدي
عاجرنا الأول.. اتوكل انت على الله..
- طيب زي ما تحب.. ابقوا مطمئني..

ثم رفع يده مودعًا وترك المكتب بينما نظرت نحو عماد قائلاً:

- أنا كمان محتاج انا شوية كفاية أوي كده.. لو في أي حاجة كلمني..
- إنت ما روتشش مع الراجل ليه طيب.. غاوي شعبطة وقرف
التاكسيات..

- يا عمي ده راجل ساكن في عين شمس وانا قاعد في شقة خالي في

الدقي.. يبقى اشحططه ليه.. وبعدين الدكتور سليمان عداد سر..
بيوقف عند الاربعين والواحد مش ناقص شلل.

- شوف ازاي.. مش انت اللي بتشتكي اني ما اعرفش سرعة تح..
الثمانين واني هموتك مرة ناقص عمر.. دلوقتي مش عاجبالا
السرعات الهادية!!

- هو انا يا جدع انت يا اموت مقلوب يا اموت مشلول.. نهايته
سلام انا بقه ومستني تليفونك.. خيلنا ننشر لنا كلمتين من وراكم
نستفح بيهم..

- سلام يا مستفح..

ثم ريت على كفي حتى كاد يحطمه وقادني إلى باب غرفته بينما هاتفه
المحمول يرن.

رحت أجزر قدامي متاقلاً والنوم يرغم أجفاني على السقوط نائماً فوق
درجات سلم مديرية الأمن لكنني تمسكت حتى لا أبيت ليلتي في تخشية
المديرية أو أتهم بالاعتداء على منشآت الدولة!!

فقط عندما بلغت باب المديرية وجدت محمولي يثر في إصرار برقم عماد:

- إيه يا عمدة.. ما تقوليش نسيت حاجة عندك.

- أكرم.. مش هنصدق الي حصل فعلاً..

- إيه.. ما تقوليش إنكم قبضتوا على القاتل..

- إنت بتريق.. ده الي حصل فعلاً.. قبضنا عليه وهو بيرتكب
جريمته السادسة يا أكرم.. ده الدكتور سليمان طلع غبيري واحنا
مش عارفين!!



هيدروفوبيا.. هيدروفوبيا..

بقول إيه يا أكرم إحمنا مش سامعينك يا ابني

لو سمحتم شوية هدوء.. الـ Imipramine بيتسحب من دمه
خلاص..

هو قال هيدروفوبيا مش كده. 119

* * *

حاشية لا بد منها:

إنك تعرف جيداً يا برعي أنهم لا يقدرونك..

أنت مجرد سائق لوري عبرت النصف الأول من أعوامك الأربعين
، ات بلا تعليم وبلا مال وبلا ولد..

نمتص قرص الترامادول في تلفذ ثم تبعه برشفتين من شاي أسود كثيب
فايامك ولياليك الطويلة على مقهى السبع في أطراف بشتيل.. أين تقع
بشتيل يا برعي؟؟ إنها مثلها مثلك.. متربة.. مجهولة.. مهمشة!!

ترفع عينك المجهدين نحو أضواء أعمدة النور فوق الطريق الدائري..
فلا تجد سوى الخواء والظلام.. أحدهم حطم أغطية الكشافات وسرق
اللمبات الصفراء العملاقة وقرر أن الطريق كذلك أفضل.

تبصق على الأرضية المتربة.. تبصق بصقة تخرج كل ما في صدرك من
أثار المعسل وآثار البانجو وآثار الشاي المغشوش وآثار وجبة المسقعة التي
أصابتك بحموضة قاتلة..

- مساء الفل يا اسطى برعي

- أهو مسأ وخلاص..

- يا اسطى رة السلام زي الناس
- إخفى من وش دين أمي يا حلمي بدل ما اجيب كرشك واخلص..
- حلمي.. الشاب الثلاثيني الهزيل.. النحيل.. الشبيه بعود قصب،
تكاثف عليه خمسة أطفال فحولوه إلى فضلات..
- مالك يا صاحبي؟؟ شايل عبد القادر وزاعق ليه!!
- طهقت بقه وما بقتش قادر يا حلمي.. قبل الزفة الثورة كنا عاشرين
وبندفع إتاوات الأمان في الكهامين، والحمولة تعدي ونعرف نعمل
بدل النقلة خمسة.. وحتى لو وقفنا في كمين، والظابط كان ابن ستين
في سبعين كنا بنعرف نسلك أمورنا برضه.. دلوقتي بقه بقينا بندفع
للحكومة.. وملوك الطريق.. ويضرب علينا نار.. ويطلع دين
أبونا في عشرة لتر سولار.. وبعدين تلاقى الـ.. من دول طالعك
في التلفزيون يقولك اصبروا واستحملوا.. وهو بدين أمه بيغطر
كافيار وينعش لحمه.. يا أخي ملعون ميتين أم دي شغلانة بنت...
سبة بذينة تخرج فيها كل معلوماتك العظيمة عن السباب التي اكتسبتها
من تربيتك بيتًا في شوارع بولاق الدكرور.. سبة تبعثها ببصقة أخرى،
وكانك تبصق روحك من جسدك.
- إن شاء الله بكرة تفرج يا شقيق وتروق.. قول يا رب.
- يا رب يا خدنا يا عم ونرتاح من الهم والقرف ده بقه..
- حلمي يقترب منك مضيقًا عينيه.. وانت تعرف حلمي عندما يقترب
منك مضيقًا عينيه.
- مش عايز حاجة ترفع معنوياتك شوية.
- حلمي.. ابعد عن دين أمي بقه أنا مش ناقصك.. نص القرص

لسه ما اشتغلش والصداع فاشخ دماغي.. وبعدين هاخذ حاجة
ترفع معنوياتي ليه.. عشان اخش في حيلة.. ما انت عارف اني مش
متجوز يا اسطى وماليش في العوج.

نسحب نفسا عميقا من الشيثة وحلمي لا يكف عن ممارسة دوره
١٩.بابة.. ذبابة تبحث في عقلك عن مضرب ذباب لتطيح بها من سجل
الكائنات الحية.

- وبعدين انا عالحديدة يا روح امك.. وانت ابن كلب نبيع امك
عشان الفلوس.

- لا دي هدية.. خد امسك.. مد إيدك ما ترفش النعمة.

يمد يده لك بكتاب له غلاف جلدي قديم.. أنت لرتكمل تعليمك بعد
الابتدائية لكنك تقرأ الجريدة مثل القروء كما تقول المرحومة أمك.. كتاب!!
وهل يحلي الكتاب أيامك??

- تصدق انا هطلع ميتينك دلوقتي وافلق دماغك نصين عشان اخلص
منك ومن الصداع في يوم واحد.

- اصبر بس يا عم الاسطوات.. ما تخليش المظاهر تخدعك.. افتح كده
وسمى..

تفتح الكتاب لتجد أسطوانة كمبيوتر تلمع في الضوء الخفيف الذي
نصدره مصابيح قهوة السبع الصفراء.

- إيه ده يا حلمي.

- مش انت طالع النهاردة على تلاجة السبع ولا مؤاخذه..

- وانت إيش عترفك يا روح امك.. بتراقبني؟

- أنا مش تلموذ يا اسطى برعي، ده انا حلمي إبليس.. أنت والعين متخاتنين بقالكم ست اشهر وما بتكلموش بعض.. تقوم تيجي النهاردة بالذات تقعد عالقهوة اللي هو بيقعد عليها!!
- والسيداية دي لا مؤاخذه حوارها إيه..
- حوارها إن السبع مركب دي في دي في الكاينة يا اسطى.. ومعاد شاشة عشرة بوسة وانا اللي جاييله حماسة بتاع السايبر يركبه لا مؤاخذه.. يعني بقت عندك تسلية مجاني والبركة في حييك حلومة.
- تقلب الأسطوانة في يدك ثم تقرب رأسك من رأس حلمي وتهمس:
- هي السيداية دي..
- سكس طبقاً.. هو انا هديك سيدهاية ل (عبرهاب) مثلاً عشان تسليك.
- وطبي صوتك ياد هتفضحنا.
- وإيه الفضيحة في كده يا اسطى لا مؤاخذه!؟
- تتراجع في مقعدك متحسراً على حالك، وتذكر كم يبلغ عمرك يا اسطى برعي.. أنت في الثالثة والأربعين يا برعي.. رجل بالغ في الثالثة والأربعين يتلهف على فيلم بورنو رخيص يقدمه له حلمي إبليس؛ كما يشتهر في بشتيل.
- تناول الأسطوانة داخل الكتاب في صمت
- بس انا قشفور يا حلمي..
- الحساب يوم الحساب يا اسطى برعي.. اعتبرها تذكار من ملك المزاج.. سوفونير.

ننعم من تفاهة حلمي الذي يصمم على حشر كلمات إنجليزية لشعر
"أ... أنه مثقف.. ثم تنهض عازماً على إنهاء هذه الجلسة رافقاً عقيرتك
... النادل الذي يرتدي ملابس حقيرة مهترئة تشبه ذلك الكتاب الذي
... له.

يا عربي.. الحساب عند المعلم السبع..

ترفع يلك مودعاً حلمي، وتقفز في رشاقة لا تعترف بسنوات عمرك
الأربعين نحو كابينة القيادة.. تغرس السيجارة في طرف فمك وأنت
محرك نحو الطريق الدائري.. بالأمس استدعاك السبع مع أحد الأصدقاء
الاشتركين - كما يحب أن يقول - لأن هناك نقلة فاكهة تذهب إلى البحيرة
عبر الطريق الزراعي.. وهو يريك أنت على هذه النقطة لأنك رجل ودمك
أممي وشرس، وتعرف كيف تتعامل مع هؤلاء الرعاع على الطريق.. أنت
لماج إلى المال برغم أنك لا تطيق أن ترى وجه السبع خمس دقائق.. لكن
ما باليد حيلة.

تنهب الطريق نحو أول الطريق الزراعي الذي أظلم أغلبه.. ترفع نور
الشاحنة الأمامي، وتغلق النوافذ لتتقي لفحات الهواء البارد حتى تستطيع
المواصلة.. حتى وإن كنا في أواخر مايو يا برعي لكن من قال إن الطريق
يعترف بهذه القواعد.. أنت ترتدي (السويتر) كما تسميه من منتصف
أكتوبر!!

ترفع الأسطوانة في يلك اليمنى وتودعها في مشغل الأقراص فقط لتظهر
لك رسالة عربية رديئة على شاشة الجهاز الزرقاء.

لا يمكن تشغيل ملف

اللعنة عليك يا حلمي.. تسبه بسبة بذيئة وأنت تتخيل نفسك تحطم عنقه
بقدر ما كنت تمنى نفسك برؤية كل ما حرمك فقرك وضيق حالك منه..

فلتقد على صوت عبد الوهاب الرخيم ينبعث من ذلك الراديو المشوش..
عندما يأتي المساء.. لا يحدث شيء من وجهة نظرك عندما يأتي المساء سوى
أن يوماً آخر انتهى في هذه المساء التي تسمى حياتك.

وكان الحال ينقصه أن يحدث لك ذلك.. السيارة الضخمة تميل إلى
طرفها الأيمن من الخلف.. أنت متمرس وتعرف ذلك يا برعي.. إن الإطار
الأيمن الخلفي قد أوشك على الخواء.. إنه يسرب الهواء فلا بد أن تتوقف
الآن.

على امتداد بصرك ترى ذلك المقهى.. ليس مقهى يا برعي إنه مقعدين
وطاولة ولبة بيضاء باهتة تعلو لوحة كتب بخط يدوي قبيح.

توقف سيارتك بجانب الطريق.. ومحمولك لا يعرف ما تعنيه كلمة
"شبكة" في هذا القفر.. إذن سوف تبيت في السيارة حتى يظهر لك أحد
يقدر أن يساعد في تغيير هذا الإطار الكبير..

تأخذ كوب الشاي في يلك، وتخرج ذلك المقعد المطوي من جانبك
وتفرده بجوار السيارة.. علبة السجائر الاحتياطية في جيب السترة الجلدية
التي اهترأت ياقتها.. تمسك في يلك ذلك الكتاب المهترئ المصفر.. ماذا
يعني ذلك العنوان؟؟ الرهاب.. أنت تعرف من قراءتك للقرآن - أحياناً -
أن تلك الضمة تعني النطق وكان هناك واو.. ماذا يعني هذا الاسم؟؟

تقلب الصفحات في ملل وكوب الشاي الأسود يحرق أطراف أعصابك
من سخونته.. ثم تجد هذه الكلمة في نصف صفحة مطوية من أعلاها.

تحت الصفر

تضحك في صوت تردد الغيطان صداه.. أنت تحت الصفر فعلاً.. وهذه
الثلاجة التي تقودها قد تصل إلى تحت الصفر إذا كانت تحمل لحوماً.. أو إلى
ما يقرب الصفر إذا كانت تحمل فاكهة أو خضاراً.

تقرأ الكلمات التي تبدو لك عميقة ومهمة.. تقرأ عن سائق اللوري
الذي يقود سيارة تجر ثلاثة فاكهة.. تقرأ كيف أن السيارة تعطلت في وسط
طريق مقفر ليس به بشر.. تقرأ كيف أن السائق جلس على طرف الطريق
بدخن مستظراً من يمر به أو يساعده.. تقرأ كيف أن ذلك السائق رأى عابر
الطريق فطلب منه النجدة.. غير عارف أن عابر السيل هو قاتل سوف
يفتك به طمعاً في السيارة وحولتها.. سوف يقتله خنقاً بحبل بلاستيكي!!
تقرأ ولا يوقفك شيء سوى ذلك الحبل البلاستيكي الذي يلتف حول
رقبتك الآن..!!

* * *

- أكرم.. ارفع صوتك شوية.. إنت بتقول هيدرو فويا!!؟
- الضغط نزل ثاني يا دكتور..
- يا تسيوه يفوق ويرجع لوعيه.. لا تقتلوه وتخلصوه من الهم ده.
- "الظلام.. الحقيقة".

* * *

(١٤)

مديرية الأمن... الثانية عشرة ظهرًا..

الدخان ينعقد في هواء الغرفة مثلما ينعقد حاجبي.. وعماد يشرح لي كيف
قبضوا على ذلك الرجل..

- بمعنى؟؟

- بمعنى إن الدكتور سليمان كان صبح وصبح جدًا كمان.. القاتل كان
خلاص هيرتكب الجريمة السادسة في أوضة فوق سطوح عمارة في
حدائق المعادي.

- حدائق المعادي..!! مش انت كنت باعتهم حلوان يا ابني!!

- ربنا كان رايد إنه يقع في إيدينا.. المجني عليه صرخ لما القاتل حاول
يطعنه بسكينة في صدره.. الجار اللي تحت سمع الصرخة وقلق لأنه
عارف جاره كويس.. مدرس ابتدائي أرمل وعاش لوحده.. الجار

النشيط مسك شومة كانت عنده في البيت وطلع جري عالسطح فا
خبط بالصدفة في القاتل.. وربنا ألهمه حسن التصرف راح خابطه
بالشومة على دماغه موقعه على البسطة، وراح جاري مكلم النجدة
فورًا.

- ولقيته الكتاب إياه..

- على باب الشقة فوق الدواسة..

أفرغت التبغ المحترق من الغليون الخشبي في المنفضة.. وأخرجت
من جيب سترتي عدد التسليك والحشو.. ورحت أنظفه في هدوء كأي
ميكانيكي يعكف على وضع لمساته السحرية في محرك سيارة فيات متهالكة.

- مالك ساكت ليه..

- أنا؟؟

- أمال امي.. سيب الهباب اللي في إيدك ده وردة عليًا

- قوللي الأول.. المجني عليه مات؟؟

- الحمد لله؛ لا.. العناية الإلهية أنقذته، والطعنة جت في ذراعه بس..

كنت قد فرغت من حشو الغليون فأشعلته ورحت أهدق في فرخ
الورق المقوى الراقد في مشواه على الحائط الحكومي المتسخ.

- مش عارف بس..

- بس إيه.. ما تقوللي إيه اللي بيجرئ جوه صندوق البلي اللي فوق
رقتك.

- مش مقتنع با عماد.. إزاي قاتل محترف.. ذكي جدًا وقعد يلاعب
فيينا، ويرميلنا كتاب وموت يان كأنه انتحار، وعمل معضلة الأرقام

والحروف والكلام ده.. ويقع بالسهولة دي..

- دكتور سليمان قال مرة إن القاتل المتسلل بيرمي للبوليس أدلة في السكة عشان يوصله، وده زي ما قال ناتج عن حب الشهرة وكلام الدكاترة النفسين ده..

- أيّا كان يا عماد.. بس مش بالسهولة دي.. ده حتى طعنة السكينة ما ركزش فيها عشان يكمل جريمته صح..

- إرادة ربنا يا أخي إن الراجل يعيش..

- عماد.. ورحمة ابوك بطل شغل ربات البيوت ده.. كله بإرادة ربنا، بس ربنا ادانا عقل نفكر بيه ونستخلمه عشان نوصل لتايج صح.. أنا المشكلة عندي بقه إنه مش قادر يلعب الموضوع بالكامل.. ده لولا إني عارف عماد وعارفك شغال عالقضية دي إزاي كنت قولت إنكم هتخلصوها على مختل نفسيًا..

- تصدق لولا بقى أنا عارف عماد كويس ده أنا كنت ريمتك من الشباك..

ثم ابتسمت في إنهاك.. إنها الساعة الثانية عشرة وأنا لا أزال مستيقظًا ولم تدخل معدتي المسكينة قطعة خبز حتى!!

- ومين بقه صاحب الحظ السعيد؟؟

- مدرس في مدرسة ابتدائية.. الصراحة حظه كان سعيد فعلاً لأن الطعنة...

- عماد.. أنا قصدي الجاني مش المجني عليه يا حضرة المعاون..

- رجل عنده ٤٤ سنة.. اسمه جمال إبراهيم أحمد علي محمد.. زي ما مكتوب في رقمه القومي..

- جمال إبراهيم.. راجعتو اسم ابوه على الكمبيوتر؟
- خدتها من على طرف لسانى.. مفيش صفوت فى إسم أجداده اللي ظاهر عندنا لحد الرباعى بتاع جده.. شغال سكرتير فى مصنع أدوية من اللي اتخصصوا واتباعوا الشركة أجنبية.. الوزن والطول والهبة العامة قريبة جدًا من الصورة اللي رسمناها والراجل اللي ظهر فى كاميرات الجرنان.. الغريب إنه ساكت تمامًا وثابت جدًا من ساعة ما قبضنا عليه.. لا يقول إنه بريء ولا يقول إنه مظلوم ولا الكلام المعتاد اللي زى كده.. حتى أول ما بدأنا التحقيق.. وأول ما علي قرص عليه بموضوع قتل خمسة والشروع فى اتهام السادس.. ابتسم فى هدوء وطلب كوباية قهوة وعلبة سجائر!!
- لو هو فعلاً لازم يبقى كده حسب نظريات دكتور سليمان اللي إنت بقيت مقتنع بيها أوي.
- يعنى بس مش لدرجة قهوة وسجائر وثبات انفعالي عظيم زى كده.. فى سخرية غريبة فى طريقته خلتنى أقلق شوية.. بس أنا سايه لعلى لحد ما يفرهده وبعدين اخش أنا أخلص عليه..
- ابتسمت أنا الآخر متصورًا نفسى فى مكانه، والشرطة توجه لى اتهامًا بقتل خمسة أشخاص مع سبق الإصرار والشروع فى قتل السادس.. كنت سأطلب تبغًا لغليونى الحبيب، وكوبًا من سم الفئران المخلوط بحمض الكبريتيك المركز بنسبة تعين بالمائة.
- تصورت ذلك أيضًا.. الواقع أننى سوف أسخر من الشرطة لأنهم لم يقبضوا على إلا بعد أن نفذت خمس جرائم، وكنت على وشك إنهاء السادسة لولا القدر ومشية الله.. الأمر ليس متعلقًا بمهارتهم.. ولو أن عماد كان قريبًا! فى الحقيقة!!

- تحبّ أستشير الدكتور سليمان؟
- الرجالة كلموه من خمس دقائق عشان نطلب رأيه رسمي.. كلماه في البيت وردّ علينا الراد الطباخ، وقالنا إنه في الجامعة؛ كلموه فجاء وراح على هناك.. سبناله خبر يتصل بينا.. بعد ما الأخ الطباخ قال إن الدكتور معندوش موبايل وما بيعبش يستخلمه!!
- الدكتور سليمان دقة قديمة شويتين.. هو ما بيعبش حد يخش جوه خصوصياته ولا حد يطلع له في كل حته يسأله إنت فين..
- استند عماد إلى مكتبه في هدوء وعقد ذراعيه أمام صدره القوي متابعًا:
- الغريب برضه إن التحريات المبدئية النهاردة الصبح قالت كلام مختلف تمامًا عن سلوك أي قاتل قابلته في حياتي.. الراجل في حاله.. من البيت للشغل ومن الشغل للبيت.. مالوش أي نشاطات غريبة.. ما بينزلش من البيت كثير.. مواطن كادح زي ما الكتاب يقول.
- دي بسيطة بقة.. لو هو اللي عمل كده يبقى ده طبيعي جدًا.. عندك إيدي جين.. مدير فندق طريق أمريكي (موتيل) وإنسان في مستهل الذوق والأدب.. وتيد بندي كان عامل توصيل طلبات، وكان الجميع يشهد لهم بالطيبة والاستقامة!!
- سيك من شغل إم بي سي تو.. حتى لو لقينا البصمات بتاعته.. إيه بقة موضوع الكتاب والفويا والكلام ده؟
- ستايل يا عم.. إنت ما بتفهمش في استايلات الإخوة السفاحين ولا إيه.. ما شفتش فيلم "سفاح النساء" بتاع فؤاد المهندس.. عروسة خشب مكان ارتكاب الجريمة.. ماركة مسجلة زي حرف الآر اللي جوه الدائرة قدام العلامات التجارية.

اسم في سخرية ثم فك استاده إلى مكتبه وربت على كفي متابعًا:

طيب يا ستايل.. يلا روح انت واضربلك فطار تمام ونام حبتين..
آه الوزير مصمم على عدم النشر لحد النهاردة بالليل لما يبقى في
اعتراف كامل.. بس أول ما يبقى في نشر هتبقى انت أول واحد
ياخد تفاصيل وصور كمان..

ده كرم حاتمي والله.. انت هستعبط يلا.. فهم وزيرك إني بكرة
بالليل هدخل التحقيق المطبعة، ولو من غير صور.. وبراحته بقه.
انت مش هتهمد إلا لما اطحك رصاصتين في بقلك عشان لسانك
ينفجر مع راسك.

ورفع طبنجته الميري في وجهي محذرًا وعلى وجهه ابتسامة حاول جعلها
ماضبة.. فاتسعت ابتسامتي وأنا أحاول إخراج الكلمات من حلقي..
وزيرك ليس له الحق أن يمنعني من النشر وأنا كنت سأنشر الآن قبل غدا،
على موقع الصحيفة الإلكتروني قبل التفاصيل غدا.. وكل تلك الجمل
التي لم تخرج من فمي حتى وجدت نفسي استقر على ذلك المقعد في سيارة
ناكسي بيضاء!!

أناول هاتفني المحمول

- ولاء..

- إنت فين يا عم انت.. ده رئيس التحرير...

- قالب الجرنان عليا.. غيره يا ولاء.. مفيش جمل جديدة.. ابتكروا
شوية.

- ماشي يا مبتكر.. إنت فين بقى.

- احجزيلي نص الصفحة الثالثة ورتبيلي مساحتين لصور كده وانا هبعثلك مقالة بالميل كمان نص ساعة هتتخط في المساحة دي.
- وعايز عنوان صفحة أولي في أي حته بس يبقى مثير شوية.. وتستني مني الأوكيه عشان تدخلي الكلام ده المطبعة..
- كلام جميل كلام معقول.. الموضوع عن إيه بقه عشان اظبطلك عنوان حاشوم كده يجيب توزيع.
- في بنت تقول حاشوم.. إنتي إيه متريية في زريبة!!
- تلميذتك النجيبية يا كبير الجاموس.. اخلص بقه بدل ما اطول لسان عليك.
- استني طيب بس هجيب الجرايد واكمللك.. خليك معايا.. هات الأهرام المسائي والمساء يا ابني.. كام..
- منحني فتى الجرائد في إشارة المرور الجريدتين المسائيتين الأشهر.. فقلت الأهرام المسائي لأرى نصف الصفحة الأولى السفلي.
- الموضوع بقه بيتكلم عن سفاح كان بيسيب نسخة من كتاب اسمه الرُّهاب في...
- الرُّياه يا اخويا؟!!!
- الرُّهاب يا جاهلة.. الفوبيا يعني.. وعايزك بقه تبرزي موضوع الكتاب وال.. أحبيه إيه ده!!
- في إيه يا أكرم؟!
- كانت عينايا عالقة بذلك العنوان الذي كتب بخط كبير في نصف الصفحة السفلي، مع صورة لوجه رجل في أربعيناته، يبدو كمسكر تير مصنع أدوية، والمانشيت العريض يقول:

"القبض على سفاح الفوييا"

"انفراد المسائي: السفاح قاتل علاء البلطيمي وأربعة آخرين يسقط
امبراً في يد الشرطة"

أكرم.. رد عليا يا جدع انت في إيه؟؟!!

- اقفلي يا ولاء.. وانسي موضوع المقالة دلوقتي.. هكلمك ثاني..
سلام.

طلبت رقم عماد.. لا يرد.. المحاولة الخامسة ورأسي تغلي كغلاية بيض..
السبق الصحفي ضاع للأبد.. أجب يا هذا وإلا ارتديت حزاماً ناسفاً
وحولت مديرية الأمن إلى ركام تذروه الرياح.

- عايز إيه يا زفت.. عندي تحقيق.

- إنت قولتي الوزير مانع النشر ها!!

- آه يا أكرم.. والموضوع ده مافيهوش هزار ده فيه تحويلي للاستيداع
لو كلمة اتس...

- إنت هتستعبط يلا.. ابعت حد يجيلك نسخة من الأهرام المسائي
يا عماد.. وابقى شوف مين عندك يسرب أخبار وانت قاعد زي
خبيتها.. سلام.

ثم أغلقت الخط وألقيت بالهاتف في دواسة السيارة، فأنكشف غطاؤه،
وسقطت البطارية في طرف الدواسة.

- في حاجة يا أستاذ؟؟

- خليك في حالك الله يباركلك.. ولّا تنزلي واخلص!!

- لا يا باشا.. تليفونك وانت حرّ فيه إن شالله تاكله حتى.

- طيب خليك في طريقك بقه..

وغصت في مقعدي مراقبًا الطريق المزدحم..



حاشية لا بد منها

الطريق لا زال طويلاً يا سمية..

تحدثين نفسك دائماً.. الحقيقة أنك لا تحدثين نفسك.. أنت تحبين أن
تسميهم أصدقائك الافتراضيين.. هناك "صفوة" الخليعة الرقيقة التي
تعرضك على إتيان تلك الأفعال المشينة - على الأقل من وجهة نظرك -
العجوز - وهناك "ليلي" الحاملة الشاعرية التي تجعلك تفكرين في تلك
الأفكار الشاعرية الحساسة - المشينة أيضاً من وجهة نظرك أمك - الحقيقة أن
أمك لا تحب أي أفكار تأتي بها فتيات جيلك، ما لم تكن تنحصر في ثلاث
مواضيع:

الزواج - الأطفال - الطبخ

وانتي يا عزيزتي لستِ مؤهلة لأي من هذه المواضيع.. الواقع أنك لا
تقديرين على الأولى ولا تستطيعين أن تأتي بالثانية بدون الأولى.. كما أنك
تكرهين الثالثة كرهك للموت!!

الطريق لا زال طويلاً يا سمية..

أمك العجوز المريضة التي تركها إخوانك الكبار وحدها مع فتاة في
أواسط عشريناتها.. فتاة لا تعرف شيئاً من الدنيا سوى ارتداء أجمل الثياب
وقصات الشعر وأنواع أحمر الشفاه التي تبيعها إيفون!!

١٠٠ أبوها - رحمه الله - أراها أجمل ما يمكن أن تراه فتاة في سنين
١٠١ هـ... فقط ليرحل بلا رجعة وأنت في بدايات سني الجامعة.. ثم يلحق
١٠٢ ك... إلى الخليج أيضًا بلا رجعة.. ثم تنقطع أخبارهم ومعها أموالهم
١٠٣ هـ... التي تكفي بالكاد لطعامك أنت وأهلك المريضة.. ثم تجدين نفسك
١٠٤ هـ... أن تعمل سكرتيرة في مكتب طبيب نفسي.. دكتور مجانيين كما تلقبه

بمعني مفيش غير دكتور المجانين اللي تشتغلي عنده يا سمية؟؟!!

لما مايكرو سوفت تفتح باب التوظيف وترضى تُشبع مؤهلاتي
العظيمة وقدراتي الخارقة.. أوعذك إنني أفكر.

١٠٥ هـ "صفوة" الماجنة التي أجابت أهلك.. أنت تعرفين أنها تسيطر عليك
١٠٦ هـ هذه الأيام.. بينما ليل الطيبة الودودة الحاملة لا تظهر إلا عندما تقع
١٠٧ هـ ك على عصام!!

عندها فقط يدور ذلك الحوار العميق مع ليل.. عندها فقط لا تخجلين
.. أن تحدقي به وهو يتكلم مع ذلك الوغد الذي يلعب نفسه بمساعد
١٠٨ هـ - ويب - وهو لا أكثر من خادم - تحدقين به وهو يتحدث بكل تلك البساطة
والنواضع، بينما ذلك الوغد يتحدث بمتهى الغرور وكأنه صاحب المكان!!

كيف يقبل عصام - وهو طبيب - أن يتحدث معه ذلك الخادم بهذا
الشكل؟؟ هو لا يراه عندما يدخل العيادة في أول المساء يحمل تلك المقشة
وإداوت النظافة القذرة ويبعثر الأتربة هنا وهناك، حتى تتساوى على كل
أطع الأثاث، ثم يحمل أوراق الدكتور - التي أرسلها معه - ويدخل بها إلى
الغرفة التي يمنع الجميع من دخولها عداه.. ثم بعدها يأتي عصام.. وهنا
بدأ اليوم.

هو طبيب مناطق حارة - كما أخبرني - ولكن لأن ذلك الفرع من الطب

لا يؤكل خبزاً ولا لحماً في مصر.. ولأنه يعمل جاهداً كي يضمن حياة كريمة..
تمنحه القليل كي يتزوج من ابنة الحلال - يداه بلا خواتم كما تلمح لك أيتها
- فقد افتتح عيادة في حدائق المعادي، وعمل كطبيب بشري يعطي
القيء وأدوية الاسهال والمليّنات، ويفشل في الحصول على منحة للدكتوراه

- إنتي مدرّكة لمعنى كلامي يا سمية!؟

- أنا خرجت من تانية آداب فرنساوي يا دكتور.. يعني مش جاهل،
يعني!!

يتنسم لك فشرق الدنيا، وتبدأ "صفوة" الماجنة في مراقبة شفّته وهما
يلتويان إلى الخارج عندما يخبره ذلك الخادم أن الدكتور لن يأتي اليوم.

- كنت عايزه في موضوع شديد الأهمية..

- كان على عيني يا دكترة والله.. البروف تعبان شوية ومش نازل
العيادة النهاردة.

- ليه سلامته!!؟

- السكر علي عليه شويتين.. فاحب يريح النهاردة عشان المضاعفات..

يهبط كفاه قليلاً في إحباط فيصيك الدوار.. يا له من رجل وسيم
يستحق ألا يحبط أبداً.. يستحق الدنيا وما فيها.. أنت لست ملكة جمال
ولكنك جميلة.. وهو رجل يستحق أن ينال من جمالك قبلاً.

- الراجل عايز شوية حنية يا بت ما تديله حنية.

- اقفلي بقلك يا "صفوة" وإلا هاكل زورك بسناني.

- هتاكلي زورك يا هابلة.. أنا حنة منك يا حمارة.. وبعدين بسيطة
اعملها، ويكرة الصبح الدكتور فرويد. بتاعك هيرميكي في العباسية
ونخلص منك.

إذن اليوم ستجلسين تمارسين هوايتك الأثيرة.. الواقع أنها ليست هواية
مملة.. إنها طريقة أخرى للهروب من ثرثرة ذلك الخادم الذي يدعونه في
مافته (إبليس)، والواقع أنه عندما يرددها أمامك في فخر تشعرين أنه
.. محققها فعلاً!!

أخرجت ذلك الكتاب الذي أعطاه لك عصام بالأمس.. كتاب مصفر
منق و اسمه غير مفهوم لك إطلاقاً.

- الرهاب..!! إيه الاسم الغريب ده؟!!!

- يفكرك بحاجة الاسم ده؟!!!

هي الكلمة تقريباً معناها الخوف.. هو كتاب رعب مثلاً عن؟!!!

يغمز بعينه فيقط قلبك بين قدميك، ويتابع:

- أنا هيلك الموضوع ده تكتشفه لوحدك..

- طب اعذرنى هو انت لابس الجوانتي الأبيض ده ليه وانت ماسك
الكتاب؟!!

- أنا عندي حساسية بشعة من الجلد القديم.. ممكن افضل طول اليوم
مش على بعضي بسببه.

تقليبين الكتاب في يلك وتحسسين جلده الخشن ثم تقلبين في صفحات
الكتاب فتجدين ورقة مطوية من صفحات الكتاب، وتلك الصفحة
تحدث عن قصة ما..

ظلمات..

قصة قصيرة هي.. تتحدث عن فتاة مسكينة تجلس في شقة ما هي مكتب
أفوكاتو شهير.. قديمة هي هذه القصة، خاصة وهي تتحدث عن أفوكاتو

وليس محامياً.. وعن شقة في الطابق السادس في أعلى مباني القاهرة!!

الفتاة تجلس خلف المكتب وقد أغلقت النافذة وأشعلت كل الإضاءة.. تجتر ذكرياتها الصغيرة من زمن أبويها اللذين توفيا وتركاهما تلاطم أمواج الحياة.. توفيا والظلام يعم المكان فكرهت الظلام وكرهت كل ما يمت له بصلة.. فقط عندما نهضت لتصنع كوباً من الشاي على ذلأ، الملف الذي يسخن الماء لتقطع الكهرباء وتظلم الشقة كلها.

تمسكين بالكتاب في يدك وأنت تحاولين خلط النكافيه في ذلك الكوب الفخاري الملون.. القصة تسرقك من حياتك.. الفتاة تحاول تحسس الحوائط والأثاث لتصل إلى مكتبها، وتشعل شمعة تستقر فوق المكتب عندما تسفل على وجهها وتصاب بإغمالة لم تفق منها أبداً.

يا لها من قصة سوداوية رقيقة.. لا بد من إسقاطات ودلائل هنا.. لا بد أنه يتحدث عن ظلام روحي وليس ظلاماً حسيًا.. فلتشرب النكافيه ولتنظر في هذا الكتاب مجدداً.. لا بد أنه يحتوي على العديد من القصص الشجية المؤثرة مثل هذه.

فقط سوف تفعل ذلك عندما تعود الكهرباء.. عندما تستطيع أن ترى أماسها.. عندما تنالك نفسها وتستقر ضربات قلبها.

إن انقطاع الكهرباء أصبح مشكلة خطيرة في بلادنا!!

* * *

.. Did he said Hydrophobia؟؟

.. أنا بيتها لي ما قالش غير شوية تخاريف.

.. هيدروفوبيا.. هيدروفوبيا.. هيموت.. هيموت

* * *

(١٥)

جريدة (.....) اليومية .. السادسة مساء

أجلس فوق مكتبي ساهماً محدقاً في اللاشيء.. لقد تلقيت ضربة موجعة
لرأسي لن تمحى آثارها ببسر.. بل قد لا تمحى أبداً من تاريخي كصحفي..
حتى إن لم يعرف أحد بما حدث لكنني سأظل أتذكر هذا اليوم طوال حياتي
في هذه المهنة.

كنت أعد التحقيق الصحفي الذي يتحدث عن ذلك الكتاب والسفاح
للشر.. وأحاول جاهداً أن أضع كل ما أعرفه من فنون الجذب الصحفي
والإثارة المفتعلة وبعض الملاحظات العلمية الرصينة من دكتور علام
ودكتورة آمال.. محاولاً جهد أمري أن أصنع شيئاً مختلفاً ربما يعوض
سرقة السبق مني.. نعم سُرق السبق مني سرقة لأنني كنت ملتزماً من أجل
صديقي.. فرحت بأنني الوحيد الذي يتداخل مع الشرطة وأول من يلتقط

الصور وأول من يعرف بها يحدث أولاً بأول.. فقط ليأتي أحدهم ويسرني
مني كل شيء!!

ولاء تأتي نحوي وأنا أضع وجهي في شاشة الكمبيوتر المحمول.. أسوء
دقات كعبها على الأرض، فأتظاهر أنني منشغل أكثر وأكثر.

- واد يا أكرم..

- عايزة إيه؟!

- إنت هتفضل متلقح قدام الزفت ده لحد إمتى؟!

- هو أنا معطلك عن حاجة يعني.. فكيني يا ولاء بقه، أنا عايز اخلص
التحقيق قبل ما رئيس التحرير يتصل.. لازم انزله المطبعة النهارده،
والأسييني من الصحافة واقعد اقمع بامية جنب امي!!

- إنت مكبر الموضوع ليه أوي كده.. هو ده أول ولا آخر سبق صحفي
يطير منك.. ما ياما شفتنا فشل، وياما اشتغلنا لحد ما طلع ميتين أبوما
وفي الآخر اتبلغ في كرش رئيس التحرير.. وبعدين محدش عرف
حاجة غيري فإنت في السليم.

- طيب هدي اللعب عشان صاحبك حين جاي وأنا معديش
استعداد اترفد اليومين دول.

حين مسلم.. مصور الجريدة الثرثار اللحوح معدوم الموهبة.. يقترب
نحونا، وطرف فمه يحوي لفافة تبغ من نوع صيني انتشر في مصر مؤخراً
وهو يشبع بشكل كبير رغبات حين المكبوتة في الاستعراض بفلتر التبغ
الملون بدل التبغ المصري ذي الفلتر الأبيض!!

- مساء الخير يا ولاء..

- ولاء دي بتلعب معاك في الشارع!!

طب خلاص ما تزقيش.. معلى يا أستاذة ولاء.. إزيك يا بروفيير..
كده برضه تعمل الحركة دي في..
حركة إيه يا سحس ولا مؤاخذه..

املفا لفافة التبغ في كوب قهوتي الممتلى حتى نصفه حتى كدت أقفز
أه! حنجرته، وتابع في سماجة يحسده عليها باعوض الصحراء:

أنا تَبَعْتَنِي القصر العيني وانت هناك في التجمع بتصور وبتكتب
وبتنفرد.. وينط مئة وتلاتين، وجسمي يقشعر وحببي يا سونة..
طب شفت بقه ربنا عمل فيك إيه.. آهو الموضوع اتبلع منك كله،
وحته عيل تحت التدريب في الأهرام طلع انصح منك.. ده انا فرحان
فيك أوي..

إنت بتتكلم عن إيه عشان انا مش مجمع ومش فاضي لشغل النسوان
ده.

شغل النسوان ده هتعمله في مكتب رئيس التحرير كمان شوية لما
يسألك على الانفراد اللي ضيعته يا بروفيير.. وما تسألنيش عرفت
ازاي.. عشان علاقتي كثير أوي فوق ما تتصور يا أكرم بيه.

ثم نهض من مكانه وهو يجدني بنظرة متشفية ساخرة.. هو يظن نفسه
ه. هزمني بكلماته المتلوية.. علاقات!! وهل يسمي مجالس نميعة النسوة
الهي يعقدها مع فتیان التوزيع في الصحف الأخرى بالعلاقات.. ضربة
هكسية قد ترد بعضاً من كرامتي التي بعثرت أمام هذا ال... حسين..

- بقولك إيه يا حسين..

- أستاذ حسين لو سمحت..

- بقولك يا أستاذ حسين.. وطى بس هقولك حاجة.. وطى..

خفض رأسه في حذر متوقعاً مني حركة صبيانية ماء، إلا أنني تابعت ،
هامساً:

- أنا قولتلك وطبي عشان ولأء ما تسمعش الكلمتين دول.. لو كنت ،
فاكر إني هفق ولا عشان محترم هخليك تتكلم معايا كده عادي
إنت عارف كويس أوي أنا ابقى إيه في الجرنان ده.. وأنا برضه لأ
علاقتي، واعرف اجيب اللي أنا عايزه كويس.. وإذا كنت فاكر إن
الصورتين اللي بتسرقهم من مواقع النت وتكتب تحيتهم اسماء
دول محدش يعرف عنهم حاجة.. أنا اللي غليني ما اقولش لرئيس
التحرير إني ما بحبش اقطع عيش حد.. بس انت ما مبتليش حار
تاني.. بكرة الصبح اعتبر نفسك منقول مكتب الجريدة في جنوب
الوادي.. وأن علاقتك بقسم الحوادث انتهت من دلوقتي.. ولم
فاكر إن لقب أقدم مصور وأعرض مصور والشغل الرخيص ده
هيفعلك.. يبقى إنت حر وذنبك على جنبك..

- إنت بتهددني..

- لا، أنا باعرفك مقامك بس.. ويمين الله يا حسين ما هسيبك تشوف
يوم عدل في الجرنان ده طول ما انا هنا.. ودلوقتي تخفي من وش أمي
بدل ما تبقى فصل نهائي وخصم مستحقات..

ظل يحدق في وجهه مائل نحوي فعدت برأسي إلى الوراء صارخاً:

- بالسلامة..

- استاذ أكرم..

- اتفضل بالسلامة..

سقط ذراعاه إلى جواره، وراح ينظر إلى ولأء وإلى.. فمحت ولأء ابتسامه

ساخرة.. ثم زادت عليها بضحكة ساخرة عالية، بينما حولت بصري إلى شاشة الكمبيوتر غير عابئ بنظرات الاستجداء في عينيه.. ثم انصرف يسبّ ويلعن اليوم الذي دخل فيه الصحافة ووطأت قلماء هذه الجريدة.

- يا ابن الهرمة.. إنت عملت في إيه؟؟

- ولا حاجة.. أنا بس دوستله على الحتة اللي بتتوجع.. كلها يومين وهيترمي في مكتب جنوب الوادي يعمل شاي وقهوة، وحوافزه هتزل النصّ وهيتحرم من مرّات رئيس التحرير والأفراح اللي بيروح بصور فيها كل ليلة.

- شير إنت أوي يا مان..

- من بعض ما عندكم يا أختي.. مش إنت اللي قفشتي الصور المضروبة عنده.

أطلقت ضحكة عالية مجلجلة، ومالت برأسها نحو المكتب قائلة في دلال:

- كده برضه يا كيمو.. أنا برضه شريرة!!

- مش لايق عليكى المحن ده يا بت..

ارتفعت ضحكاتها المجلجلة من جديد حتى أن عم طاهر ماعى الجريدة الذي لم ير بيته منذ أسبوع كان يقف على باب المكتب محملاً فينا..

- إيه يا عم طاهر في إيه!!

- يا استاذة ولاء صوتكم جايب آخر الجرنان.. مش هينفع كده.. رئيس التحرير مش عارف ينام في مكتبه.

ثم انطلقا يضحكان في سخرية وأنا أراقبهما، وعلى وجهي شبح ابتسامة..

اللجنة عليك يا أكرم.. لماذا تعقد الأمور وتصنع من الحبة قبة، كما كانت أمك تقول لك دائماً.. هل عم طاهر خالي المشاكل؟.. بالعكس.. إنه يحمل أكثر ما تحمله من هموم: زوجة عاجزة، وثلاثة فتيات يحتجن إلى من يلبي طلبات جهازهن حتى يتزوجن، ويقررن في بيوت أزواجهن، وراتب لا يكفي غذاء قطرة سيامية.. لكنه يطلق الضحكات الصافية المجلجلة يومياً في وجه كل الناس.. حاضِر الدعابة.. بينما أنت تصنع المشكلة من تحت الأرض حتى تجلس كئيلاً متهجماً لأن - فقط - سبقاً صحفياً ذهب منك أدراج الرياح !!

انصرف عم طاهر بعد أن منحته ولاء لفافة تبغ من علبتها.. وأشعلت واحدة لنفسها متابعة..

- بقولك إيه يا بروفسير..
- قولي يا أختي..
- ما تيجي اعزملك على اتنين قهوة في إكسليور وآهو نفك شوية ونشم هواء في وسط البلد.
- طب اخلص التحقيق ده ونتجه.. متفقين..
- يا عم.. أبو أم التحقيق.. هي كلها ساعة ونرجع.. يلا بقه ما تبقاش قفل..
- ثم وقفت وراحت تجرني من قميصي حتى أطاوع رغبتها في الانطلاق..
إلا أن الهاتف الداخلي أطلق رنات متقطعة فرفعت الساعية..
- أكرم..
- نعم يا ريس..
- تعالالي المكتب عايزك..

ثم وضع السهامة دون أن يمنحني حتى حق الاعتراض أو التملص..
هطلت إلى ولاء وهزرت كتفي فقالت:

- مين.. الكرش الكبير؟
- عايزني في مكتبه دلوقتي حالاً..
- الله ينكد عليك يا ماهر يا رفاعي يا ابن... إنت تعرف اسم امه؟!
- أوعلك بعد ما يرفدني اساله عشان أروي فضولك.. استني لما امشوفه
عايزني في ايه..

بخطوات حذرة اتجه نحو مكتب ماهر الرفاعي.. رئيس تحرير جريدتنا الناشئة.. وسكرتير تحرير ثلاث صحف على الأقل في بدايات الألفية الثالثة.. الرجل الذي تسلق سلم الصحافة من البدروم إلى القمة.. والذي ذبح بقلمه الكثيرين ممن عارضوه أو وقفوا في طريق صعوده.. المناضل الفذ الذي لا يُشق له غبار في سبعينات القرن العشرين.. والموائم الفذ في تسعينات القرن العشرين.. القلم الحر الذي يملك كل الحرية في أن يخالف ما قاله في نفس المقال...!!

دققت الباب في هدوء، فجاءني صوته الرخيم الخشن يطلبني للدخول..

- مساء الخير يا ريس..
- مساء الخير يا اخويا.. اقعد، يا طاهر...
- عم طاهر يأتي مهرولاً للمكتب.
- هاتلي اتنين قهوة عالريجة.. واقفل الباب ده كويس ومحدث بخشلي..
نرمين روحتي؟؟
- آه يا ريس من نص ساعة كده.

- طيب خلاص.. بسرعة الله يكرمك.

انصرف عم طاهر مهرولاً لينفذ الأمر السهاوي الذي أطلقه ماهر
الرفاعي من فوق مقعده الجلدي الضخم.. القابع خلف مكتب عملاق من
خشب الزان الأصلي.. النائم في غرفة فسيحة معطرة بأحدث أنواع منقيات
الهواء برائحة التوت البري النفاذة..

ماهر الرفاعي ذي الستين عامًا.. الذي أمضى السنوات الخمس الأخيرة
من حياته جالسًا خلف هذا المكتب العملاق.. مرتديًا حُلته التي خاطها له
أشهر خياطي محلات موريس حنا.. وحذاءه الإيطالي اللامع دائمًا كبشورة
مكتبه الزجاجية.

- إزيك يا أكرم.

- الحمد لله يا ريس عايشين..

- مال وشك مصفر له..

- ولا حاجة يا ريس قلة نوم.. وقلة مزاج.

- وإيه اللي قالل نومك ومزاجك يا سيدي؟!

هذه الطريقة لا تريحني أبدًا.. هذا الرجل يستجوبني بطريقة تشبه طرق
الآباء في جعلك تعترف بجرمك المشهود بلا أي ضغط منه أو سؤال..

عم طاهر يذلف بالقهوة في فنجانين خزفيين، لونها كلون بشرته البنية..
وكوب الماء الشفاف النظيف يقف منتصبًا بهائه المعدني الرقراق..

- شكرًا يا طاهر.. اتكل انت..

- هتؤمرني بحاجة ثانية يا ريس.

- لا روح إنت.. وابقى سلملي على تحية والعيال..

يوصل يا ريس.. الله يسلم عمرك.

عم طاهر يخرج مشرق الوجه سعيدًا بأن السيد المأمور قد أطلق سراحه
امبرًا، وسيرى أولاده وينعم بهم.. مسكين هذا الرجل.. الحقيقة أن علاقته
بماهر الرفاعي متشابكة تشبه علاقة خادم مخلص بمخدوم جبار متكبر
.. فطرس.. ورغم أنه لا يطيقه ولا يحبه إلا أنه لا يستطيع تركه أبدًا.. بل
يهرح بكل كلمة سلام وكل ابتسامة ممنوحة تأتي منه. ١١

هذه العلاقة الغريبة جئدها العبقرى الإيطالي تارانتينو في فيلمه الأخير
(جانجو) عندما لعب (صامويل أو جاكسون) هذا الدور العبقرى ويقف
مخلصًا لمخدومه الأبيض ضد بني جنسه المستعبدين.. بل إنه وشى بهم
لسيده الأبيض حتى يقتلهم.. أعرف أن عم طاهر يملك علاقة متشابكة
مثل هذه مع ماهر الرفاعي.. فقط أثق أن عم طاهر لن يشي بي أنا وولاء
لكي يقتلنا السيد الأبيض ١١

رشفة مسموعة من قدح قهوته الكثيف البنّ أخرجتني من عوالم
تارانتينو.. وأتت بي إلى عوالم ماهر الرفاعي.. الذي أراح نظارته فوق قصة
أنفه، وراح يتأمل في بروفات طباعة عدد الغد.. فاعتدلت مقرّرًا أن أبدأ
الهجوم المضادّ.

- هو في حاجة يا ريس ١٩

- حاجة زي إيه ١٩!

- أصل أكيد حضرتك مش جايبني مكبك عل وجه السرعة عشان
نشرب القهوة سوا..

- وفيها إيه يا أكرم.. هي يعني أول مرة..

- الصراحة أول مرة من زمن طويل يا ريس..

- يا سيدي قول إني حنيت للمرة اللي فاتت.. وبعدين انت منور
كده ليه.. هو لازم يبقى في حاجة عشان اعزمك على اتنين قهوة في
مكتبي ونردش شوية.
- (نردش) هنا بمعنى (استجوبك).. أنا لا أخطئ في ترجمة مصطلحات
ماهر الرفاعي أبدًا..
- ولأنت عامل حاجة وخايف تقوللي عليها؟!
- حاجة زي إيه يا ريس..
- ثم منحته أكثر ابتسامة بلهاء سخيفة استطعت إنتاجها من خط إنتاجي
الشعوري.. دعني قليلًا أستخدم هذا التكنيك الناجح.. مواجهة الاستعباد
بالاستعباد..
- شفت التحقيق اللي اتعمل في المسائي النهاردة؟!
- تحقيق إيه يا ريس.
- التحقيق اللي اتشر في نص الصفحة الأولى بتاع سفاح الفويا..
- ماهر الرفاعي يطلق أسلحته الاستباقية في وجهي.. إذن هجوم..
- آه شفته يا ريس..
- وإيه رايك فيه؟!
- رأيي إنه أي كلام.. كلام متلزنق على كام مصدر موثوق فيه من
داخل المديرية.. مفيش لا صور ولا أسامي ولا تقارير طبية ولا
أي حاجة تدعم الكلام.. هو فعلاً يليق بصحفي تحت التمرين في
الأهرام المسائي.
- أنا ما بالكش عن رأي صحفي.. أنا عارف كل الكلام ده كويس..

أنا بآلك عن الموضوع نفسه.. إيه رأيك فيه؟!

انت عن ادعاء الجهل أيها الثعلب وأطلق الرصاصة في وجهي مباشرة..

والله حضرتك أنا رأيي حقوله في التحقيق بتاع عدد بكرة.. أنا كنت قاعد بجهز فيه لما حضرتك كلمتني.

متأخر أوي يا أكرم.. متأخر أوي.. الصفارة ضربت خلاص النهاردة.. وأي كلام تاني بعد الصفارة هيبقى وقت ضايع.. والغريبة إن الصفارة كانت في إيدك انت، بس انت رميتها لحد تاني..

- تقصد إيه يا ريس مش فاهم؟؟

- بلاش استعباط يا أكرم.. أنا ماهر الرفاعي يا ابني.. أنا اعرف كل حاجة عن كل بني آدم بيشتغل معايا هنا، من أول سعفان البواب لحد عبد المعطي مدير التحرير.. اللي أنا مستغرب له بقه.. إنت ازاي عملت كده..

بدأنا اللعب على المكشوف إذن.. هيا بنا..

- إزاي يقى انت الصحفي الوحيد اللي كان قايم نايم في مديرية الأمن.. ومصدره معاون مباحث العاصمة.. وحاضر الحدوتة من أولها.. لا وكمان رحلت المشرحة وسمعت بنفسك تقرير الطب الشرعي قبل ما يتكتب.. وفي الآخر ما نشرتش كل ده، وسبت عيل ابن امبارح في جرنان مسائي بيقراه خمسين ستين بني آدم يعمل معاك كده..

- كان لازم اعمل كده يا ريس عشان احافظ على المصدر بتاعي في صفِّي.. لو نشرت حرف كان هيتأذي بسبيي.

- ملعون أبو المصدر قدام سبق صحفي كبير زي ده.. إنت عيط

يا ابني.. إنت شغال في جرنان مش في مؤسسة اجتماعية..
قدامك كورة متصلة وانت منفرد بالشبكة.. تقوم تباصيها لوالد
جاي وراك عشان الجون ما يتعورش من شوطك.. ده يبقى اسوء
هبل رسمي.

- الموضوع مختلف شوية يا ريس لأن...

طقطع بلسانه مقاطعًا إيأي وملقًا بنظارته الفاخرة فوق أكرام
الأوراق وبروفات الطباعة على مكتبه.. ثم أشعل لفافة تبغ ورشف رشفة
من القهوة.. هو يتلذذ بتركي هكذا.. يظن أني خائف منه أو من قراراته
التي أتوقعها.. لكن هو لا يعرف أني لا أخاف منه.. أنا لا أخاف ممن لا
أحترمهم.. لأنني دائمًا أتوقع منهم الأسوأ..

- ودلوقتي هتعمل إيه..

- ما قولت لحضرت التحقيق هيبقى جاهز في ظرف ساعة وهيلحق
المطبعة قبل الساعة ثمانية.. أنا عامل حسابي في نص الصفحة الأخيرة
عشان نلفت انتباه شوية.

- أخيرة إيه.. أنا مجهزلك ملحق خاص أربع صفحات.. ونزلت
إعلان عنه في الموقع من شوية.. عايزك تحط كل حاجة في الموضوع..
أقوال.. ملابسات.. تحقيقات.. صور.. عايز تفاصيل حقيقية جدًا..
حتى عدد كوبايات القهوة وأعقاب السجائر.. فاهم يا أكرم..

- فاهم يا ريس.. فاهم..

- طب انجز.. يمكن نعرف نعوض القرف اللي انت عملته.. ولا
كلمة زيادة.. على مكتبك وما اشوفش وشك غير بالملحق..

هممت بالانصراف ثم تذكرت أمرًا ما فالتفت ناحيته..

باشا.. بالنسبة لحسين مسلم.

- حسين مين.. آه المصور.. ماله؟ ١١
- عايزين نقرص ودنه بس ما ناذيهوش..
- وماله.. بكرة الصبح هطلع قرار بتقله الأرشيْف.. والكاميرا هتسحب منه، وتروح لوائل مسعود.. حاجة تانية؟
- ما نتحرمش منك يا ريس.

وانصرفت غير مندهش من سرعة استجابته لطلبي.. نعم؛ الآن لن
برفض طلبًا لي أبدًا.. حتى مساء الغد.. إذا نفدت طبعات الجريدة الثلاث
أو قاربت على النفاد، فسوف يرفعني إلى منزلة لم أصل لها من قبل.. أما إذا لم
يصل للتوزيع المنشود.. فقد أصبح مراسل الجريدة من فوق رصيف مجلس
الوزراء!!

كدت أصل إلى أول الممر المؤدي لمكتبي حتى فوجئت بالطود العظيم
يفتح باب مكتبه صارخًا قئ:

- أكرم..
- إيه يا ريس خير!!
- خد ولاء وصلها، وتيجي مكتبي بكرة بدري..
- طيب والتحقيق يا ريس..
- هم بالاستدارة نحو مكتبه عائدًا دون أن يجيب سؤالي.. إلا أنه تقدم
نحوي وقال هامسًا:
- مفيش تحقيق.. مفيش ولا كلمة عن الموضوع من دلوقتي.. اسمع
بقه كلامي وامشي..

- في إيه يا ريس أنا مش فاهم حاجة؟!!
- النائب العام أصدر قرارًا بحظر النشر.. مفيش نشر في الموضوع يا أكرم.. مفيش نشر..

* * *

(١٦)

كافيتريا شهيرة بالزمالك .. الواحدة بعد منتصف الليل

أجلس في شرفة الكافيتريا الشهيرة المظلة على النيل .. مكان استراتيجي
بعيد عن كل معارفي .. كما أن شقة خالي في ميدان الدقي تبعد ساعة بالمشي
الطبيعي ..

رحت أراجع ما حدث لي في الأيام الماضية وكأني أشاهد فيلمًا مينائيًا
قصيرًا .. أرفع رشقات من قهوة الاسبرسو القوية وأدخن لفافة تبغ هي
الأولى لي منذ ثلاث سنوات !!

ماذا حدث لي؟؟ لماذا تتعثر خطواتي؟؟ لماذا ترقد روحي في جسدي
كالطين في قاع مستنقع؟؟ لماذا فقدت كل رغبتي في فعل أي شيء لمجرد
تحقيق صحفي منع من النشر وأربعة أيام من عدم النوم؟؟!!

ليس أول ولا آخر الإحباطات يا أكرم .. تذكر أنك أفضل بكثير من

سائق التاكسي الذي حملك إلى هنا من وسط البلد.. تذكر كيف قص عليك قصة الوردية التي تقصم ظهره وقصة أبنائه الأربعة وزوجته الشمطاء.. تذكر كيف قص عليك قصة المقود الذي ينكفئ عليه.. وقصة طبق الفواخ الساخن الذي أصبح أقرب إليه من جبل الوريد.. تذكر ذلك الكناس الذي مال عليك وأنت تتقدم نحو الكافيتريا، وهو يلقي على مسامحك كلامه المعهودة "كل سنة وانت طيب يا باشا" راجيًا جنيتها أو جنيهين يضافا إلى راتبه الذي يكفي لتبغ غليونك في أسبوعين!!

تحيل كم إحباط وفشل مرّ به ذلك الفتى الذي أحنى رأسه الحليق لك بعد أن أثبت على جودة القهوة.. كم فشل وإحباط رأوه في حياتهم المريرة اضرب بأصابعي فوق القائمة الكرتونية الملقاة على الطاولة أمامي، وأحاول تذكر ما جعلني أبدأ في التفكير فيما أفكر فيه فلا أتذكر.. فأحاول رأسي كفنار الموانئ أراقب الزبائن القليلين يقرءون الصحف أو يمارسون عملاً ما في هواتفهم الذكية.. ثم أتذكر أنني لم أعبث في هاتفي الذكي منذ خمس ساعات على الأقل.. فقط لا أتذكر أنه كان مغلقاً لأن البطارية قد نفدت!!

أنا أخرف.. نعم أخرف.. عقلي الذي ارتدئ عباءة اشتراكية فراح يفكر في قيمة ما أشعر به أمام ما قاساه هؤلاء.. ثم خلعها وارتدئ عباءته الرأسمالية حينها تذكر أن لديه هاتفًا ذكيًا يكفي كراتب لذلك الفتى حليق الرأس!!

طأطأت برأسي من جديد مراقبًا صورة اللسان المصاب بالسرطان فوق علبة التبغ التي ابتعتها بعد أن تركت الجريدة.. فقط لأسمع آخر صوت أتوقع سماعه الآن.

- هاي يا أكرم.. إزيك

- دكتورة آمال.. أنا مش مصدق عينيا.
- Why not .. مش إنت لوحدك اللي تعرف المكان ده.. ممكن اقعد؟؟
- طبعا اتفضلي..
- بنطال جينز أنيق.. وقميص أبيض فضفاض يعتليه شال قطني أحمر هو ما يغلف هذه السيدة التي يمكن أن ترى صورتها في كتاب الحياة بجوار دللة بساطة مصحوبة بكلمة مهارة.. بنت ناس حقيقية لو أردت دقة التعبير.
- أرجو إني ما اكونش مضايكاك.
- بالعكس يا دكتورة..
- آمال.. اسمي آمال بس.. دكتورة دي في الكلية أو المستشفى يا أكرم.
- المقامات محفوظة برضه..
- بلا بلا بلا.. كلام قديم أوي..
- أولك يا آمال.. تشربي حاجة.
- أنا already طلبت قهوتي..
- ثم منحني ابتسامة راقية راقية.. وأطلقت مثلها في وجه النادل حليق الرأس وهو يضع قهوتها الأمريكية السوداء في قدح خزفي كبير، وما إن انصرف حتى...
- هو صحيح اللي أنا سمعته ده؟؟
- قوليلي سمعتي إيه وأنا اقولك..
- قبضوا على ال-Serial Killer بتاع الكتاب إياه؟

- فعلاً.. ده حصل النهاردة الفجر..
- أصل أنا قرئت الموضوع صدفة في المسائي وأنا بتغدئ.. واستعمر،
إن انت مش أول واحد نشر في الموضوع.. توقعت إن الضابط ..
اللي اسمه عماد هيخلي الموضوع Exclusive ليك!!
- لماذا كلما حاولت أن أنسى الأمر يذكرني أحدهم به؟؟ ألا يكفي المهرور،
من وسط البلد وعين شمس وإغلاق هاتفي ان لا اجد احدا يسألني عن
السبق الذي ضيعته لأنني "خائف على مصدري يتأذى"!!
- لا ما هو التحقيق بتاعي كان بيتروضب لحد ما...
- Sorry.. أنا قاطعتك بس انا عايزة أسالك سؤال أهم.. إنت
مصدق؟؟
- مصدق إيه بالضبط؟؟
- مصدق إن هو ده فعلاً القاتل؟؟
- وإيه اللي يخليني ما اصدقش؟
- رشف من قهوتها خالية السكر ولوت شفتيها مندهشة..
- لا بجد ما اصدقش ليه؟؟
- عشان ده Logically أصبح يا أكرم.. قاتل نبيه وذكي وProfessional
جداً زي ده يقع بالعبط ده وبالسهولة دي.. بص يا أكرم I'm not a
fool.. أنا ست بستخدم غي أوي أوي، واتعلمت طول عمري إني
أستخدمه.. الشرطة هنا في مصر مش مضبوطة أوي كدة عشان تقدر
تجيب قاتل زي ده بالسرعة دي..
- هي ما جابتوش لوحدها برضه.. دكتور أحمد سليمان ساعدهم كثير
في الموضوع ده.. وتوفيق ربنا في الأساس..

Whatever .. برضه ده ما يمنعش إني مش قادرة أبلع الموضوع خالص.. حاسة إن بكرة الصبح هنشوف نفس العناوين العبيطة بناعت "مختل نفسيًا يقتل نعمة أبرياء" و"جاره أكد أنه غريب الأطوار" وكل البلا بلا بلا ده..

ابتسمت مشعلًا لفافة التبغ بقداحتي التي بدأت تلحق بقداحة عماد الحربة..

- متأسف لو كان الدخان هيدايقك..
- لا لا.. مفيش مشكلة..
- عمومًا ما تدايقش نفسك.. مش هتقري العناوين دي أبدًا.. على الأقل لفترة طويلة..
- ليه يعني.. دي ما تبقاش الصحافة المصرية لو ما عملتش كده.. إنت أول واحد عارف كده أكرم.
- النائب العام منع النشر في القضية.
- إزاي يعني..
- يعني زي ما بقولك كده.. النهاردة الساعة سبعة طلع قرار بوقف النشر في القضية لأجل غير مسمى..
- وده من حقه..
- تقدري تقولي آه..
- وده ينفع بعد ثورة قامت for freedom and truth
- ثورة.. الله يحظك يا دكتور.
- نظرت لي باستغراب.. أكثره بسبب كلمة (يحظك)..

- الله يحظني.. إنت بتهرج ولا بتكلم بجديا أكرم.
- لا بجدي يا دكتور.. الظاهر إن القصص الكثير اللي كانت بتحوم حوالين الضحية الأولانية علاء البلطيمي وموضوع الحشيش والشقة السرية ده مزعل الإخوة في حزب الحق.. ومعلوماتي إن الداخلية هددتهم يكشفوا الموضوع لو هاجموها.. فاخدوها من قاصرها وطلعوا على مكتب الباشا، وطلع الأمر بعد كام ساعة.. شوفتي هنا اللي احنا فيه..
- Stop.. ما نكملش كلام ثاني في الموضوع ده.. this is completely bull shit .. سوري يعني..
- لا سوري ليه.. إنتي قولتي الحقيقة المطلقة.. ده فعلاً bull shit .. واحنا غرقانين فيه لحد وسطنا.. لدرجة إننا اتعودنا عليه وبقي جزء من حياتنا..
- ثم دفنت لفافة التبغ في قلب المنفضة الخزفية الصغيرة ورفعت يدي طالباً قهوة أخرى..
- طيب ولو حد كتب عن الموضوع يحصله إيه؟؟
- يتخرب بيته ويتحبس.. بمتهى الباطة..
- هاتفها المحمول ينادي بصوت فيروز الجميل.. أنا الحبيبي وحبيبي إلي..
- هاي يا محمود.. لا يا حبيبي أنا في (...).. آه اللي في الزمالك.. لا مش ناوية اتأخر.. اوك.. اوك.. لا Don't wait for me babe ..
- لا sweet dreams .. سوري يا أكرم..
- لا ولا يهملك.. أكيد جوزك لما يتصل لازم ترددي..

إيه الجو البلدي ده .. وبعدين ده مش جوزي .. أنا جوزي ميت من
ستين .. ده محمود .. ابني ..

ربنا يخليهولك يا دكتور .. سوري ما كتش اعرف موضوع جوزك ..

Never mind .. أنا صحيح فقدان ماجد كان صعب عليا أوي ..
بس هعمل إيه .. Life goes on يا أكرم .. مفيش حاجة هتوقف
الحياة ولا الحياة هتقف عندها .. لا موت حد ولا حياة حد .. ولا
خسارة حاجة ولا مكسب حاجة ..

ثم رفعت رشفت باقي قدحها ونهضت متاوله مفاتيح سيارتها الأنيقة ..

- ميرسي يا أكرم على الشوية دول .. أحمد .. ال check لو سمحت ..

- عيب يا دكتور .. إنتي ضيفتي وده مش هينفع ..

- بس يا أكرم بليز .. ما بحبش الجو القديم ده وحياة والدك ..

- معلى خليها قديمة المرة دي والمرة الجاية تبقى جوها جديد ..

منحتني ابتسامة راقية أخرى وأعادت حافظة نقودها الأنيقة إلى حقيبتها
البسيطة .. ثم رفعت يدها ملوحة، واتجهت نحو السلم تهبط درجاته
الرخامية في أناقة ..

رفعت يدي إلى الفتى حليق الرأس الذي عرفت أن اسمه أحمد .. طالبًا
فاتورة الحساب بإشارة على كف يدي .. والتفت ناحية الطريق لأرى ذلك
الفتى الذي يرفع عقيرته عارضًا بضاعته الطازجة من صحف اليوم ..

- استنى يا ابني .. ابعثلي الأهرام مع أي حد تحت .. خد ..

ثم تناولت جنهين معدنين وألقتهما إليه .. ليلتقفهما في مهارة، ويبد
واحدة .. ثم أرسل الجريدة مع أحد الشباب العاملين في الكافيتيريا ..

رحت افض الجريمة وابحث عن صفحة الحوادث لأجد العنوان ..
بخط أنيق:

"النائب العام يأمر بوقف النشر في قضية سفاح القويبا"

"النيابة تخلي سبيل جمال إبراهيم المشتبه به بضمان محل إقامته .. والحمد لله
يشمل أي معلومات تخص القضية أو بمن يتعلقون بها"

صحفي خبيث وذكي .. أراد أن يسرب خبر الإفراج في قلب خبر الم
بدون أن تطاله طائلة .. لو كان النائب العام ذكياً لاستدعى ذلك البائس
موجهاً له تهمة خرق حظر النشر لأنه كتب اسم جمال .. في نفس العنوان
الذي يقر بأن حظر النشر يشمل المتعلقين بها .. نعم يا أكرم .. أنت أغبي
برغوث .. حظر النشر لا يشمل إلا علاء البلطيمي يا المعبي ..

ولكن ما هذا؟؟

خلعت نظارتي وألقيت نظرة على الخبر من جديد .. كيف لم ألحظ ذلك
في غفلة انشغالي بمهارة الصحفي وخرق حظر النشر ..

إخلاء سبيل ..!!!

لا بد أن أرى عماد حالاً ..

* * *

- هيدرو فوبيا ..

- إنت متأكد يا أكرم؟؟

- هيدرو فوبيا ..

- حمد الله على سلامتكم يا أكرم

If you please all of you .. اطلعوا برة.. لازم نسيه عشان
الحالة تستقر

* * *

حاشية لا بد منها

علاء مسعود عبد العزيز البلطيمي .. ٢٨ سنة .. مطلق .. أب لبنت
الناية من عمرها .. المتحدث الرسمي باسم حزب الحق وعضو اتحاد
النياب المسلم .. والمرشح المرتقب عن حزبه في الانتخابات البرلمانية
المبلة ..

هذا ما يعرفونه جميعاً عنك يا علاء ..

هذا ما تعرفه عنك مطلقتك نجوى .. وأبوك السلفي المتشدد .. وأهلك
الفلاحة الريفية البسيطة .. وإخوتك محمد وعمر وجويرة .. وزملاؤك في
الحزب .. ويواب البناية التي تقع بها شقتك الفاخرة في قلب مصر الجديدة ..
هذا ما ستعرفه عنك ابتك حبيبة يوماً من الأيام ..

علاء مسعود عبد العزيز البلطيمي .. ٢٨ سنة .. متزوج عرقياً من أمينة
مسعد .. وأب محتمل لصبي قد اخترت له اسم أخيك المتوفى مصطفى ..
ممن حشيش عتيد .. لا تقو على الحياة بدون قرص الترامادول .. عصبي
المزاج .. ومرشح محتمل للإفلاس والفضيحة قريباً ..

هذا ما لا يعرفه عنك سواك يا علاء ..

هل مللت يا صديقي من ارتداء قناع الفضيلة .. هل مللت من تلك
اللحية المهدبة التي أزلتها مساء أمس وسط كلمات الشناء والغزل من
زوجتك السرية أمينة مسعد .. الراقصة السابقة في شارع الهرم .. والتي
اعتزلت الرقص وقبلت بك زوجاً سرّياً من فرط ما هامت بك حباً .. !!

هل مللت الكذب على أهلك.. والاختفاء منه في شقة التجمع..
جعلتها موطنًا لحشيشك الأثير.. ومهربًا من كل ذلك الزيف الذي نهط
نفسك.. بل إنك ابتعت فيها أريكة وطاولة حتى تصبح مقرًا مؤقتًا..
لكل تلك الكميات التي اشتريتها..

علاقة متشابكة هي علاقتك بالحشيش يا علاء..

علاقة تشبه علاقة طفل صغير بقالب من شيكولاتة الحليب السويسري..
عندما كنت صغيرًا كنت تأكل منها حتى لا تقوى بطنك على التحمل..
لتركها عندما كبرت إلى ذلك العجين زكي الرائحة قوي المفعول..
يوم استنشقت النفس الأول.. يوم تعلمت من صديقك الذي أراحه أ..
من طريقك يومًا.. كيف تتعاطى الحشيش بكل صوره.. تعلمت المساء
والخابور وكيف تجعل من الحشيش أحيانًا صغيرة تعلقها في مسامير ثبتها
السقف.. فتشعلها لتحول تلك الشقة الخاوية إلى مكعب حشيش كبير..

عرفت كيف تبتكر وكيف تبدع في تعاطي صديقك المخلص.. عرفت
كيف تشتريه كما تحب، وكيف تحدد جودة الصنف، وكيف تشعر بذلك
أول لمسة للعجينة البنية المغطاة التي تعرق الزيت تحت يديك الخبيرتين..

هاتفك المحمول يرن في إصرار.. اللعنة عليكم.. ألا تتركوني أنعم
بحياتي ليومين..

- السلام عليكم

- وعليكم السلام.. مين؟؟

- مين إيه.. أنا جويرية يا علاء..

- أهلا يا حيتي إزاي أحوالك..

ثم ترك الهاتف ففتح مكبر الصوت كي تستطيع لف تلك اللقافة كما

... في مهارة ونعومة.

إنت مختفي فين بقالك يومين.. حبيبة بتلف عليك الشقة زي المجنونة
وعمالة تقول بابا بابا.. وابوك بيكلمك عالنمرة الثانية مليون مرة
وانت برضه ما بتردش..

مخنوق شويتين يا جوجو ومحتاج ارتاح..

طيب قولي إنت فين.. أنا جوجو حبيبتك..

بطلي تدادي فيا زي العيال يا جويرة.. أنا عند واحد صديقي برتاح
شوية ويومين ومرجع البيت.

- طيب يا حبيبي زي ما تحب.. خلي بالك بس من نفسك.. لا إله إلا
الله.

- سيدنا محمد رسول الله.. بوسيلي حبيبة.. واوعي بالله عليك الحجاج
مسعود يعرف حاجة عني.

لسانك يمر فوق ورق البفرة الناعم مع ذكر اسم أبيك بدون كلمة أبي
التي علمك إياها منذ سنين، ولم تستطع أن تبتلعها.. وأختك تنهد في حزن.

- حاضر يا علاء زي ما تحب.. أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه..

- ونعم بالله.. السلام عليكم

تضغط الزر الأحمر بطرف أصبعك ويدك تتناول القداحة من فوق
الطاولة لتصدم بشيء ما..

التفت بحدة نحو ذلك الشيء الذي اصطدمت به يدك.. لتجد شيئاً
مكعباً مغلفاً بغلاف جلدي.. كتاب قديم مغلف بغلاف جلدي قديم، وقد
نقشت فوق غلافه حروف اسم الكتاب وحروف اسم مؤلفه بنفس حجم
الخط.

تحدث نفسك مندهشاً..

- إيه اللي جاب الكتاب ده هنا.. ٢٢٠ وإيه الرهاب ده.. ٢٢٠ في حدب..
كتاب.. الرهاب.. ٢٢٠

تشعل لفافة التبغ المحشوة بأفخر أنواع الحشيش الأفغاني.. الذي - ا -
لك أحد الإخوة من هناك منذ شهرين.. هو ليس أخاً بالمعنى الصحيح
هو تاجر مخدرات يتلبس ملابس الأخ.. هو ليس رجلاً مظهره كباطنه..
المرحوم مصطفى أو شاباً حافظاً لكتاب الله مثل شقيقك عمر.. هو مثلك
يرتدي قناعاً وعباءة ولحية.. وأخلاقاً ليست أخلاقه..

رحت تتصفح الكتاب في لا مبالاة وأنت تنفث الدخان الأزرق.. تمام..
ساقيلك.. ورقة مطوية في نصف الكتاب.. كأن أحدهم قد توقف عند
الورقة، وذهب ليكمل شيئاً ما.. من أين جاء هذا الكتاب.. أنت لا تذكر
ولا تذكر كيف جئت به إلى هنا!!

تعال وقرب عينيك المجهدتين وسط سحابة الدخان.. واقرا معي هذه
القصة..

إنها تحمل عنواناً غريباً.. (من فوق)

إنها تتحدث عن شاب ملّ الحياة وتعب منها.. شاب لجأ إلى شرب
البوطة وامتصاص الأفيون حتى يهرب من تلك الحياة المملقة المزيفة.. قصة
قديمة هي.. لا أحد يشرب البوطة منذ أربعينات القرن الماضي.. كما أن
الأفيون لم يعد سهل المنال مثل تلك الأيام!!

ذلك الشاب الذي جلس في شقته الصغيرة يجرع من كأس البراندي..
ويضع قطعة الأفيون أسفل لسانه..

١٠٠ أنا كما تضع قرص الترامادول أسفل لسانك.. كي يسري في جسدك
..م في العروق..

١٠١ اح الشاب يشرب البراندي حتى بدأت عيناه تغمض.. فنهض محاولاً
..شاق الهواء في الشرفة.. وراح يعبّ الهواء حتى اصطدم بسور الشرفة
١٠٢ صير بكامل إرادته ليسقط إلى الشارع قتيلاً..
غريب أمر هذا الشاب..

كيف يقترب إنسان ما من حافة الشرفة ويصطدم بها بكامل إرادته!!
القيت بالكتاب في إهمال ورحلت تجهز قطعة حشيش أخرى للفاقة
أمرئى.. وأنت تلعن القصص غير الواقعية..

فقط لو تعرف لماذا يطلب منك ذلك الصوت الذي يملأ جنبات عقلك
أ، تشرب هذه اللفافة فوق السطح..

لماذا تريد أن تستشق قليلاً من الهواء البارد المعبق بنسيمات الفجر وأنت
..نحن هذه اللفافة بالذات..

لماذا يبدو لك ذلك منطقياً جداً..

ثم.. لماذا أقيت بالكتاب إذن..؟؟

* * *

- المرسى.. العوامة.. هيروفويا

- مرسى إيه يا أكرم..؟؟

- كلمولنا الرائد عماد بسرعة..

* * *

(١٧)

مديرية الأمن .. الخامسة والنصف صباحاً

- يعني إيه مفيش دليل عليه .. إنت هستعبط يا عماد؟؟
- يعني مفيش دليل يا أكرم .. هو انا يعني سايه بمزاجي .. روح اسأل وكيل النيابة ..
- أنا بسألك انت .. مش المفروض إنك مرتب ورقك وتحقيقاتك كويس ..
- أشعل لفافة تبغ متجاهلاً نبرقي وجلستي الهجومية .. ومدد ساقه أمامي وهو ينفث دخان لفافته في عنف كأنها يخرج روحه في كل نفس يخرج من أنفه.
- البصمات على السكينة مش بصماته .. المحضر يقول إنه ما كانش لابس جواتي ساعة القبض عليه .. المجني عليه بعد ما فاق قال إن

مش هو ده اللي ضربه بالسكينة..

طب وكان بيعمل إيه عنده ساعة فجرية.. بيوصله كومبو من ماك
مثلاً!!

غلط في العمارة..

نعم يا اخويا!!

غلط في العمارة.. كان فاكرها عمارة ابن خالته اللي ساكن بعدها
بعمارتين واتلخبط في النمرة..

- وهو رايح يزور ابن خالته الفجر..!!

مفيش قانون في البلد بيحدد مواعيد زيارة الواحد لابن خالته يا
أكرم..

ثم أشاح بوجهه وهو يزفر متوترًا.. وساقه اليمنى ترتعش كضفدعة
الفاني.. وراح يعض شفتيه في ضيق حتى كاد يدميها..

- هات سيجارة يا عماد

- سيجارة إيه.. إنت رجعت للسجاير تاني

- آه رجعت للزفت وكنت ناوي ابطل من كام ساعة.. إنت هتفتحي
محضر ما تخلص..

القى إلى بعلبة التبغ فتلقفتها وأخرجت منها لفافة أشعلتها على سبع
مرات من تلك القداحة الخربة فوق مكتبه.. نفث دخانها في الهواء حتى
نفثه مواصلة طريقها المحموم نحو ذلك الشفاط القابع في طرف الغرفة.

- طيب خلبنا عمليين كده.. ساعة ارتكاب الجرائم الخمسة كان عنده
حجج غياب برضه.

- الورق عندك عاالمكتب.. ده منظم بشكل بشع.. كل الجرايم الحما
ارتكبت في وقت بصمة حضوره في شركة الأدوية اللي بيشتا
فيها.. أو قبلها أو بعدها بنص ساعة.. وهو مش سوبر مان عا
يقتل واحدة في المعادي ويوصل العاشر بعدها بنص ساعة.. أو
واحد في الزمالك وهو عنده وردية مائية في العاشر بعدها بنص
ساعة..

- ووكيل النيابة أفرج عنه بسرعة أوي كده..

- اليومين دول محدش بيقتل في النيابة يا عمي.. مفيش دليل إدا
واضح.. مفيش حبس.. وخاصة إن الراجل مالوش أي بصمة
أي مكان للجثث الخمسة.. إحنا كمان كنا بنجري في الموضوع
نمناش عشان لما يتعرض عاليابة كل حاجة تبقى تحت إيدنا..
برضه وكيل النيابة كان باين عليه إنه...

ثم صمت ونظر في وجهي بلغة لا يفهمها سوانا..

- وبعدها بربع ساعة يطلع حظر نشر..

- لا؛ حظر النشر اتبعت من مكتب النائب العام بعد القبض عا
بساعة بالضبط.. رغم إننا لا بلغنا النيابة ولا كنا خلصنا تحقيق
أصلاً..

- قال وانا اللي كنت بحسب إن في أمين ولا عسكري يسرب أخبار
للصحافة.. أتاري الوزارة كلها شربة..

- إحترم نفسك ياد.. أنا مش ناقصك إنت كمان

ثم دفن لفافته في المنفضة التي تحولت إلى أصيص لزراعة التبغ.. وجرح
ثمالة كوب القهوة البارد..

تشرب قهوة..

لا مش هشرب كفاية اللي انا شاربه.. قولي بقه.. الحدودية خلصت
على كده..

لا ما خلصتش.. أنا براقبه زي ضلّه.. في فرقة كاملة بتعدّ عليه النفس
اللي بيخرجه وبق الميه اللي بيشربه.. لازم يغلط غلطة أو تحصل منه
تكة تخلينا نحط إيدينا على الدليل.. لازم..

طرقات مكتومة على الباب.. مكتومة ولكنها الحوحة.. الحوحة كطرقات
الأمالغال على أبواب الحمامات..

ادخل يا علي..

وكانها حفظ عماد بصمة طرقات كل من يعملون معه.. فتح الباب.. لا
افتح.. الفتح لفظ مؤدب لما حدث.. لقد اقتحم على الغرفة افتتاحًا حتى
أه نعر في طرف السجادة البالي وسقط على الأرض فانتفض عماد من مكانه
أساعده على النهوض.

- في إيه يا ابني.. مش تحاسب انت كمان

- رئيس المباحث عايزك فورًا يا باشا..

- في إيه ما تنطق؟؟

ألقي إلى بنظرة متشككة.. ثم حوّل نفس النظرة إلى عماد.. فترك عماد
دراعه، ونظر نحوي بنفس اللغة التي لا يدركها سوانا.. ثم انصرف مسرعًا
وأغلق الباب.

أشعلت لفافة تبغ أخرى.. ورحت أراقب حلقات الدخان تركض نحو
مصيرها المحتوم في هواء الغرفة الكتيب.. التفت لألقي نظرة على مكتب

عماد الشبيه بدولاب مراهق في الخامسة عشرة.. لأجد ذلك الكائن المسمى
ذي الغلاف الجلودى يقبع هناك في طرف مكتبه..
مددت يدي اتحسس الغلاف الجلودى القديم.. ثم تناولته، ورحلت ألام
فيه..

غريب أمر هذا الكتاب.. تشعر معه كأنه كائن مستقل يتنفس وينتج..
ويفعل.. وليس جمادًا من الورق المصقول المهترئ بين دفتين من الحمار
الصناعي ذي الرائحة الكريهة.. كائن يفعل ويقتل ويغوي بالقتل.. الحرمان
المنمقة داخله تشبه ألف عين وعين تكاد تلتهم وجهك وأنت تنظر لها!!

حتى عناوين القصص.. هي غامضة تشحن بطاريات الخيال.. البراءة
حاول أن يصنع شيئًا يحمل معنى وملمس الخوف.. حتى الخيال خفيف
الخيال يأخذك إلى مجاهل وأحراش داخل عقلك لم تطأها.. الخيال يحرم
بك من دائرة الممكن الكثيرة إلى دائرة قد تجعلك ترتجف طالبًا العودة إلى
الكآبة.. لكنه خيال يقتل ويحرض على القتل!! هل كان يقصد ذلك بالفعل..
عندما خطت أقلامه الحبرية مسودة ذلك الشيء..!!

هذه القصة التي تدعى: (إلى العمق)..
تذكرتها.. هي تلك القصة التي كلما أمسكت يداي بهذا الشيء لم
أكملها.. كان بيني وبينها شيئًا..

"راح سمير يقترب من سطح الماء الرقراق محاذراً أن تنزل قدماء
فيقطن على وجهه في صفحة الماء الواسعة.. إنه يحتاج أن يعرف السر..
ولولا هذا لما اقترب من صفحة ماء في حياته، إنه لا يقرب الحمام في
آخر الحارة ويفضل الاستحمام بذلك الكوز وداخل الطشت الخاوي..
إنه لم يعتقد أن يقترب من حديد الكوبري إلا هذا الحد.. ولم يحب النيل
ولا مراقبة صفحته الباردة من فوق سور الكوبري.. لكنه لا بد أن

١ . . إن النداء أقوى منه .. نداء يسحبه إلى العمق " .

أهـم عماد الباب .. ثم تناول سترته وطبجته الميري .. ونظر نحوي ..

معلش يا أكرم أنا آسف .. لازم تقوم معايا حالاً

إيه .. مقبوض علياً ولا إيه؟؟

لا .. في جثة جديدة ..

بكتاب ولا من غير ..

لا؛ بكتاب .. هشرحلك كل حاجة في الطريق .. بس انت لازم تبجي

معايا .. بالذات المرة دي .

ولازم ليه يعني؟؟ واشمعنى المرة دي!!

كان بوليني ظهره محاولاً أن يضع طبجته في جرابها .. ثم توقف جسده
من التحرك ..

- ما ترد علياً يا جدع انت لازم ليه .. لهجتك مش عاجباني تماماً

- بيساطة لأن مكان الجثة الجديدة يهملك جداً

- ليه يعني .. هو قتل حد في شقة خالي ولا في بيت جدّي ..

- في عبادة دكتور أحمد سليمان يا أكرم ..

* * *

- أكرم .. أنا هنا يا ابني جنبك

- المرسى .. العوامة .. عصام

- عصام .. who is that guy؟؟

* * *

(١٨)

عيادة دكتور أحمد سليمان للصحة النفسية.. السابعة صباحاً

نحن في وسط سيرك..

هذا ما يستتجه المرء عندما تتخطى قدماه عتبة عيادة الدكتور سليمان،
وعندما تقع عيناه على تلك اللوحة المعدنية الأنيقة المعلقة بجوار الباب..
وقد كتب عليها بحروف حمراء وزرقاء

عيادة د. أحمد سليمان

للصحة النفسية

أستاذ التحليل النفسي بجامعة عين شمس

أمين عام الجمعية الدولية للصحة النفسية

العشرات من رجال الشرطة والبحث الجنائي والبواب والجيران..

١٠ ان العيادة ويافع الجرائد... ما الذي جاء بيافع الجرائد هنا.. لحسن الحظ
العم البطاطا والبصل لما يعرفا بعد بالجريمة النكراء!!

١١ سط كل هذا يجلس دكتور سليمان عاقداً ساعديه أمام صدره ونظارته
الذهبية تتدلى من سلسلة فضية على صدره وهو يرتدي ملابس الرياضية..
١٢ اه نملقان في الفراغ غير عابثة بمن يمارسون هوايتهم في تحويل عيادته
إلى مطبخ المرتبة إلى ساحل أندونيسيا بعد تسونامي..

١٣ فملت نحوه وجلست على ركبتى لأواجهه، بينما عماد يتفقد الأحوال

عم احمد.. حصل إيه في إيه؟؟

راحت..

هي إيه اللي راحت بس؟؟

سمعة العيادة راحت يا أكرم.. سمعتي العلمية والطبية راحت يا
أكرم..

طب صلي عالنبى وقوم معايا بس

ومددت يدي لأعاونه على النهوض فنظر لي تائها غير عالم بها يمكنه فعله
١٤ راغب في المقاومة حتى..

عماد.. مفيش مكان فاضي ممكن اقعد فيه مع الدكتور

- وانت يا عبد الباقي خليك مع مصطفى عشان البصمات..

- عماد..

- خش المكتب يا أكرم.. واقفلوا عليكم الباب.. يا علي..

ثم انصرف متابعاً إعطاء تعليماته لرجاله الذين انتشروا كالنمل فوق
سسط من السكر..

دلفنا إلى المكتب الأنيق.. وأجلست دكتور سليمان فوق الأريكة المائلة..
الوثيرة بينما جلست إلى جانبه وخلعت نظارتي.

- ارتاح يا عم أحمد الله يكرمك
- هم مش كانوا قبضوا عليه يا أكرم؟؟
- ما طلعتش هو يا دكتور.. وكيل النيابة أفرج عنه إسماعيل بضمان..
إقامته والقضية له مفتوحة.
- بضمان محل إقامته يعني إيه.. يعني إيه واحد مشتبته فيه في قتل..
والشروع في قتل السادس يفرجوا عنه في قضية ما اتقفلتش..
بلد دي ولا تكية.
- تكية.. بلد.. زربية.. مش ده موضوعنا.. إنت ارتاح دلوقتي و...
نقعد مع عماد لما يخلصوا ونشوف الموقف إيه دلوقتي..
- الموقف دلوقتي إن بيتي اتخرب.. عيادتي اللي كنت بحبها أكثر..
بيتني بقت موصومة طول العمر إن بنت اتقتلت فيها.. تخيل الم...
عمل فيها إيه!!
- الله يكرمك ارتاح بس وبعدين نبقي نتكلم
رفع رأسه وحدجني بنظرة غاضبة..
- في إيه يا أكرم.. هو أنا كل لما اكلمك كلمة هتقولي ارتاح ارتاح..
- أنا مش قصدي.. أنا بحاول اخلي أعصابك تهدئ
- في حالات الصدمة يا أستاذ يا تحقن المريض بمهدئ يا تيبه...
طاقته عشان يفوق.. وبعدين انت هتعلمني شغلي ولا إيه

- العفو يا دكتور.. إنت في مقام المرحوم ابويا.. حقلك عليا وادي
راسك ابوسها.

- او عني بقه بلا راسي بلا رجلي.

- والنبي عسل يا عم احمد.

بدأت نظراته الغاضبة تتلاشى، ووضع رأسه من جديد فوق الأريكة،
وراح يتأمل السقف الأبيض الذي أعاد طلاءه منذ أسابيع.. بينما دقائق عماد
القوية المتناسكة تداعب الباب، فيطلب منه الدخول ليذلف في هدوء ويغلق
الباب خلفه.

- معلىش يا أكرم ممكن تسيينا لوحدنا شوية

- بقولك إيه يا عماد.. الراجل ده زي ابويا بالضبط.. وانا مش هتنقل
من هنا إلا لما اعرف في إيه وحصل إيه وازاي أفرجتوا عن البيه وانتو
مش عارفين تأمنوا بيوت الناس من شره!!

- إنت هستعبط يلا.. ما انت عارف إني لا بفرج ولا بنيل.. النيابة
شافت إن الأستاذ المتهم عنده حجج غياب قوية وإن بصماته مش
موجودة في أماكن ارتكاب الجرائم الخمسة وإن مفيش دليل واحد
ضده.. تحبسه ليه بقه على سبيل الاحتياط..

ثم جلس على أقرب مقعد وجدّه، وأخرج لفافة التبغ من علبة الكرتونية
وأشعلها في غضب، بينما قام الدكتور سليمان بأغرب عمل ممكن أن يقوم به
من في حالته.

لقد نهض مسرعاً وحمل منفضة السجائر من فوق مكتبه، وركض بها
نحو عماد ثم وضعها أسفل لفافته المشتعلة، وعماد يحدق فيه ذاهلاً...

- إيه يا عماد بتبصلي كده ليه ١٩
- أصل ال.. مش ال...
- هو انا عشان بقية العيادة بقت مزيلة أسيب المكتب اللي فاضلي ..
- هو كمان، وبعدين السجادة دي hand made وطفلي السجائر ..
- يوظها.. ولا إيه يا أكرم؟
- لا تمام يا عم احمد.. إنت صح مية في المية.
- ثم غمزت بعيني لعماد فأرواً متفهماً، وعلى وجهه تعبير (الدكاهة
الفساوين بيلقطوا شرارة برضه) الذي لا يكف عن ترديده كلما قال
دكتور سليمان!
- دكتور سليمان.. أنا آسف بس احنا مضطرين نفتح محضر ونا..
- أقوالك.
- ومضطرين ليه.. أنا اللي عايزك تفتح محضر وتأخذ أقوالي..
- بس هستاذنك هنطلع على المديرية سوا عشان نكمل التحقيق
هناك.. يا عبد الباقي..
- نهضت مسرعاً، ووقفت بينها وأنا أقول هامساً لعماد:
- إنت بتستعبط يلا.. هتودي الدكتور سليمان المديرية مع الأمين عبد
الباقي في البوكس.
- الدكتور سليمان على عيني وعلى رأسي.. بس هو دخل دايرة المشبه
فيهم دلوقتي.. حسب أقوال الفراش محدش معاه مفتاح العيادة غير
الدكتور سليمان والفراش والفتيلة اللي اسمها سمية...
- أيّا كان.. في حاجة اسمها احترام.. في حاجة اسمها ادب.. طب
اعمل حسابي يا اخي...

إنتوا بتوشوشوا في إيه انت وهو.. ها؟؟!!

النفث كلانا نحوه.. ثم نظرنا إلى بعضنا البعض في ذلك الحوار العميق
الذي ندرّبنا على ممارسته طوال سنوات معرفتنا العشرين..

ولا حاجة يا عم أحمد أنا كنت بحاول اقنع عماد إننا نكمل تحقيق هنا
عشان تروح إنت بالسلامة.

- أروح فين بس يا أكرم.. أنا هطلع معاكم على المديرية وفي عربية
الرائد عماد.. بس أنا لي طلب.. الفراش يركب معانا.. لو سمح عماد
يعني..

- طبعاً يسمح هو هيعترض ليه يعني..

ثم حدثت عماد بنظرة لائمة، فأشاح بوجهه وألقى باللفافة في قلب
المنفضة الكريستالية الثقيلة.. إلا أنه ما إن فعل ذلك حتى جحظت عيناه
حتى أوشكتا أن يسقطا عند قدمي.. ثم هبّ مسرعاً وفتح الباب...

- مصطفى عبد الناصر هنا؟؟؟

- أيوه يا عماد باشا تحت أمرك

- تعالى هنا بسرعة..

ثم فتح الباب على مصراعيه فتقدم رجل، أرجح أنه كان يومًا بطلًا
لرياضة السومو؛ من فرط بدائه، حتى أوشكت الدهون حول اصرته
وفخذه على التساقط عن جسده نحو الأرض.. يرتدي معطفًا، ويمسك
في يده بحقيبة أدوات صغيرة، بدا مظهرها مع بدائه المفرطة كدبّ قطبي
يحمل عروسة باربي!!

- شوف الطفاية دي كده..

- حاضر يا باشا.. بعد إذنك لحظة

ثم جثا على ركبتيه حتى أوشك على السقوط متدحرجاً فوق الساحة..
الأنيقة، وأمسك المنفضة بيديه التي غطاها قفزات مطاطية بيضاء.. وأخرج من
من حقيبته عدة أشرطة لاصقة وضعها فوق عدة أماكن من المنفضة، وراح
يسحبها ويحملها بحرص نحو كيس بلاستيكي صغير.. ثم أخرج عاكساً
مكبرة وراح يقلب المنفضة في يده، وهو يتابعها بالعدسة ثم...
- آها..

خرج صوته ناعماً طفولياً كصوت ابن أخيك على أعتاب مراهقته
فتقدم عماد منه متابعاً:

- إيه؟؟

- نقطة دم صغيرة أوي أوي دخلت في خرم صغير جداً في قعر
الطفاية..

- أنا اللي بصري بقه حاد شويتين البومين دول.. حرز يلا بسرعة..

وضع منفضة التبغ في كيس بلاستيكي صغير.. ثم وضعهم جميعاً في
حقيبته الصغيرة الشبيهة بحقيبة الماكياج.. ونهض بدون أن يساعده أحد.. يا
للغرابة - ثم خرج مسرعاً

- في إيه يا عماد.. الأستاذ الخفيف ده كان بيعمل إيه؟

- أنا هقولك يا عم احمد.. عماد شك في الطفاية إنها تكون أداة الجريمة..
فانده الأخ يوكوزونا (مصارع قديم اشتهر ببدانته) عشان يشوف
شغله ويحرزها..

- أنا فاهم يا أكرم.. بس هو خد بصمات من على الطفاية.. اللي هي
بصماتي أنا وعماد بس.. يعني مفيش فايده منها.. إلا إذا...

ثم قلب نظره بيني وبين عماد، ثم تابع - وهو يشيح وجهه ناحية صورة

.. مة له ولوالدي رحمه الله في صدر الحائط المواجه لمكتبه - :

إلا إذا كان الرائد عماد حاططني في دائرة الشبهات.. مش كده يا
سيادة الرائد؟؟!!

- يا دكتور سليمان.. أصل الموضوع...

- لا؛ ما دام قلت أصل تبقى خلاص.. عموما أنا صاغ سليم يا سيادة
الرائد..

- يا دكتور أنا مش قصدي بس..

- لو كانت الجريمة دي وقعت بين معاد فتح العيادة امبارح الساعة ٧
ماء والساعة ٥ صباحًا لما الفراش اكتشف الجثة فانا كنت في الوقت
ده في مستشفى الدكتور حسن شوقي الساعة ٨ بعمل فحوصات
وأشعة، والساعة ١٠ كنت على قهوة الليالي في عين شمس، والساعة
٣ صباحًا كنت في شقتي، وبواب العمارة شافني.. وبما إنه بيسهر لحد
الفجر ويروح يصلي فا بخليه يخبط عليًا يصحبني، وينتزل نصلي
الفجر سوا، وبعدين بروح نادي الشمس امشي شوية.. أظن الإخوة
بتوع القسم لما جابوني كنت في النادي.. كده حجج غياي قوية يا
سيادة الرائد؟؟؟

نظر عماد نحوي مستغيثًا من الهجوم المنظم المفاجئ من الدكتور سليمان،
بينما ربت أنا على كتفه محاولًا تهدئة توتره وتأبط ذراعه وهو يحاول التملص..

- إنت واخدني ورايح فين؟؟!!

- اصبر بس يا عم احمد.. أنا هاخذ الدكتور سليمان نشرب حجرين
واتنين قهوة، واحصلك على المديرية يا عماد.. يلا بينا يا عم احمد..

- استنى يا ابني.. هسيب الشقة كده واروح اشرب حجرين!!

- الفراش ما هو هنا معاهم.. وبعدين كده كده هيقلوا الشقة و معاهم
عليها حراسة لحد ما يخلصوا رفع البصمات والأدلة والنيابة تبي
لسه موال كده.. يلا بس..

ثم اقتدته مرغماً، وهو يبرطم بكلمات غامضة متخبطة نحو باب الدوا
لنجد ذلك الفراش محاطاً بستة من رجال عماد الشيهين بدوا لايب الدوا
القديمة.. حتى ظننت أن أحدهم سيخرج بطانية شتوية من فمه، وراهم
يولول طالباً العون من دكتور سليمان.

- الحقني يا دكتور.. هما هياخدوني على فين؟

- ما تقلقش يا حلمي.. كلمتين صغيرين مع حضرة الضابط
المديرية وهيروحوك.

- يا دكتور هي الناس دي بتعرف كلمتين ولا ثلاثة

ثم نظر نحو الدوا لايب البشرية المحيطة به، فقال دكتور سليمان - وهو
يقلب وجهه بينه وبينهم - :

- لا ما تقلقش الرائد عماد مأكد عليا إن محدش هيكلمك ولا هيمسك
بسوء لحد ما تروح بيتك للست والدتك.. تمام يا حضرة الرائد؟

ورفع صوته في الجزء الأخير من الجملة فأجابه صوت عماد الجمهوري :

- ما تقلقش يا دكتور الأخ حلمي في عينينا.. يا عبد الباقي الأخ حلمي
هيجي معايا في العربية لحد المديرية.. خده واستنوني تحت..

ابتسم الشاب النحيل - الشبيه بذلك البرص الذي يمرح في حوائط شقة
جدي في القلعة - ونظر إلى الدكتور سليمان نظرة شاكرة مهللة، لمعت فيها
عيناه الصغيرتان أسفل حوض السمك الذي يرتديه فوقهما.. بينما قدت
دكتور سليمان نحو مصعد البناية الأنيقة وهو يحاول مل الوقت بكلمات

.. همة عن الفتاة المحترمة النشيطة التي كانت خير معاون له، ثم حولها هذا
الماندل المجنون إلى رقم في سجلات جرائمه المتكررة.

بس عارف يا أكرم.. في حاجة محيراني في الموضوع بتاع الأخ ده

- حاجة إيه يا عم أحمد؟؟

في الأول لما اكتشفوا الجثتين.. الجريمتين وقعوا مع بعض في نفس
الوقت أو في وقت قريب من بعضه أوي حسب تقرير دكتور أحمد
علام.. وبعدهم بكام ساعة الجريمة الثالثة.. وبعدهم بكام ساعة
الرابعة.. ثم الخامسة، وهكذا.. وبعدين فضل يومين خامل وما
يشتغلش.. آسف يعني لو كان تعبير ما يشتغلش مة عرف شوية..

- لا ولا يملك.. بس عادي يعني ممكن يكون حس إن الموضوع في
ناس شغالة عليه وإن ممكن تحركاته السريعة دي تكشفه بسرعة
للشرطة، فاقال في نفسه إنه لازم يهدئ شوية..

- أو حاجة تانية ممكن تكون هي اللي بتحركه!!

- تقصد إيه يا دكتور مش فاهم؟

كنا قد اجتزنا بوابة البناية الأنيقة عندما أخرج دكتور سليمان مفاتيح
سيارته اللادا، واتجه نحو السيارة وهو يهمهم:

- الناس اللي زي دي بيبقى سلوكهم صعب التوقع شوية لكن مش
مستحيل.. وغالبًا بيبقوا محبين أوي للشهرة والأضواء والأخبار اللي
بتعلق على ذكائهم اللي دوخ الشرطة.. هو إيه اللي بيزن ده؟؟!!

- بيزن.. آه ده موبايلى غالبًا الفايريشن بتاعه قوي حبتين، أو ما شاء
الله ودانك اللي بقت حساسة حبتين..

- الله أكبر.. غحننا ناقصين.. طب رد وخلصنا من الدبور ده..

أخرجت الهاتف من جيبي لأجد عماد يتصل للمرة الثانية في ده..
فأجبت سريعاً..

- أنت ما بتردش ليه يا بني آدم؟!!
- في إيه يا عماد.. ما انا كنت لسه جنبك فوق.. إحنا هتحرك آهوا
المديرية..
- لا ما تطلعش على المديرية.. عايزك في المشرحة في خلال نص ساعة
بالكثير.. وتعدي على الجرنان بتاعك تحيب مصور.. عايز هلبلة في
المشرحة..
- في إيه يا عماد.. إيه اللي غيرك فجأة كده؟!!
- اسمع اللي بقولك عليه وانا هفهمك بعدين..
- عماد.. أنا ما بحبش كده.. فهمني حصل إيه بالضبط.. وبعدين مش
في حظر نشر؟! أنت عايز توديني في داهية!!
- حظر النشر هيتلغي بعد كام ساعة يا أكرم.. اللي حصل من خمس
دقائق بالضبط هيبير كل حاجة في القضية المهيبة دي.
- وإيه اللي حصل من خمس دقائق.. قبضتوا على القاتل الفعلي.
- صمت عماد ولم يجب، وأنا أنتظر إجابته خارج السيارة، بينما دكتور
سليمان يحاول إدارة محرك السيارة العتيقة.
- الصمت طال فعلاً حتى جاوز الثواني العشر..
- عماد.. ما ترد عليا يا جدع انت..
- في جثة جديدة في الشروق يا أكرم.. مدرس ابتدائي لقوه في شفته في
إسكان الشباب وحالته كانت غريبة شويتين..

- غريبة إزاي، مش فاهم؟!
- الجثة بتاعته كانت مشوهة تقريبًا، ولقوا جنبه الكتاب إياه.. وحاجة
كمان..
- حاجة إيه؟!
- صمت قليلًا وتحشج صوته، وهو يجيب:
- لقوا جنبه جثة أسد.. أسد يا أكرم!!
- * * *
- عصام.. مش ده الولد اللي..
- أيوه هو.. بس ليه اسمه هو بالذات..
- الظاهر إن أكرم يعرف حاجة اخنا لسه ما نعرفهاش..
- هيدرو فوبيا.. العوامة..

* * *

(١٩)

مشرحة كلية طب القصر العيني... الثانية والربع ظهرًا

- Sorry يا دكتور علام.. I don't mean to be aggressive .. بس
الحالة واضحة.

- إزاي يا آمال.. الحالة ممكن تحصل مع أي تسمم ثاني.. سياتيد أو
سارين.

- No way .. السارين كان هيجيب إسهال و dehydration،
واضح.. لكن البنت كان جسمها دافي والقرنية زي ما انت شايف
partially damaged في حالات السارين كنا هنلاقي القرنية
مقفولة، وهنلاقي excretion كبير تحت مناخيرها.

عماد يقرب رأسه مني هامسًا:

- إيه الكلام الكبير ده ١١٩٩!

- ده البرنامج الأوروبي.. ما تشغلش دماغك انت.

ثم التفت من جديد نحو دكتور علام ودكتورة آمال، وهما مستمران في
مداهما العلمي والأحرف اللاتينية تتطاير من بين شفاههم المتوترة كسحرة
الأمرون الوسطى.. وراحت المباراة تتطاير شرارها ما بين الفارسين حتى
استسلم كتفا الدكتور علام وتراخا ذراعاه إلى جوار جزعه..

كان عرفة - مصور جريدتنا الشاب - بصحبة ولاء، قد رحل منذ دقائق
بعد أن التقطا كل الصور الممكنة، وعقدا كل الحوارات الممكنة حتى مع
مطالبة الفحص المعدنية.. لا أدري ماذا سيفيدنا ذلك إذا كان حظر النشر
ليرفع بعداا

فلنواصل البث التفصيلي لنتيجة هذه المباراة القوية في دوري أبطال
السموم..!!

- عموماً إنتي المتخصصة هنا.. بس الناتج النهائي إن البنت جالها
فقدان بصر فعلاً قبل ما يضربها على راسها بالطفاية.. نقطة الدم اللي
دخلت جوه شقوق الطفاية كان من نفس فصيلة دم البنت.

- مش فقدان بصر وبس يا دكتور.. تقريباً كمان إرادتها كانت
مسلوبة، وجسمها كان عامل زي - سوري - السفنجة اللي
بنفّضي كل ميتها.. غير كمان إن أملاح جسمها حسب تحليل الدم
totally unbalanced دي حالة تسمم واضحة بال Calotropis
-procera

عماد يرفع يده في الهواء كطالب فاشل في كلية العلوم.

- سوري يا دكتورة آمال.. ممكن حضرتك تعيدي الحتة دي تاني..

- قال يعني فاهم كل حاجة وجت على دي اللي مش فاهمها!!

- بس يا أكرم احسن وربنا أشقك نصين..

دكتورة آمال تخلع نظارتها الطيبة الأنيقة، وتلوح بها في يدها نحو الجثة التي كانت فتاة منذ ساعات..

- حالة التسمم بالمادة اللبينية اللي جوه نبات البروسيرا يا حضرة الرانا ده سم مش شائع أوي، وحالات التسمم بيه نادرة جدًا.. لكن ملامسة المادة دي للجلد فترة طويلة ممكن يسبب التسمم ده واضح في أيدها إن الجلد محمرّ شوية في منطقة تلامس السم ليها..
- حضرتك تقصدي إن السم ده ممكن يكون موجود لحذّ دلوقتي؟
عيادة دكتور سليمان..

- No no .. الموضوع مش كده يا رائد عماد.. الموضوع إن السم ده اتنقلها من ملامسة حاجة مدهونة بالمادة اللبينية دي فترة طويلة. حاجة زي فرشاة شعر أو علبة make up أو..

ثم صمتت قليلاً ونظرت نحوي، فتابعته وقد وصلتني وجهة نظرها.
- أو كتاب مثلاً.

- Bingo

ثم كشفت عن صف أسنانها اللؤلؤي في ابتسامة مرهقة سعيدة باكتشافها العبقري، وكأنها طالبة في الإعدادية حلت مسألة حساب معقدة.. بينما دكتور علام يشعل لفافة تبغ الخامسة في ربع ساعة متابعًا..

- الأعراض فعلاً زي ما دكتورة آمال بتقول.. الفرق إن الوفاة كانت نتيجة الضربة القوية بالطفاية على رأسها.. الضربة جابت تهنك في المخ بعد ما طبقت الجمجمة.. متأسف على تعبير طبقت، بس أنا حاولت أوصلكم الصورة ببساطة.. مش عايز سيجارة يا أكرم.

- لا يا دكتور تسلّم.. أنا قررت ابطّل دخان فترة لحد ما صحتي تتحسن شوية..

- وبعدين ترجعله تاني.. عارف انا الكلام ده كويس.

ثم أطلق ضحكة عصبية متوترة، واللفافة تتلن على طرف فمه وهو يحاول خلع القفازات المطاطية وهو يشير لنا؛ كي نصحبه إلى مكتبه في طرقات الكلية المزدهمة.. حتى ما إن وصلنا للمكتب حتى استقبلنا دكتور سليمان وعلى وجهه أمارات فزع غير مبرر..

- إيه يا دكتور احمد مالك؟

- أنا ما بحبش القعدة لوحدي في مكان مقفول يا عماد.. وبعدين انتو اتأخرتوا أوي.

- طب يا عم احمد ما انا قولتلك تعالى معانا المشرحة..

- لا يا سيدي.. أنا استحمل القعدة في الأوضة المقفولة ولا استحمل قطع غيار البني آدمين اللي بيتتجها الراجل ده..

ابتسم دكتور علام واللفافة السوير الطويلة لا تزال تتلن من طرف فمه، فبدأ كجزار محترف انتهى من تشفية جمل عملاق.

- ما هو انت لو دخلت طب كنت نشفت شوية.

- يا سيدي أنا مش عايز انشف.. أنا راجل بتاع تحليل نفسي مش جزار في مدبح.

- الله يسامحك يا سيدي..

أطلقت دكتورة آمال ضحكة ساخرة لا تناسب توتر الجو السائد بعد عودة ذلك السفاح لممارسة هوايته في قتل الناس بكتابه المشؤوم.. بينما جلس

دكتور علام خلف مكتبه الخشبي العتيق.

- ودلوقتي يا حضرة الرائد الوضع بقى شبه مفهوم.. الأخ ده مش يستخدم مهاراته وذكاؤه في تضليلنا.. لا وكم ان خبير سوء محترف..

- As you said يا دكتور أحمد.. سيانيد وبروسيرا وجرعة البيلا دورا.. إتروينا المربوطة بالميكروميلي.. ده مش بعيد يكون درس معانا في الكلية في وقت من الأوقات.. very weird.

- وفي حاجة كمان يا آمال.. دكتور سليمان لفت انتباهي لحاجة صغيرة جدا قبل ما ندخل المشرحة..

التفتنا جميعا إلى دكتور سليمان الذي بدا محرجا قليلا وهو يحاول ان يضبط نفسه في موقع المحور الذي ينتظر ملاحظته الجميع.

- يعني من واقع معرفتي بالسلوك النمطي للإخوة القتلة اللي زينا أخينا ده.. طريقة القتل تقريبا في كل مرة كانت بتشابه.. ما عدا حالة سواق اللوري المشنوق؛ لأن دكتور علام مالقاش أي حاجة في دمه أو في جسمه غير أعراض الوفاة بأسفسيكا الخنق.. الطريقة بقة كانت بتسم في مكان مقفول أو مهجور.. القتل بيتتم بنمط الطريقة بتاعت العلاج التطهيري من الفوبيا.. ولازم قبل القتل حقن السم أو المخدر أو المشبط.. وغالبا طريقة القتل بتبقى نضيقة شويتين.. عدا جريمة البنت اللي كانت في المشتل وجريمة البنت دي.. كلامي صح يا دكتور علام؟

- عدا الجريمة الجديدة يا دكتور سليمان..

دكتور علام يرفع إبهامه علامة عن التأييد، وعينه لا تفارقان جهاز

الأمميوتر الذي يتمي للعصر الطباشيري محاولاً كتابة تقرير تشريح الجثة بطريقة النقرة كل دقيقة.

- في جريمة البنت سابها تتزف لحد الموت وهو غالباً عارف إن عندها مرض لويس بار بتاع ضعف الشرايين، وفي الجريمة دي ضرب البنت بطفاية عملها تهتك في غمها، وسابها تتزف ونضف الطفاية بحرص أوي.. يعني ما كانش عايز العيادة يحصلها حاجة، لكن قتل البنت بطريقة عنيفة شويتين.. حقنة الموت والرمي من الدور الرابع والسيانيد كلها طرق موت تعتبر لحد ما نضيفه شوية.. سيبك من دبح القطة في جريمة المحامي اللي مات بالسيانيد.. بس سلوكه بدأ يبقى عنيف أوي كمان مع الراجل اللي طلق عليه الأسد.. وده في رأي إن دل على شيء فهو يدل على حاجتين..

ثم فرد كفّ يده أمامنا كعادته وراح يكمل محاضرته المفيدة..

- القاتل ده عنده علاقة وثيقة جداً بالبنتين أو هو مصاب بنوع ما من العقد ناحية الجنس الآخر..

- بس اللي مات في الشروق راجل مش ست يا عم احمد.

- ما تقاطعنيش يا أكرم عشان هكت خالص.

- اسكت يا نبيلة انت هي ناقصاك.. كمل يا دكتور سليمان لو سمحت..

- شكراً يا عماد.. الراجل اللي مات في الشروق بالطريقة البشعة اللي حكها لي أكرم بتقول إن برضه ده خروج عن سلوكه المعتاد في القتل بشكل نضيف شوية.. بمعنى إن الراجل ده برضه له علاقة كبيرة جداً مع القتل، وبينهم حاجة حولت القتل في إحدى مراحل المرض النفسي للقاتل إلى عدو شديد الكراهية بالنسبة له.. ممكن

يكون السبب في فقدانه حاجة عزيزة عليه أو حد من معارفه انسياء
في أذى.

- إحنا بدأنا نحصر معارف القليل يا دكتور فعلاً.. ومستنيين الجثة بس
تجهز للتشريح ودكتور علام يقولنا رأيه في الموضوع..

جرس الهاتف الداخلي للدكتور علام يرن طالباً رده، فيرفع الرجل
الساعة.

- ألو.. وصلت.. طيب جهزولي طاولة الفحص الثانية.. لا؛ أنا جاني
لو حدي.. عايز تحليل الدم وعينة من الأنسجة المتهتكة و.. لا لا
محدث يمد يده لحدا ما أجيلكم.. سلام.. معلش يا جماعة هتاؤنكم
محدث هيجي معايا المشرحة المرة دي.. الجثة تقريباً متهتكة من
الراس للجدع، وفي اثنين مساعدين هناك وعازمة شغل كبير أوي
هديلك تليفون يا سيادة الرائد أول ما اخلص.. بعد إذنكم.

ثم انصرف على عجل ولغافة التبغ السوبر لا تزال بين أصابعه!!
هنا قررت دكتورة آمال أن المولد انفض، فوقفت تضم دفتي شالها
القطني الملون فوق رقبتها وقالت:

- اوك أنا كمان لازم امشي.. لو في أي حاجة جديدة كلموني.. باي.
ثم انصرفت في مشيتها الوقور المرححة في نفس الوقت، بينما عماد يميل
على رأسي:

- شيك أوي الست دي.. هي عندها كام سنة؟!
- آه يا سفاح النساء يا منافق.. مش كانت مدايقاك من كام يوم، وكنت
ناقص تضربها رصاصتين.

- أنا؟؟!! بالعكس أنا ما كنتش مدايق منها.. طريقتها ساعتها ما كانتش عجباي بس..
- اطمئن هي عندها حاجة واربعين سنة يعني تقريبا أكبر منك بكام سنة حلوين كده.
- يا خسارة..
- ثم أعاد رأسه للوراء وهو لا زال يحدق في الباب الذي انصرفت منه الدكتورة آمال منذ دقيقة، بينما نظرت نحو الدكتور سليمان الشارد في ملكوت الله كمجاذيب الحسين.
- سرحان في إيه يا عم احمد؟؟
- ها.. لا ولا حاجة.
- إيه.. عاجباك انت كمان؟!
- هي مين دي اللي عاجباي؟!
- لا؛ ما تاخدش في بالك.. سرحان في إيه بجد؟؟
- مدّ ساقيه أمامه ووضع أصابعه تحت ذقنه وعيناه تضيقان كعين ثعلب عجوز يدبر هجمة جديدة على عشة دجاج ممتلئة.
- فاكرك لما كنت بقولك إن سلوك الإخوة السفاحين ده بيبقى معجب بالشهرة والأضواء وكنا بتكلم عن تباعد المدد الزمنية بين الجريمة الخامسة والجريمة الجديدة بتاعت سمية.
- آه فاكرك.. بس أنا مش شايف تباعد يا دكتور، دول كلهم كام يوم.
- لا يا أكرم.. لما اقتل خمس أشخاص في ٤٨ ساعة وبعدين اعدى ٤٨ ساعة كمان، واقتل شخصين ورا بعض في ظرف ست ساعات..

- يبقى ما تقوليش إن دي صدقة..
- إنت قصدك إيه يا عم احمد، مش واصلني دماغك.
- صمت قليلاً، وراح يحدق في، بينما عماد يردد من خلفي:
- كلام دكتور سليمان صح يا أكرم.
- إزاي يعني يا أذكى اخواتك انت؟!!
- أمال انا طلبت منك مصور وهيلة ليه يا أكرم.. عشان اتسبلك في أذى وفي حظر نشر مثلاً.. الموضوع بمتهمي البساطة إن احدها عندنا ناس برضه بتشغل مغها في الداخلية.. ولما درسوا الموضوع فهموا اللي وصله دكتور سليمان دلوقتي.. عشان كده قولتلك تعالى، ومعاك المصور واعمل كل اللي تقدر عليه؛ عشان جرايد بكرة ١١ تنزل الشارع النهاردة يبقى فيها أخبار عن جرائم سفاح الفوبيا، وبالتفاصيل.. فاقولت أكرم أوني من الغريب.. واهو يبقى عوضاك عن الحركة القرعة اللي فاتت.
- المفروض بقه إن عينيا تدمع واقوم اخذك حضن مطارات بقه..
- يلا ياد يا وسخ قوم غور..
- ثم نصب قامته الفارعة المدججة بالعضلات وسوى سترته.
- وانا هتوكل على المديرية اشوفهم عملوا إيه.. أحب اقولك إن الجريمة الجاية هتأخر شوية والمناورة دي هتعمل شغل حلو أوي.. آه قرار رفع حظر النشر هيصدر كمان كام دقيقة.. لو نزلت الخبر على الموقع يبقى كويس أوي عشان نكسب شوية وقت.
- وجاي تقولي دلوقتي..

ثم تركته يصافح دكتور سليمان ورحت أطلب رقما ولأء على هاتفى
المحمول مسرعاً

- أهلا يا سبع البرومة.. اؤمر يا حبوب.
- إنتي يا بت.. هو انا متجوزك عرفى.. ما تهدي عليا شوية.. اسمعيني بقه وركزي كده.
- ركزنا يا سيدي.
- عايزك بقه تَبْدُري الموقع بتاع الجرنان أخبار عن موضوع سفاح الفويا ده.
- سفاح الإيه يا اخويا!!؟
- سفاح الفويا.. مع كلمتين بقه من انفراد وحصري واللاذي منه ده.. وتكتبي ترقبوا عدد الغد وتحقيق خاص بالصور.. الكلام ده هتشره في ظهر خبر رفع حظر النشر اللي هيجيلك من أنباء الشرق الأوسط كمان عشر دقائق.
- ولا يا أكرم.. إنت اشتغلت مع المخابرات ياد وانا ما اعرفش!!؟
- لا مع المباحث.. واكتمى خالص بقه واعملى اللي بقولك عليه.
- صمتت قليلاً ثم قالت:
- أكرم.
- خير يا ولأء.
- هو الوقت مش وقته خالص.. بس انا عايزة اقولك على حاجة مهمة..

- خير يا ولاء خلصي.

- أنا بحبك

- إيه.. نعم.. إيه..؟؟!!

- بحبك.. بحبك.

- الله يغرب بيت سنينك.. امشي يا ولاء.. امشي هبقى على بعصر،
إزاي بقية اليوم حرام عليكى.

أطلقت ضحكة عالية مجلجلة ثم أغلقت الخط في وجهي على صوت
ضحكاتها الفرحة فرحت أحرق في الهاتف مبتما.

هل سمعتك يا ولاء ترددينها أم أنني كنت واهما.؟؟!!

منذ أن وطئت قدمك الصغيرتين باب الجريدة وأنا لم أستطع يوماً أن
أغلق ذلك الباب الذي فتحته يوم أن صدمت كشافات عينيك عيناى
المجهدة المختبئة خلف النظارات الطبية.. راحت عينيك تجوبان أصابعى
بحثاً عن قيد فضي يقف حائلاً بين عينيك وبين اختراق روحى الهائمه
في فراغات الدنيا.. لفت نظرك ذلك اللون الفاتح لجلد بنصرى الأيمن،
فكادت عينيك تضحك من مؤالك عن السبب الذي جعلني أفك قيدى
الاختياري.. لم تتوعد معرفتنا قليلاً حتى كنت أنا البادئ بالحكي.. كنا معاً
ثم في يوم ما لم نصبح معاً.. هكذا كانت الحكاية.. عندها فقط انفرجت
أساريرك ورحت تمشطين بيدك خصلات شعرك المعوج وأنت تراقبين
تلك السمكة الملونة، وهي تسبح سعيدة في حوضها الزجاجي الرائق..
وعيناك تحتلسان النظرات إلى فتجديني أرتكب الفعل نفسه.. يومها عرفت
فقط أنني أهيم بك.. لكن عقلي لم يقوَ على إصدار ذلك الأمر للسانى كي
يقولها.. لكنك كنت تفهمين حين أتصنع أمراً هاماً كي تخطو عتبتي باب

هـ..م التحرير.. فقط لأرى شعرك المموج الحائر وعينيك العسلتين تحقدان
في بئلك النظرة التي تصرع كل فرساني وتلقي بي في غياهب مجونك..

كم جئتُ ليلئ بأسباب ملفقة * ما كان أكثر أسابي وعلاتي
فقط لاكتشف في بحر شرودي في كلمة ولاء - التي زلزلت كياني - أن
دكتور سليمان يربت علي..

- إنت يا أخينا.. المكالمة دي كان فيها إيه خلالك تشرح كده..
- لا ولا حاجة يا عم احمد.. ده انا سرحان في القضية بس..
- قضية.. ياد ده انا مربيك من وانت عيل في الملفة..
- عديها بقه يا عم احمد.. مش يلا بينا.. ولا احنا لازم نعمل زي الحاج
فهمي حبيب، ونبقى آخر ناس نروح بعد الفيلم ما يخلص.
- الله يرحمه كان يكره الزحمة عمن.. يلا.. أيام.

ثم مشى بجواري ونحن نقطع طرقات القصر العيني نحو سيارته
المتوقفة في ساحة كبيرة يسيطر عليها أحدهم محولاً إياها لساحة انتظار مجانية
ظاهرياً، لكن أسعارها تنافس أسعار المولات الفخمة!!

نقرب من سيارته، وذلك الأخ الذي يرتدي بنطالاً من الجينز المرصع
بأفخر أنواع الرسوم الغريبة والكرمشات - التي يسميها بعضهم موضة
العام - وقد تحول لونه عند الفخذ والركبة إلى لون أبيض صريح، كما تقتضي
موضة عشر سنوات مضت.. يزينه قميص بلون فزدقي موشى برسوم بلون
أحمر فاقع، جعلته ينافس في أناقته أكبر مهرجي السيرك الروسي!!

- اتفضل يا دكتور اتفضل..
- بقولك إيه يا عم احمد.. سيبي انا هسوق.. إنت ما نمتش كويس..

- زي ما انت شايف.. وبالمرة اخلص من ذبابة الفاكهة.
- أدرت المحرك العتيق الذي صنعه الروس بكل طاقتهم التي تربت .. ما
ثلوج سبيريا.. وذلك الأخ يضع أنفه فوق زجاج النافذة.
- أوامر يا باشا
- الأمر لله.. أوامر انت..
- اللي تحببه ساعاتك ولا مؤاخذه.
- طب خد.
- ومددت يدي له بجنيهين فضيين فراح يحملق في يدي بعزة نفس تضاهي
كبرياء حلاق الأمير تشارلز..
- لا كفين مريم ولا مؤاخذه.
- الترجمة بقه امتي.
- عشة جنيه ولا مؤاخذه.. الساعة هنا بخمسة جنيه.
- آه عينيا.. والنبي يا دكتور هات الموبايل نكلم الرائد عماد بس يبعثنا
الأمين عبد الباقي بفلوس عشان معيش فكة.
- لا مؤاخذه يا بيه.. عماد بيه حمدي اللي كان في مباحث قصر النيل.
- آه.. ده هيفرح أوي إنك عرفته.. خصوصًا بعدما انتقل المديرية.
- ثم طلبت رقم عماد بالفعل وعندما أجاب..
- عمدة
- عايز إيه يا أكرم.. أنا عند مدير الأمن.
- لا؛ بس كنت عايزك تبعتلي الأمين عبد الباقي الساحة اللي جنب

القصر العيني عشان يدي الواد السايث عشرة جنيه.
إنت اتبيلت يا أكرم بقولك عند مدير الأمن.. أقفل بدل ما اجي
اطلع...

- ماشي يا عماد باشا شاكرين أفضالك.. يلا في أمان الله..
ثم أغلقت الخط لتصلني ضحكات الدكتور سليمان المجلجلة..
بينما ذلك الأخ الذي كان يطلب كفي مريم قد اختفى كأن لم يكن!!

* * *

- عماد.. بسرعة الحقه قبل ما يخلص يا ابني.. العوامة يا عماد.
- وعرفت منين موضوع العوامة؟؟
- أكرم.
- هو فاق!!؟
- من ساعتها مفيش على لسانه غير عصام.. العوامة.. هيدرو فويا..
- يا ابن اللعية يا أكرم..

* * *

حاشية لا بد منها

"وطبعا كلكم عارفين إن اللي مش هيحل الواجب صح هيترف جنبي
هنا في ركن الفصل ووشه للحيطه، عشان بيتقى يفكر كده وهو سايب
الواجب وقاعد بيتفرج على المسلسل التركي جنب امه إن واجب الحساب
أهم من أن عدنان عرف إن مهند بيخونه."

تحاول دائماً أن تبدو قاسياً يا محسن..

تحاول أن تحافظ دائماً على صورتك القاسية المستبدة.. الأستاذ محمد عبد القوي.. الثلاثيني الأرملة.. القاطب الحاجين دائماً.. مدرس الحساب الذي زهد كل شيء في الدنيا سوى تربية النشء وتعليمه على أحدث الأساليب التعليمية من صفع وركل وسب ولعن.. متمسكاً بعصاتك الطويلة النحيلة كلما رحت أو جئت.. مرتباً على ذلك الكررش الصغير الذي نبت من كثره.. أكل الفول والخبز وقلة المشي والحركة..

كثيرون حاولوا أن يشنوك عن طريقك التي يصفونها بالقاسية المستبدة.. في معاملة الطلبة.. لكنك دائماً ما تلقي محاضرتك الطويلة العصماء على مسامعهم، إن هذا النشء الصغير لا بد أن يعامل بقسوة حتى يشتد عوده ويصبح قادراً على ممارسة مهمته في بناء ورفعته هذا الوطن.. لو تركناه مملكتنا للسلالات التركية وألعاب الإنترنت لفسد الوطن وتحول إلى زريبة، كما هو على وشك التحول لها الآن..

تذكر كلماتك القاسية الصادمة وأنت جالس في هذا الميكروबाص المنطلق بسرعة مائة كيلومتر في الساعة على الطريق الدائري من مدينة السلام - حيث تلك المدرسة الابتدائية البائسة - إلى إسكان الشباب في الشرف، حيث تقيم.. تذكر الكلمات فتغلق عينيك في استمتاع وكأنك شاعر حال وتلوك مذاقها الحنظلي في فمك فتمنحك هذه المראה دفعة قوية نحو الحياة

تهبط من الميكروباص في صعوبة وأنت تجر ساقيك جراً نحو المنزل حاملاً جريدتك تحت إبطك.. جريدتك التي تحلم بفض وثاقها منذ الصباح وأنت تجلس على المائدة الخشبية البالية تقرأ أحرفها بينما يدك الأخرى تتلصق بفض الماء عن أوراق الخس الناضجة وأسنانك تلوك ما تيسر منها..

تفتح باب شقتك الصغيرة ذات الأمتار المربعة الستين، وتجول بعينيك،

١٠. ها بين قطع الأثاث.. هناك على الحائط تنتصب صورة حميدة.. الفلاحة
المروية البسيطة، يزين طرفها شريط أسود قاتم.. ثم تعود عينك إلى الأثاث
الأي تهالك معظمه.

كده برضه يا حميدة.. تسييني لوحدي وأنا ما بعرفش اعمل كوباية
شاي.. أنا كان عقلي فين لما اتجوزتك.. واحدة فلاحة ما بتعرفش
تفك الخط، وما لهاش غير في ترغيط البط.. والله تنفع مطلع قصيدة
يا محسن.. واحدة فلاحة ما بتعرفش تفك الخط وما لهاش غير في
ترغيط البط، لما تيجي القاهرة العامرة لازم يجيلها سرطان وتموت..
خَرَجْتَ من المية يا سمك فلازم تموت.. يلا.. الله يرحمك ويعفو
عنا جميعاً..

تجلس بشباك فوق المقعد الذي فسدت أحد أرجله فصار يصدر أصوات
استغاثة مستديمة، كلما وضعت أثقالك عليه.. وتفرض وثاق جريدتك
القومية المملة.. تقلب الصفحات وتمد يدك الأخرى بحثاً عن حزمة الخس
لنجد فقط أنك نيت الخس اليوم، ولرغم على سوق الخضار!!

ترفع وجهك إلى الصورة فتذكر كيف كانت حميدة لا تنسى.. كيف
كانت ترندي وشاحها الأسود وتهبط مترجلة إلى ذلك السوق في نهاية
المساكن لتحضر الخس والطماطم والخيار والدجاج.. وتفاصيل البائعين
وتنتقي أكثر الخضار نضرة وجمالاً.. فلاحة ميت الحبش التي لا تجيد نطق
اسمها كاملاً تجيد الحساب أفضل منك يا أستاذ الحساب!!

- طب قوليلي انتي كنت هعمل إيه.. أنا راجل على قد حالي.. ما بديش
دروس خصوصية عشان محدش يكسر عيني.. وانتي مرضك كان
متعب أوي يا حميدة.. أجيب منين كل ده عشان الحقن والكياوي
والأشعة.. كل اللي حيلتي كانو ٧٠٠ جنيه يادوب فاتحين البيت

ومقضيًا.. طب اسألني اخوكي عصام.. لا! اخوكي عصام ما كان..
هيفهم حتى لو دكتور يا حميدة.. اسألني اخوكي هيثم.. اسألني الهادي
والعوزة بيعملوا إيه.. اخوكي عصام طلع فيا أوي لما قولتله أنا..
قادر على علاجها ولينا رب اسمه الكريم.. طب ما هو كان عايز
ايح القراطين اللي حيلتي واصرفهم على علاجك يا حميدة.. طب
أنا حاولت وما حدش رضي يديني فيهم سعر.. كل من عرف اننا
عوزة بقى بيع ويشترى في.. وأنا ما حلتيش غيرهم.. يرضيك ايح
ورث ابويا بالبخص؟؟.. ولما قالني انه يعرف دكتور كبير هيساعدنا
ناخد علاج على نفقة الدولة مجاني قولتله لازم نحاول.. إنتي بس
اللي لما قولتيله على موضوع القراطين كش قي وشتمني.. يرضيك
اخوكي الكبير يشتمني يا حميدة؟؟ أنا كنت هعمل إيه يعني؟؟

عينك تدمع يا محسن من جديد.. عينك التي حبست دموعها أربعين
يوما منذ أن رحلت حميدة.. أربعون يومًا وأنت تردد نفس القصة أمام
صورتها المتصبة فوق ذلك الحائط الذي بدأ يياضه في التشقق.. إن الحائط
حزين على حميدة يا قاسي القلب.. فلم أنت لست حزينًا كما تبدو..

تفتقد حميدة لأنك كنت تحبها.. لا يا محسن.. أنت تعرف أنك تفتقدها
لأنها كانت من يُعنى بك.. كانت من يخلع عنك ثيابك ويغسل لك يديك
ويطبخ لك طعامك ويشترى الخضروات ويصلح الأثاث ويرتق الثياب..
كل هذا وأنت لا تجود عليها حتى بأكلة كباب رخيصة.. تقيم بها ظهرها
الذي انحنى فوق قدميك يغسلهما في حب..

تضع عينيك فوق صفحات الجريدة لتهرب.. لتجد ذلك الخبر
الغريب.. كيف هرب الأسد من السيرك.. وإلى أين هرب.. وهل هرب
الأسد مكنًا بياطة وبعث فسادًا في الأرض؟؟.. لا بد أن الشرطة متجده

هل أن يصل إلى الشروق.. لقد هرب من السيرك في الجزيرة فلا بد أنهم
... يصلون له قبل أن يصل إلى الشروق.. أنت لا تطيق تلك الحيوانات..
أصب مشاهدتها خلف أقفاصها وتلذذ بمدرّب الأسود في السيرك وهو
يهرب بسوطه الجلدي فوق الأرضية الزلقة فتقفز الأسود داخل النار
مهلعة.. وددت لو تكون مدرّب أسود.. بدلاً من تدريب هؤلاء القردة على
الفسة المركبة وجدول الضرب..

اصنع كوب شاي لا يصلح حتى للشرب.. رشقات قليلة قد تفيد في
سيانك دموعك وحزنك..

تدخل غرفتك لتخلع ثيابك وتستريح قليلاً.. ماذا ستقرأ قبل أن تغفو..
إن النوم لا يأتي بلا قراءة أو حميدة.. رحلت حميدة فلا بد أن تقرأ..

تمد يلك إلى ذلك الكومود الخشبي العملاق.. لتجد ذلك الملمس
الجلدي الغريب.. تمسك ذلك الكتاب الجلدي الصغير الذي وجدته فوق
كتبك الأثرية.. ما هذا الكتاب.. ما الذي جاء به إلى هنا.. أنت لا تتذكر أنك
اشتريته ولا تتذكر أن أحداً أهده لك..!!

تقلبه في يدك ناظراً إلى الغلاف الجلدي وكلمة الرّهاب التي تلمع بجوار
اسم كاتبه إبراهيم صفوت.. هو كاتب لم تسمع عنه ولن تسمع عنه لأنك
ببساطة لا تهتم.. أنت لم تحب نفسك يوماً على المثقفين أو محبي القراءة..
أنت لا تقرأ إلا لتنام أو تحضر دروسك.. تقلبه من جديد لتقط صورة
حميدة من منتصف الكتاب..!!

تنظر هناك لتلك الصفحة لتجد ذلك العنوان الذي كتب بخط البالوطة
المتقطع الوصلات:

"الملك"

قصة قصيرة هي.. تتحدث عن رجل بائس يستيقظ من نومه في الصباح
ولا يقوى على التحرك.. أطرافه تبدأ في الارتعاش وعيناه تبدأ في الزلزال..
أو ما تسميه (زغلة) وأنفه تطلق إفرازاتها وكأنها هو مريض جيوب أم..
في قلب عاصفة خماسينية مرعبة.. فقط لسمع الزئير.. زئيراً عميقاً ل..
به في حياته.. يخطو على قدميه المرتعشتين ظاناً أن كلباً عملاقاً قد نزل إلى
بيته وهو على وشك عضه أو التهام حنجرتة.. فقط ليصدم بذلك الأ..
الراقد على قوائمه.. أسد يجلس في غرفة المسافرين كما سماها ذلك الكاتب
كيف يحدث هذا يا محسن.. إن هذا الرجل واسع الخيال لم يلق تربية صالحة،
تجعله عقلاً منطقياً!! إن وجود أسد في صالة المنزل لهو شيء مستحيل..
الحدوث!!..

فقط عندما سمعت ذلك الزئير القوي المخيف يأتي من خلف باب
الغرفة!!

عرفت أن كل شيء مستحيل يمكن أن يحدث..
أكر تحدث ثورة في البلد يا أخي!!!

* * *

- خدوني عند عماد حالاً
- يا أستاذ إنت سامعني.. إنت اسمك إيه.. رد عليا الأول.
- أكرم فهمي عبدالله حبيب.. ساكن في ٢٨ شارع ١٠ عين شمس.
بقولكم خدوني لعماد حالاً..

* * *

(٢٠)

جريدة (.....) اليومية.. السادسة والنصف مساءً

ماهر الرفاعي.. يجلس خلف مكتبه الفخم ولقافة التبغ ترقد بين أصابعه
ودخانها يقف في قلب المكان.. وأنا جالس إلى يمين مكتبه وولاء تواجهني
إلى اليسار.. المقال المرتقب في يده الأخرى ونظارة القراءة ذات الماركة
العالمية الفخمة تتلن على قصة أنفه مراقبة تلك الأحرف التي شاركتني في
كتابها تلك الفتاة ذات الشعر المتموج..

عيناي لن تخوناني هذه المرة.. عيناي لن ترتفعا إلى ذلك الجبل الشاهق..
إلى الشمس الراقدة في سلام بين خصلات الشعر المتموجة الشائرة لتلتقي
بعينيها.. لن..

أنا كاذب يا سيدي.. لقد فعلت كل ما حثت نفسي وأمرتها ألا تفعل..
لقد رفعت عيني إلى قدس الأقداس.. فقط لتلتقي بعينيها العيليتين
المقتمحتين.. دفاعاتي الواهنة تبدأ في الاستعداد.. قائد الحامية الرابضة في

قليبي يطلب من جنوده الضعفاء الهازلين أن يقاوموا.. فقط لتسقط كل ١٨ ،
الدفاعات عندما همست شفتاها بالكلمة السحرية، ليعلن قائد الحامية أن
القلعة سقطت وانتهى أمرها ولا بد من الاستسلام.

شفتاها همسان بالكلمة من جديد، فأقرأ ما تقوله ثم تسقط كل مقاو..
وينهار كل سد كنت بنيت هنا حتى أقاوم ذلك الغزو.. لقد انتهى أمرك يا
أكرم.. إن عقلك يصدر الأوامر لشفتيك فتتطقان الحروف تباعاً.. تفرا
سيدة الأكوان ما تقوله شفتاك المرتعشتان، فتضيف إلى قوة هذين الكشاف
لمعة تنهار معها آخر الحوائط بين جمهوريتي الرأسمالية الغربية وجمهوريتها
الشرقية الاشتراكية.. لقد انتهى أمرك يا أكرم.

- مش بطل.. كويس.. بس برضه ناقص شوية..

ثم وضع الأوراق وخلع نظارته الأنيقة ليلقي بها على مكتبه وهو يحاول
أن يستدعي الإلهام المقدس ليتحف أذني بكل ما هو مبتكر وجديد في عوالم
صاحبة الجلالة.

- شوية إيه يا ريس؟؟

- شوية توابل يا أكرم.. عقلية القارئ لازم تشوف اللي انت شفه
بس بالطريقة اللي هي عايزه تشوف بيها.. حاجات كده محتاج زمان
طويل عشان تعرف توصلها يا ابني..

بدأت الحكمة المقدسة في التساقط على وجوهنا إذن..

- منكم نستفيد يا ريس.

- بس انا معترضة يا ريس معلىش.. عقلية القارئ دلوقتي ما بقتش زي
زمان.. دلوقتي القارئ عايز يقرأ الحقيقة عشان يصدق أي حاجة
وسط هالة الكذب اللي احنا عايشين فيها..

بت يا ولاء.. ما تتلامضيش عليا.. عقلية القارئ البسيط العادي
مش هتغيرها ولا مليون هوجة زي اللي انتو عملتوها دي.. القارئ
هيفضل طول عمره يعدي على الأخبار الواقعية بتاعتك ويمصمص
شفافيه ويقول بمنتهى البساطة "شوف ولاد الكلب يضحكوا علينا
ازاي" لكن يوم ما يعدي من قدامه خبر فلان اللي دبح عياله ومراته
عشان الشياطين طلعتله وأمرته بكده أحسن يتمسخ قرد.. هيقولك
"سبحان الله دي الدنيا دي ياما فيها حاجات غريبة" وبعدين
يضحك بحسرة ويقولك "بس بتحصل والله واكثر من كده كمان"
يعني القارئ يا أستاذة مالوش دعوة بخلفياتكم الثقافية المجعلصة..
فهمتي ولا ناوية تتلامضي ثاني؟!!!

ثم أخرج لفافة تبغ من علبة الفضة الأنيقة ومدتها إلي..

خد سيجارة يا أكرم.

- لا يا ريس.. ربنا يعفو عنك انت كمان.

- إيه شغل سواقين التاكسي ده.. حد قالك إني عايز ابطلها.. ده انا
بحبها أكثر من مراتي..

ثم أشعل اللفافة بقداحته العملاقة وسعل مرتين وسط ضحكاته
المجلجلة..

- طبقاً اللي هيقولها فيكم هرميه في الشارع.

ثم أطلق ضحكة عالية مجلجلة وهو يتناول الأوراق ويمد يده بها لي..
اضحكت مجاملاً له في هدوء، بينما ولاء تحديق فقط في مكان واحد.. إنها
عيناها.. عيناها اللتان أحاول أن أضعهما في ثلاجة موتى أمام عيني ماهر
الرفاعي حتى لا تقول له بكل قوة: "يا سيادة رئيس التحرير المبجل.. كل

تفاهاتك وترهاتك عن عقلية القارئ لا تهمني ولا تساوي قشرة...
بالنسبة لي.. كل ما أريده أن تتركني لحالي وألا تشطب حرقاً من مقال...
والا شطرت رأسك إلى نصفين".

- عايزك تقعد عالمقال شوية كده وتمخمش في كام عنوان من...
التوزيع يا أكرم.. احنا فارشين فرصة محترمة على الموقع، وقايم...
معاك بالواجب وزيادة.. آه عايزك بقه تركز لي أوي على موسم...
الراجل اللي هبشه الأمد... وبالذات بقه الإهمال الحكومي...
تسبب في هروب الأمد ده من السيرك.. وازاي فضل لحد ما...
الشروق وهبش الراجل في الشارع وتسبب في دعر لسكان المنطقة...
وازاوي...

- معلىش يا ريس على المقاطعة.. بس هو ما هبشوش في الشارع...
سبب دعر لسكان المنطقة ولا حاجة.. اللي حصل إنه هبشه في الشارع...
وبعدين خد سهم مسموم زي بتوع حدائق أفريقيا المفتوحة...
عليه.. يعني لا دعر ولا بتاع.. غير إنه كمان اتسرق من السيرك...
سرقة.. بس الداخلية غبية عشان الكلام بتاع الوضع ما يستحج...
والكلام ده..

حديق في بنظرة رمادية كثية مستهترة ساخرة.. ونفث دخان سيجار...
في وجهي..

- أكرم..

- أوامر يا ريس.

- إنت تعرف عني إني جاهل أو اهيل..

- لا العفو يا ريس إحنا بتتعلم منك..

- يعني انت فاكرني مش عارف كل التفاصيل اللي انت بتقولها دي، ومن قبل كمان ما تكتبها في مقالك.. فاكر اني ماليش اتصالات وعارف إن الداخلية غبية موضوع الأسد اللي اتسرق وطلعتته للناس على إنه هروب عشان محدش يقول إن الداخلية مهملة في حراسة الحيوانات المفترسة.. وإن حراس السيرك همّا اللي مهملين عشان ما قفلوش الأقفال كويس، وكل الكلام اللي هتسمعه بكرة بالليل في برامج يسري فودة ومحمود سعد.. أنا عارف كل ده كويس يا أكرم.. بس ليه إنت بتقوله ده يتنشر في صفحة الحوادث في الأهرام والجمهورية.. لكن احنا مش ناقل أخبار يا أكرم.. إحنا صنّاع أخبار يا أكرم.. فهمت؟!!

نظرت إلى ولاء التي تحولت نظرتها إلى غضب مستعر، وقد أوشكت على قضم رقبة ماهر الرفاعي مثل ذلك الأسد الذي قضم رقبة المدرس ثم قضم.. ما علينا.. لكنني قربت وجهي من المكتب الفخم، وقلت بأكثر الطرق أدبا واحتراما استطاعتها نفسي القلقة الغاضبة..

- بص يا ريس.. افكر اني قولت لحضرتك زمان أول ما اشتغلت هنا اني ما بحبش طريقة الراجل اللي عض الكلب بتاعت إخواننا في الجرايد إياها..

- إنت قصدك إيه يا أستاذ.. قصدك اني بقلد الجرايد الصفرا ١١؟

- لا صفرا ولا حمرا يا ريس واسمعي لحد ما اخلص كلامي لو سمحت.. أنا ماليش في شغل الإثارة الرخيص وما يفرقش معايا إن الجرنان يوزع ولا ما يوزعش ما دام مصداقيني قدام القراء اللي بيدفعوا فلوس في الجرنان ده عشان يقرأوا التحقيقات اللي بكتبها..

- مصداقيتك.. قراءك.. إنت بتكلم مين كده يا أكرم!!؟

- يا ريس بعد إذنك.. هي دي الطريقة اللي انا بشتغل بيها طول عمري.. واللي هفضل اشتغل بيها طول اللي فاضل من عمري.. حضرتك عايز تغير المقال براحتك بس بعيد عني.. يعني اسمي ما ينزلش عليه ولا يبقى لي صلة بيه.. بس يوم ما يحصل كده أنا هقعدا. في بيتي أراعي أمي المريضة واطبخلها عشي وملوخية أحسن مليون مرة من الطبخ أبو ريجة فايحة اللي انت عايزني اعمله..

قبضته الهادرة تضرب المكتب فتطيح بكوب القهوة إلى السجادة الفخمة.. وعيناه تطلقان شررها المستعر نحو وجهي فتكاد تحرقه أو تذيبه كسيكة برونزية رخيصة.

- إنت بتكلمني أنا بالأسلوب ده يا أكرم.. أنا ماهر الرفاعي.. عارف يعني إيه ماهر الرفاعي!!؟

- شديد احترامي وتقديري لو ضعك الصحفي وال..

- إنت تخرس خالص.. إنت مش قولت الكلمتين اللي كانوا كاتمين نفسك.. اسمع بقه يا أكرم يا فهمي.. أقسم بالله العلي العظيم لو ما اتعدلت معايا في كلامك وتعاملاتك لأكون مانعك من الصحافة طول عمرك.. مقالك عندك وهنشره بس عشان الإعلانات والبروبجندا اللي اتعملتله وعشان ميثاق الشرف الصحفي اللي بيلزمنا كلنا إننا ندي الفضل لصاحبه.

ميثاق الشرف الصحفي أيها الأفاق.. كم من مقال لصحفيين مغمورين كان يدخل مفرمتك الصلبة فيخرج مذبلًا باسمك!!

- وكلمة وهي الكلمة يا أكرم.. ده آخر إنذار ليك.. وإلا ورحمة أبويا لتكون مشرف على الرصيف في ميدان التحرير مش لاقى جرنان يعبرك.. وابقى ساعتها شغلك مدونة ولا موقع سرقة اكتب فيهم

لقراءك يا سبع البرومة يا فارس القلم.. ودلوقتي اتفضل.. أنا
مستني مقالين تانيين عن الموضوع ده بالتطورات الجديدة.. أما بقه
موضوع الأسد فا انا اللي هتولاه بنفسى.. وأنا حتر بقه.. أقول اللي
احب اقله لقرائي يا أستاذ... يا طاهر..

عم طاهر يأتي مهرولاً ويفتح الباب على مصراعيه وركبته العجوزتان
تضربان بعضهما ككرتي بلياردو..

- أوامر يا ماهر بيه.

- ابعثلي حسن مرزوق بسرعة.. واعمل زفت سادة بدل اللي ادلقت
دي..

طار عم طاهر ملياً الأمر بسرعة بينما ماهر الرفاعي يتشاغل بالنظر في
أوراق خاوية أمامه ويكل برود ثلاث ساعات سوق العبور

- اتفضل يا أستاذ.. مستني المقال.

- حاضر يا أستاذ ماهر.. حضرتك تؤمر.

- اه.. يا أستاذة ولاء.. الكلام برضه موجه ليكي.. الجرنان ده أنا اللي
بديره وبسياستي أنا.. والي هيشغل هنا يشتغل بطريقتي.. مش
عاجبه.. باب الجريدة لسه بايظ وما يقفلش كويس.. ياخذ بعضه
منه وعلى الشارع..

ثم أشار بطرف يده لنا كي ننصرف.. ولاء أوشكت على الرد بكل
عنف وشراسة تعلمتها في مواجهة قوات الأمن المركزي أيام يناير.. حتى
أوشكت أن تقفز فوق مكتب ماهر الرفاعي وتضرب وجهه بمقدمة حذائها
الرياضي الصغير.. إلا أن بدي قبضت على معصمها في قوة لم تشعر معها
بأي شيء سوى أن غضبها كله تحول إلي وأنا أجراها جرّاً إلى خارج المكتب..

- ممكن تسبب دراعي بقه لو سمحت..
- مش هسيبه غير واحنا في الشارع يا ولاء.. فاهمة.
- وياه اللي هيودينا الشارع؟؟
- هعزمك على حاجة ونتكلم شوية..
- وهنا التفتت نحوي بعينها الشرسيتين.. فقط لأجد تلك النظرة التي
تحطم أسوار قلبي وتحولني إلى طفل في الخامسة يبكي أمه التائه عنها..
- أكرم..
- نعم يا حب.. نعم يا ولاء.
- وحياة امك.. ورحمة ابوك.. عيد الجمعة دي ثاني..
- صمت وأرسلت عيناى إلى مكان آخر في ردهة الجريدة شبه الخاوية..
إلا أنني كنت في كل مكان أجدها.. عيناها تحيطان بي وتظهران في كل
مكان.. لا هرب منها ولا مفر.
- أكرم.. حرام عليك
- حرام عليكى انتي.. ما تبصليش كده لو سمحتي.
- ليه.. مش عايزني ابصلك ليه..
- عشان مش عايزك تبصلي.. يا ولاء أنا...
- إنت إيه يا حبيبي..
- أنا كلها كام شهر وهبقى صايع.. الصدام هيحصل هيحصل.. أبويا
ميت وما سابلش غير السمعة الطيبة وشقة جدي في القلعة اللي
الرطوبة نشعت في حيطانها.. وامي عيانة وعائزة رعاية.. واللي جاي
على قد اللي رايح..

- وحد قالك إني عايزة منك نص جنيه سلف.. أنا عايزاك انت..
- رعشة تسري في جسدي فتحيلني إلى مجنون أخرج لا يقوى على الكلام..
- والعينان تكملان حرق ما تبقى من قرى ثواري وفيالق مقاومتي..
- ها ها... هتشحتي معايا يعني على أبواب الجوامع.
- ولو على أبواب الكنائس كمان هشحت.. أنا ما صدقت لقيتك
- ومعنديش استعداد تضيع مني تاني عشان الكلام الأهل اللي بتقوله
- ده..

- ثم غمزت بطرف عيناها وقالت هامة:
- ولا في سبب تاني وانت مكسوف تقولي.
- سبب إيه يا بت انتي.. ما تحترمي نفسك.
- ضحكها ترن في أذني رعدًا يدوي في سمائي.. وعيناها تلمعان فترسلان
- برقًا يجلب أمطارًا تذيب أراضِي اليابسة الفاحلة.
- ما دام بإرادتك الكاملة المتكاملة يبقى انتي حرة..
- إيه!! ناوي تمص دمي يا عم دراكولا..
- لا يا لطيفة.. ناوي اجي البيت واطلبك من الغلبانة اللي مخلفاكي.
- يا مثبت العقل..

- ثم وضعت كفها فوق جبهتها وتظاهرت بالسقوط حتى كادت تسقط
- فعلًا لولا قبضت يدي من جديد على ذراعها الناحل فرفعت عيناها
- العسليتين اللامعتين، وبكل ما في الدنيا من ورود وعصافير وقلوب صغيرة
- تطير فوق صفحة كراس وردي لامع..
- بحبك..

- بحبك.. من أول يوم شفتك فيه وأنا بحبك.. من أول ما هجعت
عينيكى على حياتي وأنا بحبك.. من أول ما رحتي تبصي على
صوابي الفاضية وأنا بحبك.. من أول ما نطق لسانك اسمي وأنا
بحبك..

- احم احم.. لا مؤاخذه..

صوت عرفة عبد العاطي المصور الشاب في جريدتنا يخرق حوارنا
الهامس، وابتسامة خيثة تعلو وجهه الصبياني حليق الشعر، وهو يحاول
جاهدًا أن يتناسى المشهد الغرامي المؤثر الذي رأى فيه أستاذه الصموت
المقبض.

- لا مؤاخذه يا أستاذ أكرم كنت عايز بس اقولك على حاجة كده..

تركت ذراع ولاء، وتوردت وجتها الخمريتين برحيق أحمر يطلقون
عليه دمًا.. وراحت تشير بيدها، وتقدم خطوات وتؤخر أخرى ثم...

- طيب يا أكرم هستاك في مكتبك..

- ماشي يا ولاء.. أنا مخلص مع عرفة واحصلك..

نظرت إلي من جديد بتلك النظرة التي تقسم قلبي إلى نصفين وتحولني
إلى أسير حرب في جيوش عينيها، ثم انصرفت على عجل..

- تصدق إنك عيل بارد..

- أنا آسف والله يا أستاذنا بس أنا... حقك عليا معلىش.

- يا عم خلاص خلصنا.. إيه خير؟

- الصور اللي خدناها النهاردة الصبح في المشرحة بتاعت جثة البنت
إياها..

- ما لها..
- من ربع ساعة فتحت الكمبيوتر عشان ابعتهم لبتاع التنسيق يحطهم فوق المقالة.. بس لقيت حاجة غريبة أوي..
- لقيت إيه يا عرفة ما تخلص ونجيب من الآخر..
- تلقت حوله بمئة ويرة، وكأنه سيخبرني بسرّ نكة ٦٧، ثم اقترب مني وقال هامسًا:
- الصور اتمسحت من على الجهاز يا أستاذ أكرم.. اتمسحت كلها..
- يا نهار أبوك إسود.. ده انا اظير رقبتك فيها..
- يا أستاذ أكرم مش دي القضية.. أنا معايا تَلَّت نُسخ تانية في أماكن متفرقة محدش يعرف يوصلها.
- أمّال إيه القضية يا عرفة..
- ضيق عينيه وهو يضغط على مقاطع حروفه كأنه يقضم من رغيف كلمات يابس..
- القضية إن اللي مسح الصور ساب مكانهم صورة واحدة بس في نفس الفولدر الصورة دي يا أستاذ..
- ثم مدّ يده إلّى بصورة مطبوعة بالألوان تُظهر رجلًا في أوائل ستيناته.. يرتدي نظارة طبية أنيقة، ويتسم في وقار للكاميرا..
- صورة دكتور أحمد سليمان!!!



حاشية لا بد منها

حلمي عبد المتجلي..

هو اسمك الذي اختاره لك أبوك.. الطبال السابق بفرقة الراقص،
الشهيرة.. الأسطى عبده، كما يسمونه في شارع محمد علي.. الأسطى ١٠٠٠
الذي تحول تلامذته النجباء إلى طبالين وعازفي إيقاع في كل الفرق الشهيرة
في أواخر الثمانينات، وتحول هو إلى عاطل مدمن للكحول.. فقط لأنه لم
يعرف من أين تؤكل الكتف!! فتزوج من أمك حسنية البلاتة، فقط كي يها
من يضربه ليلاً بحدائه البالي، عندما تسكره الخمر فلا تبقى له من عقل!!

حلمي البرص..

هو اسمك الذي دخلت به تلك المدرسة الابتدائية في أطراف إمبابة.
هو اسمك الذي دخلت به المدرسة لتخرج منها كما دخلتها بعد أن ضربك
أبوك على رأسك حتى كاد يقتلك عندما رسبت في الابتدائية للمرة الرابعة!!

حلمي إبليس..

هو اسمك الذي تعرفه منذ أن رحل عم عبده عن الدنيا.. رحل يوم أن
قرر أنه لا خير بعد اليوم.. رحل وهو ساجد يصلي الفجر وتركك في هذه
الدنيا تبوء فيها مقعدك من النار بكل سرعة..

تقف هناك فوق الرصيف العالي الذي تسلقه بكل ما تحمل الكلمة من
معاني التعلق.. وأنت تنتظر ذلك القادم من بعيد في ظلمة الشارع.. الشارع
الذي لا ينيره سوى مصباح ضوئي خرب باقي من ضمن عشرة مصابيح
علقها أحدهم في رمضان ثم تناوب الصبية على تحطيمها على سبيل تركية
وقت فراغهم الطويل..

يقترّب منك فتظهر ملامح وجهه الوسيمة في ظلال المصباح القائمة.

- إزيك يا حلمي.. في معادك بالضبط
- مرحبًا يا دكتور.. أنا راجل سمعتي في كلمتي يا برنس..
- يطلق ضحكة تعتقد أنها ساخرة.. لكن عقلك المظلم لا يبالي بها كثيرًا..
- أنت مجرد برص يا حلمي.. وهل للبرص كرامة حتى يتضايق عندما يسخر منه الناس!!
- جيت اللي اتفقنا عليه يا دكترة.
- جيته طبعًا.. المهم تكون فهمت إنت هتعمل إيه..
- فهمت يا برنس هي كيميا.. وبعدين دي مش أول شغلانة نعملها سوا..
- ولا آخر شغلانة يا أبو الأحلام.. بس خلي بالك.. صحيح إنت عدت من موضوع البت على خير، ومحدث شافك وانت داخل العيادة لما النور قطع.. بس برضه بصماتك مرمية في كل حنة.. المرة دي لازم تبقى أحرص شوية يا حلمي..
- بص يا برنس.. أنا حلمي إيليس ولا مؤاخذة.. لو بصماتي منظورة في العيادة كلها.. ولا يفرق.. عشان أنا كده كده اللي بنصف العيادة واروقها كل يوم قبل ما امشي.. غير إن لا مؤاخذة ساعة الحادثة إياها أنا كنت سهران مع الرجالة فوق سطح عمارة في إمبابة.. صحيح أنا سبت السهرة، ونزلت ورجعت ثاني الساعة اتناشر بالليل.. بس الرجالة كانت معلية ورايقة أوي.. ولا أي جثة فيهم هتفتكر إن حلمي سابنا ساعتين ورجع ثاني بعدها.. كله هيحلف بالطلاق إن حلمي ما اتحركش من هنا..
- ده انت مظبط أمورك بقه يا حلمي..

- تلامذتك يا دكترة وبتتنور منك لا مؤاخذه..

أخرج ذلك الرجل ظرفاً ضخماً من جيبه، ومنحك إياه فرحت تتحد...
في نهم.. هذا هو ملمس المال كما تعرفه حتى وإن كان مغطى بالورق البني
الحشن..

- كام دول يا كبير؟

- اللي اتفقنا عليه يا حلمي وفوقيهم هدية صغيرة..

- طب وبالنسبة للأقراص..

- آه.. استنى..

يخرج الشريط من جيبه ليمنحك إياه.. فتلقفه في نهم ككلب القواله
بعظمة تشابك اللحم في أطرافها، فراح يعوي بها فرحاً.. بينما رفع يده إلى
جوار رأسه محيئاً، وانصرف في الظلال كما جاء..

أموال يا حلمي.. أموال تكفيك كي ترحل من بشتيل ومن إمبابه ومن
القاهرة العشوائية الحفيرة.. أموال تكفيك كي ترتدي الجديد، وتغير من
شكلك الشبيه بالبرص.. أموال تكفيك كي تبدأ من جديد بعيداً عن سيرة
عم عبده الطبال والست حسنة البلانة..

تجلس في تلك الغرفة الحفيرة التي لم تجد لك مشوى سواها، وتفك عذرية
ذلك الظرف المتفخ لتجد رزم الأموال تكدس فيه في إغراء تتظر بك
المعروقة كي تنقض عليها وتنتهك نضارتها ونعومتها..

تبتلع قرصين من ذلك الشريط.. قرصين دفعة واحدة حتى ترتفع
رأسك الصغيرة إلى عنان السماء.. كي تكتم صرخات الإثارة التي تود لو
تنطلق من حنجرتك الحشنة، كلما لمست يداك أوراق المال الناعمة.

يسقط الظرف من يدك، ومكان سقوطه تجد ذلك الكتاب!!

الكتاب الذي كنت مرسلاً لتوصيله يوماً.. الكتاب الذي وضعته في
٤٠ برعي.. وفي شقة علاء.. وفوق الكومود الخشبي بجوار صورة محسن..
وأمام المشتل التي عملت فيه تلك البائسة خطيبة ال..

لكن في غمرة الغيبوبة التي بدأت تداهمك من القرصين القويين.. تجد
سكيناً وضع بين صفحات الكتاب..

تمسكه وتخرج السكين بيديك لتجده قد فتح على صفحة ما..

وسط ظلال المصباح المعلق في سقف الحجرة القدرة قرأت عيناك
بصعوبة تلك الكلمات:

"وسط الناس"

هذا عنوان من داخل ذلك الكتاب.. ولكن لرتهم.. أنت لا تقرأ ولا
تحب القراءة.. حتى عندما كان يمنحك الدكتور سليمان كتاباً كي تقرأه
كنت تلقيه في أول مقلب عمومي، وتدعي أنه سرق منك في الميكروबाص
حتى لا..

عيناك لا تقرأ الحروف.. عيناك تضيق والدنيا توشك على الإظلام من
حولك..

- مش عارف تقرأ.. ولا يهملك أنا اقرالك..

تلتفت في حدة حتى كدت تكسر رقبتك نحو ذلك الظل الرابض في
ركن الحجرة، تحاول رفع يدك بالسكين كي تتحرك نحوه لكن ثقلًا يسقط
فوق كتفك فلا تقدر.

- إنت مين يا عم انت!!؟

- ما انت عارف يا حلمي.. إنت بس اللي سمعك تقل وعينيك بتدبر
شوية.. معلىش أنا حاولت اجييلك حباية تخلص بسرعة بس لقينها
هتكلف شوية.. وانت الصراحة ما تناهلش يدفع فيك حقها..

الآن تبين الصوت.. تحاول أن تفتح عينيك فلا تقدر.. تجرر ساقيك
الذين ترتعشان من فرط الألر.. ومعدتك تأبى أن تتوقف عن آلامها
المبرحة.. أحدهم يضرب معدتك بمطرقة تزن عشرة كيلوجرامات من
الصلب.. ثم لماذا ترى الباب باين حتى لا تقدر على الوصول له..

- هو الصراحة يا حلمي أنا احترت في الجرعة اللي تكفيك.. بس
الكبير اكدي إن قرصين من البتاع المركز ده كفاية عليك أوي.
هو عمل حسابه إنك بتشرب شاي وقهوة كثير، وجسمك منعود
على الشيفولين، ومش هيخلص عليك بسرعة.. بس انا أكدت إني !!
نضيف على الخلطة ديجوكسين هتبقى أحلى وأجمل..

ثم أشعل لفافة تبغ يا حلمي وأنت ترحف محاولاً الخروج من الباب.
جسمك الناحل يزحف فوق درجات السلم الأربعة لتخرج زاحفاً إلى
الشارع المزدهم.. الشارع الذي طالما كرهته بضيقة ورائحة عطنه ومقهاه
القنر..

- إيه ياد يا حلمي.. مالك.. إنت مبلع إيه مخليك ترحف كده..

القيء يبدأ يا حلمي.. لكنه قوي متر.. عيناك لا ترى سوى أضواء
خاطفة، وجهازك العصبي فقد السيطرة على جهازك الهضمي فراحت
سوائل قدرة تتسرب من جسدك إلى ثيابك القدرة

- الإسعاف.. اطلبوا الإسعاف..

تمسك بطرف بنطال تجده في طريقك وتشده.. تشده بكل ما تملك من

قوة لينحني صاحب البنطال نحوك..

- إيه يا شقيق مالك.. إنت بلبعت إيه؟؟

- الدكتور..

- بتقول إيه يا ابن المرة مش سامعك..

- الدكتور..

ثم رحت تهمس بها متواصلًا.. تهمس بها بلا توقف.. تهمس بها
والأضواء تخفت..

وتخفت.. وتخفت..

* * *

- خدوني عند عماد حاليًا

- يا حبيبي اهدئ بس.. أنا بكلمه ما بيردش

- اهدئ يا أكرم.. ضغطك لسه واطي ولازم ترتاح..

- أبوس إيلك يا ولاء.. خديني عند عماد حاليًا..

* * *

(٢١)

مديرية الأمن... العاشرة مساء

كعادتي في هذه الأيام اللزجة المتوترة أقترح حجرة مكتب عماد بدون أي سابق إنذار، وهو جالس فوق مقعد جلدي منخفض مجاور لمكتبه، يقرأ تقرير الطب الشرعي المفصل لجريمتي الفتاة سمية، وذلك المدرس البائس البدين الذي توفيت زوجته قبل أربعين يوماً من التهامه عن طريق أسد مصاب بالعار!!

- مش تحبّط الأول يا زفت قبل ما تحش..
 - مرّة من نفسي يا حضرة المعاون..
 - حضرة المعاون شكله هيلبس البيجامة قريب.
- ثم يلقي بالتقرير على مكتبه في إهمال، وينفث من دخان لفافة التبغ وهو يراقب حلقات دخانه الصاخبة الغاضبة تنطلق في هواء الغرفة الكثيب.

- أنا جابلك في موضوع مهم جدًا
- ده انا اللي عايزك في موضوع مهم جدًا جدًا.. اقعد على ما ابعت اجيب قهوة..
- ثم رفع عقيرته منادياً على ذلك ال.. أيا كان.. ليحضر لنا قهوتين.
- من حوالي ساعة كده وصلت المستشفى جثة الواد اللي اسمه حلمي..
الفرّاش بتاع عيادة دكتور سليمان ما انت عارفه.. الواد خرج من بيته في الدور الأرضي زاحف، وبيجيب في كل سواثل جسمه على الأرض.. من دم لقيء لبول لبراز ل..
- بس الله يقرّك خلاص.. خش في المهم.
- المهم إنه قبل ما يودع قال كلمة واحدة بس لواحد من شلة الأنس بتاعته.. استنى هخليك تسمع منه بنفسك..
- دلف بيومي بالقهوة على صينية، بينما عماد ينهض دائراً حول مكتبه ليجلس خلفه على سبيل الهيبة..
- بيومي.. هات الواد بتاع بشتيل.
- أوامرك يا باشا.
- ثم وضع الصينية على الطاولة، وأنا أهس في أذنه:
- إزيك يا بيومي.
- الحمد لله جنابك.
- فين العشرين جنيه.
- عشرين إيه جنابك؟!!

- اخلص يا بيومي روح هات الواد.
- أدى التحية ثم انصرف مسرعاً، وقد أنقذته صرخة عماد من استجوابي..
وعماد يرسل نظراته الغاضبة نحوي فتحمّر أذناي خجلاً.. العشرين جنبه
هي أمر مصيري بالنسبة لي.. لا بد أن أستردها مهما كان الثمن..!!
- دلف إلى الحجرة شاب نحيل بشكل مرعب.. تحيط بعينه أكثر الهالات
سواداً مما رأيته في حياتي.. يرتدي بنطالاً من الجينز يضيق ليصبح باتساع فم
الحذاء الأحمر الفاقع الذي يرتديه وقد زين رأسه شعر خشن، قصّ جانباه
حتى أصبح مثل فرشاة الأحذية الخشنة..
- تعالى يا سيد، ما تخافش..
- أنا ما اعرفش حاجة غير اللي قولته والله يا بيه.. الله يخرب بيتك يا
حلمي..
- الله يرحمه يا سيد.. احكي للباشا حصل إيه بالضبط من ساعة ما
خرج زاحف من بيتهم لحدّ ما قالك الكلمتين.
- أوامرك يا باشا.. والله يا باشا إحنا كنا قاعدين على قهوة تفاهة..
- قهوة إيه؟؟
- تفاهة يا باشا.. بتاعت الواد حودة تفاهة اللي مدور تكاتك في
المنطقة.. وبصينا لقينا الولا حلمي خارج يزحف على بطنه من
البيت، ولا مؤاخذه يطرش حاجة لوها اصفر.. ولما قربنا منه راح
عم حسين رامة..
- حسين مين؟؟
- حسين رامة يا باشا بتاع السايبر، راح متصل بالإسعاف بس لاقاهم
مشغولين يا بيه.. وولاد الحلال جم يشيلوه عشان نحطه في أي

توك توك، ونطلع بيه على الجمعية الشرعية، راح طابق في الشيرز ومكرمشه في إيدته.. عينيه يا باشا كانت محمرة وزوي ما يكون ضارب حاجة..

- حاجة زي إيه؟؟

- والله يا بيه ما اعرف.. أنا بطلت كيميا من شهرين وربنا تاب عليا، لكن حلمي كان يعرف دكتور من المعادي بيحبيله اقراص يوزعها عالي عايز في المنطقة.. غير لا مؤاخذه البانجو.. المهم يا بيه راح طابق...

- طابق في الشيرز ومكرمشه، دي عرفناها.. وقالك إيه؟؟

- قاللي: الدكتور.. الدكتور، وبعدين فضل يقولها كتير لحد ما سلم نمر في التوك توك قبل ما نتحرك بيه.

صمت الفتى، فنظر لي عماد نظرة ذات مغزى، جعلت عيناى تضيقان، وهما تتركزان في قلب ذلك الحذاء الأحمر الملوث ببقايا قيء المرحوم، بينما عماد يأمر الفتى أن يرحل، ويعطيه بطاقته الشخصية، فأطلق لساقيه الريح فرحاً بخلاصه من قبضة هذا الغول ضابط المباحث..

- إيه رأيك في اللي سمعته؟؟

- رأيي إن احنا لازم نمنع الكارثة الجاية بسرعة يا عماد..

- كارثة إيه مش فاهمك؟!

- النهاردة المصور اللي خد صور الجثث الصبح مالفاش الصور في الفولدر على الكمبيوتر.. ولقي صورة واحدة مكانهم هي صورة الدكتور سليمان.. والواده يقول الدكتور الدكتور.. يعني الهدف الجاي للبيه بتاع الفوييا ممكن يكون دكتور سليمان شخصياً.

- هو موضوع صورة الدكتور سليمان مقلق فعلاً.. بس الواد لما قال الدكتور ما كانش قصده الدكتور سليمان يا أكرم..
- مش فاهمك خالص..!!

مدّ عماد يده إليّ بملف بلاستيكي صغير.. تتصدره صفحة تشبه السيرة الذاتية عليها صورة لشاب وسيم في أواسط ثلاثيناته.. يرتدي نظارة ط.. أنيقة.

- مين ده؟؟؟

- عصام أحمد عبدالقادر الحبشي.. أربعة وتلاتين سنة.. خريج كلية الطب جامعة القاهرة وأخصائي باطنة، ومعاها ماجستير في طب المناطق الحارة.. أعزب.. وكان فاتح عيادة في حدائق المعادي. ظروفه المادية سيئة جداً، ومن أسرة بسيطة جداً جداً..

- وده إيه علاقته باللي احنا فيه؟؟

- أنا أقولك يا أستاذنا الصحفي الهمام.. لما حصرنا دائرة معارف المجني عليهم النهاردة الصبح.. لقينا الاسم ده متكرر كتير أوي.. "عصام أحمد عبدالقادر الحبشي" يبقى شقيق "هيثم أحمد عبدالقادر الحبشي" لاعب الكرة اللي كان لسه رايع يمضي للزمالك يوم ما اتقتل.. كمان طلع خطيب أمل البنت اللي نزفت لحد ما ماتت في المشتل.. وكمان هو أخو المرحومة حميدة أحمد عبدالقادر الحبشي، زوجة المجني عليه رقم سبعة محسن عبد القوي صليحة..

- صدف غريبة والله!!

قلتها ساخرًا، فنظر عماد نحوي، وقد لمعت عيناه ببريق أعرفه عندما يسبق بخطوة..

- لا؛ خد عندك بقه الصدف الأغرب دي.. لما اتصلت بدكتور سليمان أسأله هل يعرفه أو سمع عنه قبل كده؟ طلع يعرفه كويس جداً.. وإنه يا عيني كان بيتعالج عنده في فترة من فترات حياته من صدمة عاطفية حصلته نتيجة خيانة خطيبته ليه.. لا وبعدين طلب مساعدته في إنه يوصل ورق أخته المريضة بالسرطان لمعهد الأورام عشان تتعالج على نفقة الدولة.. خد عندك بقه اللي جاية دي..

- اديني يا لعيب..

- لما بعثنا اسمه الأمن الوطني.. عشان نشوف ليه نشاط سياسي ولا حاجة..

- الأمن الوطني!! هي مش الملفات اتحرقت وانقرمت باين..

- واد يا أكرم.. ما تلعبش اللعبة دي معايا يا روح امك.. أنا مش مصدر هتسب منه معلومة، وخليني ساكت.

- طيب خلاص قلبك ابيض.. كمل لقيتوا إيه..

- الدكتور عصام عضو مؤسس في حزب الحق السلفي.. لا؛ وكان المفروض ينزل على قوائم الحزب في جنوب القاهرة، بس شوية خلافات في الأفكار والاعتقادات السياسية خرّجته من الحزب.

- يا راجل.. طب ومستين إيه.. ما تجيوه عشان نتعرف عليه..

- مالوش أي أثر.

ثم أشعل لفافة تبغ بقداحة معدنية كبيرة، ونفث الدخان وهو يرشف من قهوته، ثم نظري متابعا:

- يعني إيه مالوش أثر.. مش بتقول إنه في عيادة.. وأكيد له محل سكن هنا ولا في القرية اللي هو منها.

- مالوش أثر في أي مكان منهم.. العيادة مقفولة من يومين.. بلد م ما يعرفوش عنه حاجة من شهر.. حتى العوامة اللي هو ماجرها امبابة.
- عوامة.. إنت بتقول إنه من أسرة بسيطة وعلى قد حاله.. يأجر عوامه ازاى؟!!
- ده اللي حصل.. لما بعنا اثنين ثلاثة من رجالتنا يفتشوا عنه.. واحد من مكان المنطقة اللي فاتح فيها عيادته قال إنه زاره مرة قبل كده في عوامة عالكورنيش ناحية كوبري امبابة والقسم.. ولما رجالتنا راحوا هناك لقوا فعلاً العوامة متأجرة باسمه شهر بخمس تلاف جنيه مفروشة.. وكان بيعجي العوامة لوحده غالباً زي ما الراجل الفقير اللي قاعد هناك قال لنا.. طبعاً عشان ما نتناش أمر النيابة فتحنا باب العيادة بطريقتنا، ونخيل لقينا إيه؟!!
- لقيتوا مخزن كتب الرهاب مثلاً؟!!
- نظر لي في تفرز، فمنحته ابتسامة بلهاء من النوع التي تضيق فيه عيني، وتظهر فيه كامل أسناني، فيوشك على أن يحطمها.
- لقينا مجموعة أبحاث عن تطور السموم.. ودورة السموم في جسم الإنسان.. والسيطرة على جرعات السم المميتة في جسم الإنسان وشوية محاليل طبية أول ما نطلع إذن النيابة الصبح هتحفظ عليها ونبعثها لتحلل كويس، عشان نعرف فيها إيه.. ومالقينا أي نسخ من الهباب اللي بنلاقه جنب كل الجثث..
- بيتها لي عدا جثة الواد اللي اسمه حلمي..
- لا يا اخويا لقيناها مرمية وسط هدومه لما بعنا الشباب بتوع قسم امبابة يفتشولنا الشقة.. يعني الأخ حلمي كان ضحية هو كمان..

آه كان في شريط كده فيه أقراص زرقة.. بعته عند دكتورة أمل البيت.. والحقيقة البست كانت متعاونة جدًا جدًا ولطيفة جدًا، لدرجة إنها كلمتني بنفسها من نص ساعة، واديتني النتيجة.

- كلمتك بنفسها.. ومتعاونة جدًا ولطيفة جدًا.. مم.. وكانت إيه النتيجة يا حضرة الظابط أوي جدًا..

- ولو إني شامس في لهجتك طريقة مش عاجباني لكن هقولك.. الدكتورة بتقول إن في مركبات من نوعين من الأدوية في الأقراص وإنها أول مرة تشوفها في حياتها مع بعض في نفس القرص أو الكبسول.. بس باين إن الي عمل التركيبة محترف جدًا، وعنده خبرة واسعة بالسُموم..

ثم نفت دخان لفافته وهو ينظر إليّ من خلف سحب الدخان، فبدأ كعراف يقرأ المستقبل من عينيه الضيقتين..

- إحنا كده حطينا ايدينا على الدافع وطريقة التخطيط للجرائم.. اللي هو أي حاجة ليها علاقة بتجارب على أبحاث أو تجارب غير مشروعة لواحد مجنون عايز ياخد الدكتورة بتاعته لايف، ما دام ما عرفش ياخذها من الجامعة.. راح ملبس الموضوع كله صيغة غامضة عن طريق كتاب اهيل لقاء في أي مكان، ولمّ نسخته كلها من المكان البيل لقاء فيه.. ويا سلام لو كان الكتاب أصلًا حواليه رغي كثير من زمان.. مش بعيد يكون لقى الورقة إياها اللي كتبها المجنون اللي اسمه عمر جمعة.. واستغل الموضوع لصالحه كويس.. ويمكن يرميلنا في نظريات وأرانب سبق، على رأي الدكتور سليمان، وهو شغال بيخطط لجرائمه كويس أوي أوي.

ثم سحب نفسًا عميقًا من لفافته، ودفنها في المنفضة، وكأنه يضع النهاية

لتحليله العبقري، فتململت في جلستي قليلاً.

- مالك.. شكلك مش عاجبني.
- مش عايز اقفلك واقفل في وشك السكك.. بس الموضوع مزر مريحني خالص..
- مش مريحك ازاي.. وبعدين مالك وشك مش عاجبني.
- مصدع جداً بقالي شوية.. شربت قهوتين في الجرنان وادي الثالثة عندك آهو ومرضه الصداع مش عايز يروح.
- اقترّب مني ونظر في وجهي كأنه يراقب سلحفاة في حوض زجاجي ثم جثّ رأسي بكف يده، وابتعد كأنها لعتة عقربة أنثى متحمسة.
- إنت مولع نار.. إنت مالك في إيه؟!!
- شكلي لقطت دور برد ولّا حاجة.. هاتلي قهوة بس وقرصين أي مسكن وهبقى كويس..
- فتح الباب ورفع عقيرته الأجنحة ينادي على بيومي، فجاءه شاب نحيل يرتدي الزي الميري المميز لجنود الخدمة الإجبارية.
- بيومي فين يا بني؟
- ما عرفش يا باشا.. بس شكله راح يحضي طلبات لعلّي بيه من البجالة..
- لكنة صعيدية محبة للنفس.. استبدال حرف القاف بالجيم والضغط على مخارج الألفاظ بكثرة.. ذكرتني بصوت جدّي عندما كان يحكي لي - رحمه الله - سيرة أبو زيد الهلالي.. لماذا أشعر بتلاحق أنفاسي بهذا الشكل..

- طيب روح هات لنا واحد قهوة من البوفيه.. وقول للجابر يجيبه من
البن بتاعي.

- أوامرك يا سعادة اليه.

ثم أغلق الباب وأحضر من درج مكتبه قرصين من دواء مسكن شهير،
رجلس خلف مكتبه يراقبني وأنا ابتلع الأقراص بكوب ماء فقد برودته من
كثرة وضعه فوق الطاولة الصغيرة.

- كنا بنقول إيه بقه؟

- اسكت وما تكلمش خالص لحدّ ما الحرارة تهدئ وتعرف تاخذ
نفسك.

- والنبى بلاش شغل الأمهات ده وخلينا في المهم.. أنا كويس مافياش
حاجة.. آه كنا بتكلم عن أن الموضوع مش مقنعني أبدًا.. حاسس
إن في حاجة ناقصة.. وعصام ده أكيد مش عبقرى لدرجة إنه يقعد
يدرس في موضوع الكتاب ده، ويدور ويبحث في التواريخ عشان
يعمل هالة رعب حوالين الكتاب، تخليه أرنب سبق زي ما انت
بتقول، ويلهينا عن..

طرقات مكتومة على باب الحجره، فأصدر عماد أمره للواقف خلف
الباب بالدخول.. ليدخل ذلك الجندي الصعيدي، فيشير له عماد كي يضع
القهوة أمامي.

- شكرًا يا بلدينا.

- العفو سعادتك.. يلزم خدمة ثانية..

- لا شكرًا.. إنت منين يا دفعة.

- آني من شندويل صوهاج جنابك..
- ما شاء الله بلد الحبايب.. على كده تعرف الأستاذ عبدالمدم
- الشندويلي؟؟
- معلوم جنابك.. ده اخو جناب العملة، وعضو مجلس الشعب الـ
- دي.
- انصراف يا بني خلاص، وسيب البيه يرتاح.. ولما يجي بيومي
- ابعتهولي.
- اعتدل الجندي مؤدياً التحية العسكرية ثم انصرف سريعاً.
- رشفات من القهوة.. غريبة هي هذه القهوة في طعمها.. يبدو ان سكرها
- زائد نوعاً أو أن فيها نوعاً جديداً من التحويجات التي يحبها عماد ويتفنن في
- طلبها من بن شاهين.. ربما قريباً ظهر نوع قهوة جديد يسمى تحويجة الرائد!!
- مين عبد المنعم الشندويلي ده بقه؟؟
- ده كان مدرس مع ابويا الله يرحمه، بس أصغر منه في السن.. بس
- باين ربنا فتح عليه وبقى سيادة النائب.. إنت عارف الصعيد بقه.
- بس نائب شندويل ما اسموش كده.. ده له الصبح النهاردة علي
- كان بيحكيلي على ابن عم أبوه فارس الشندويلي اللي دخل المجلس
- ومالحقش يتهنى بيه..
- جايز العسكري اتلخبط ولا حاجة.. ده عيل غلبان برضه..
- رشفة أخرى من القهوة والصداع لا زال يفتك بمقدمة رأسي.. ربما بعد
- لحظات لا أستطيع رفع جفني من كثرة ألم الصداع فوقهما!!
- طب يا عماد أنا مش مضبوط خالص.. أنا هقوم اروح بمكن اعرف
- اربح دماغي شوية.

- طبيب استنى هبعت معاك علي يوصلك.
- مالوش لزوم.. يمكن تحتاجه هنا ولا حاجة.. التاكسيات كثير تحت وانا مش رايح زنزبار يعني.. أنا يادوب رايح القلعة اشوف امي واطمن عليها.. اليومين دول هي معسكرة في بيت جدي عشان السلامة النفسية.. إيه الدوشة اللي برة دي!!؟؟
- صوت شجار على ما يبدو.. وصوت جلبة وصخب وأصوات مرتفعة، وكان المديرية احتلها فيلق كامل من الجيش الروماني أو فرقة ماريتز من ذوي الجوانب الحليقة والسلاسل الفضية ذات اللوحات..
- استنى اقوم اشوف في إيه..
- ثم فتح الباب والدنيا تغيم أمام عيني.. يا لهذا الصداع القاتل.. ربما بسبب إقلاعي عن التبغ منذ مدة قصيرة وإفراطي في شرب القهوة.. أو ربما من كثرة التوتر والصخب وقلة النوم.. وربما من كثرة التفكير فيما ستواجهه هذه الفتاة المتمردة المسكينة معي من أيام حالكة!!
- في إيه يا بني.؟؟
- علي باشا سعادتك أغمي عليه.. هو كان تعبان شوية وجنا له مسكّن وخافض حرارة وبرضه مفيش فايدة، فا كان رايح مع عبد الباقي مستشفى الشرطة..
- طب اطلبوا الإسعاف بسرعة وانا جاي..
- ثم اتجه سريعاً نحو المقعد الرابض خلف مكتبه، وراح يرتدي سترته سريعاً.
- في إيه يا عماد!!؟؟

- علي أغمي عليه على السلم، وشكله تعب ولا حاجة.. العساكر ..
يقولوا تعبنا من الصبح وحرارته مرتفعة.. هروح اشوف ماله لما
ما الإسعاف تيجي..

- طب استنى هاجي معاك..

الغمامة السوداء تتكاثف فوق جفني، ورأسي موشك على الانفجار
وأطرافي باردة كالثلج.. ما الذي حدث لي؟؟ لو كانت هذه أنفلونزا أو
إصابة فيروسية بأي التهاب معروف لشعرت بضيق في حلقي أو كحة أو
أي شيء.. لكن كل ما هناك هو الصداع، وذلك الطنين الذي بدأ يدوي في
ذني عندما نهضت..

- أكرم.. إنت وشك اصفر كده ليه..

- مش عارف يا عماد.. شكلي كده..

ثم هويت..

هويت في تلك البئر السحيقة المظلمة.. لا أرى أطرافي ولا أرى عماد ولا
أرى الغرفة من حولي؟؟

هويت بلا ارتطام وبلا سقوط.. فقط أنا داخل تلك البئر المظلمة..

هويت كما لم أهو من قبل..

هويت نحو الظلام البكر الخالي من الشوائب..

وهنا فقط.. أدركت الحقيقة..!!

الظلام.. المعرفة.. الحقيقة..



هل أنت ذاهب إلى حفلك يا عصام؟؟

انت لم تكن يوماً ساذجاً أو قليل الذكاء أيها الطبيب النجيب.. لقد دخلت
الاية الطب بمجموع حذك عليه أوائل الثانوية العامة لأنه جاء بلا أي
.. اعدات أو إعانات خارجية أو داخلية.. كنت تدرس وحلك وتستوعب
، حلك وتحفظ وحذك، وما أنت تشارك أولاد الذوات والأوائل أماكنهم
القلب حصنهم المنيع.. ألم تسمع أن الطبيب لا بد أن يكون غنياً حتى يتفرغ
لعلاج الناس.. من قال ذلك.. ربما "هنري ليستر" يوماً أو ربما ذلك الرجل
العجوز المتغضن القابع فوق المصطبة الأسمنتية بميت الحبش.. والذي كان
سبباً في مجيئك إلى هذه الدنيا القاسية.. فقط ليلقي لك بحكمته الشهيرة
"خليك على قد رجلك يا عصام يا ابني.. إحنا غلابة"

لماذا إذن جاء بك ويأخوتك الأربعة إلى الدنيا؟! هل كان يظن أنكم
سوف تلقون بكل أحلامكم عند قدميه المتشققين، وتفرغون لتحقيق حلمه
في أن يكون أباً ومزارعاً وصاحب أطيان يرعاها أولاده كالغنم في المرعى ثم
يهشهم آخر الليل ليتراصوا بجواره يأكلون ويشربون ويتناسلون!!

جاءتك الرسالة من جديد على هاتفك المحمول ماركة نوكيا.. الذي
ابتعته مسروقاً من شارع عبد العزيز بأربعين جنيهاً؛ لتحمل محمولاً.. يومها
ألقيت ورائك بكل أحلامك.. ألقيت بشهادة التخرج الفاخرة بتقدير جيد
جداً مع مرتبة الشرف وبشهادة الماجستير في طب المناطق الحارة، ورحت
تعمل بدوام جزئي كفتي معمل في شركة أدوية تمنحك فئاتاً تذروه الرياح،
لا يكفي حتى لا يجار تلك العيادة الحقيرة في أطراف حدائق المعادي التي
نسيت فيها حلمك بأن تكون مخلصاً تهيم على وجهك في مجاهل أفريقيا أو
ضفاف الأمازون، وتحولت إلى طبيب باطنة تعطي حقن الإسهال وتكتب

وصفات علاج القولون!!

جاءتك الرسالة تستحثك على الوصول سريعاً إلى مكان اللقاء المرتق. .
اللقاء الذي تنتظره طويلاً منذ أن وضعت قدمك في هذا المستنقع الآ. .
لتصبح قاتلاً محترفاً بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الرفيعة!!
جاءتك الرسالة بعد مكالمة مقتضبة من صاحب الصوت ال. .
الساخر دوماً..

- إزيك يا عصام..
 - زي الزفت.. الواد خطرف في الكلام وقال الدكتور.. والبوا..
بيدور علياً في كل حته..
 - إحنا مش اتفقنا إن الجرعة هتخلص عليه قبل ما يعرف يفتح بته
 - ده اللي اتفقنا عليه.. لكن الظاهر إنه عشان كان ضريب طول عده..
وبياكل المخدرات أكل.. التأثير اتأخر شوية..
 - ما علينا.. عايزك تقابلني في العوامة بعد ساعتين.
- العوامة التي أنقذك هو شخصياً رزمة من الأموال كي تؤجرها باسمك
الكامل؛ لتصبح مكاناً للقائك به وبذلك التعس حلمي.. حلمي الذي
آمنت بالتخلص منه، فور أن عرض عليك الفكرة لأنه أصبح خطراً ماحقاً
عليكما معاً.. أنت تكره القتل غير المبرر.. كل ما كان كان مبرراً على الأقل
من وجهة نظرك المريضة المشوهة.. لكن قتل حلمي كان ضرورياً؛ لأن
الطبخة لن تتلف من أجل جرامين من الملح.. وجرامان من الملح كانا أكل.
قيمة من وغد سفيه مثل حلمي!!

- العوامة متراقبة يا جمال.. هخشها إزاي؟؟ إنت عايز توديني في
داهية واشيل انا الليلة كلها!!

أنا دبّرت كل حاجة .. ثم انت مش خلاص رحت لعبده المحرك وهو
سَتَقْلَك كل الدنيا ..

أيوه ابن الكلب الواطي .. نسي الشهادات الطبية اللي كنت بضر بها له
بخصم النض ولحف مني خمس تلاف جنيه عشان بطاقة !!
- خمس تلاف دول ولا حاجة بالنسبة لحياتك يا دكتور .. ما تناخرش ..
بعد ساعتين بالضبط ..

ثم أغلق الخط تارنكا إياك تفكر في ذلك الكمين .. أهو كمين فعلا يا
عصام وأنت ذاهب لحتفك .. هل سيتخلص منك جمال كما فعلتها بحلمي
ام سوف يترك هذه المسائل للشرطة؟؟ منذ أن أصبحت اللعبة لعبتكما معًا
وأنت تجهز لهذا اليوم الفاصل .. منذ أن أصبح حلمي عبثًا وأنت تستعد لليوم
الذي سوف تصبح فيه عبثًا على عاتق ذلك المجنون جمال .. لكنك أتممت
امتداداتك كاملة يا عصام .. إن جمال به عيب خطير، فهو مطمئن إلى ما
يشربه بدرجة كبيرة .. وأنت كنت تضع دواء سيولة الدم في كوب الشاي
الأسود المتر الذي يحبه جمال كلما وطئت قدماء بلاط عيادتك المتسخ .. إنه
جاهز الآن حسب خبرتك الطبية المشهود لها بالكفاءة كي يحدث أي جرح
به مصيبة لا تنتهي إلا بموته كدجاجة مذبوحة .. فقط احمل سكينك الأثير
والذي مزق يوتما كعب تلك السافلة أمل .. احمله كي تعرف جيدًا كيف
نستخدمه مع ذلك الوغد !!

السافلة التي لمحمد الله على أنها رزقت بطبيب نجيب ينتظره مستقبل
مبهر مثلك .. وراحت تلهو وتلعب مع عجوز مُتصابٍ لتعمل لديه في
مشتله المنمق .. ثم لتصبح بعد ذلك رفيقة فجوره وفسوقه على فراشه الوثير
في ركن مشتل .. الفراش الذي لم ينعم بمتعة عليه كالتي منحته إياها هذه
السافلة الوضيعة مقابل ماله الفياض وعلاقاته المتشابكة .. أم ترى هو مقابل
رجولته المتفجرة وهو على مشارف الستين !!

لقد انتهت بتلك السكين المعدنية الرائعة.. السكين التي يد...
لملمسها المعدني إثارة لن تمنحك إياها ملامسة كل نسوة الدنيا عاريا
مجتمعات طوع أمرك.. إن السكاكين لا تخون ولا تبغ نفسها، ولا تظلم
بالطية يا عصام.. ليتك كنت تقدر أن تتزوج من مكين..!!

تصل إلى باب العوامة الخشبي المتشقق.. وتنظر يمنة ويسرة، فلا تجد...
يحرس المكان.. إن ذلك الرغد قرر تطبيق الخطة الأولى إذن.. لقد مر...
الشرطة بطريقة ما حتى يخلو له الجو فيقدر على قنصك يا عصفورا سفت...
كعين صياد ماهر..

تتظاهر بضبط حزامك الذي يحمل بنطالك التهدل على وسطك فقط...
لتمنع نفسك قليلاً من طمأنينة بلمس اليد الخشبية لسكينك الحبيب...
تدق الباب كما اعتدت وتنتظر تلك الثوان العشر حتى يفتح الباب فتألم...
مغلقة الباب خلفك..

العوامة التي يذلف شعاع الشمس الوليد في صباح ذلك اليوم القانق
من شهر مايو، عبر خصائص النافذة الخشبي فيقط على أثاث ينتمي لنهاية
ستينات القرن العشرين، تشققت أخشابه وزحف البق والعث إلى قمائمه
وحشوه..

- تعالي يا عصام.. اقعد..

- إنت عملت إيه عشان تروق الجو كده..

- بعت العسكري يجيلي سجائر من أسوان.

نبرته الساخرة وابتسامته المحملة بأطنان من السخرية السوداء، والمرارة
التي تقفز من عينيه المجنونتين.. يوم أن عرض فكرة إلقاء نفسه بين براثن
الشرطة ليحول تفكيرهم عن العملية الجديدة، كنت على وشك غرس

١. حين كاملاً في قلبه حتى اليد الخشبية الباردة.. اللعنة عليك أنت لا
.. ف الشرطة ولا أساليهم، ولا كيف سيخرجون منك تاريخ حياتك
.. إلا أن عينيه المجنونتين جعلتا من فكرته واقعاً فرضه على الجميع..
.. أبك وعلى حلمي وعلى...

المهم.. عايز إيه؟؟

- عايزين نخلص الموضوع ده بقه وكفاية كده..

- وحدّ منعك.. أنا كده كده دبّرت أموري.. عصام أحمد عبدالقادر
الحبشي مالوش وجود في الدنيا دلوقتي، والبركة في عبده المحرك،
والخمس بواكي اللي لفهم حار ونار في جتته.. وصورة البطاقة
والباسبور بقت صورتي دلوقتي.. شعر مخلوق ودقن طويلة وشوية
تشوهات في الوش لحد ما اهتج منها واعرف اعمل اللي انا عايزه
بالفلوس وانا بعيد..

- لو كان الموضوع ببساطة كده.. ما كانش حد تعب يا دكتور..

- تقصد إيه يا جمال مش فاهمك؟؟

- تشرب حاجة؟؟

نظرت له من خلف العدسات الخضراء التي وضعتها منذ أن أصبح
عصام الحبشي الشاب ذي النظارات الطبية في عداد الهارين المفقودين
المنتهين من خريطة البشرية.. وابتسامة السخرية تكاد تقفز من وجهك
لنصدم وجهه ساخر الملامح متضخم القسمات.

- لا متشكر.. سبقتك.

- لا ما تقلقش.. مش هحطلك حاجة في الشاي ولا في العصير..

ومشرب منه قبلك كمان..

- ما بحبش اشرب ورا حد يا جمال.. ربيع نفسك وقول الكلمات الي
انت جاييني عشانهم عشان نخلص.

- خلاص يبقى سيني اشرب شوية شاي أنا بقه..

ثم نهض ومشى متأقلاً نحو المطبخ الصغير.. وأشعل الموقد الغازي
عديم القرن.. وراح يعدّ كوباً كبيراً، لقمه بملعقتين من الشاي و...
معالق من السكر، متظفراً حتى يعلن الماء غضبه من كل تلك الحرارة التي
تسلط عليه، وهو حيس البراد المعدني الصدي.

- إنت عارف يا عصام.. أكثر حاجة كانت عاجباني فيك ذكاءك
ومن ساعة ما اشتغلنا مع بعض وأنا إعجابي بيزيد بك أكثر وأذكرك
ومن ساعة الموضوع ما بقى في حجرنا أنا وانت بس وأنا مش عا
لحظة الفراق تقرب..

- ده إيه الرومانسية دي كلها.. بقولك إيه يا جمال.. إنا مش فايقلنا
البوليس قالب عليا الدنيا وعايير الحق الزأموري عشان اعرف امشي
من الخرابة دي بالذوق.. هات الخلاصة بعد إذنك عشان كل واحد
يروح لحاله..

صَبَّ كوب الشاي الثقيل، وهو كمن يتلذذ بحرق أعصابك مثلما نجرف
الذهب أطراف البراد الصدي.. وراح يتباطأ في صَبِّ الماء فوق الشاي الثقب
الأسود.. وملعقته المعدنية تقلب جنبات الكوب الزجاجي..

- تسمع عن ميشيل الزئبق يا دكتور..

- ال إيه...؟؟؟

- Dimethylmercury ده واحد من المركبات الكيميائية المشهورة
أوي من الزئبق، وده له حادثة مشهورة أوي محكيك عليها واحد

بشرب الشاي..

يداك تقبض على السكين وتخرجه إلى جانبك، وعرق غزير يتكاثف فوق
نصلها المعدني..

- سنة ١٩٦٦.. دكتورة كيمياء غير عضوية اسمها كارين ويترهان..
وقعت نقطتين من السائل ده على إيديها اللي كانت لابسة فيها
جوانتيات لاتكس محكمة.. الغريب بقه إن السائل اتسرب ولمس
جلدها وامتصه الجسم وخزنه.. الحقيقة هي ما كانش قصدھا؛ لأنها
كانت فاكرة إنه زي الزئبق العادي جرعته السمية بتطول، ويتحتاج
لاحتكاك مباشر مع المعدة.

- وآخرة المحاضرة الطبية العظيمة دي إيه.. أنا هقوم امشي في ظرف
خمس دقائق لو ما خلصناش وعرفتنى إنت جايبني هناليه ١١٢
جلس في مواجهتي مسلطاً عيناه الساخرتان، وراح يتابع في برود:

- بعدها بأربع شهور قابلت أحد زملائها.. عبقرى السموم فاس
أبوشيان.. الراجل ده بصر في وشها وحس إن في حاجة مش
مظبوطة.. ولما سألها قالتله إنها تقريباً مصابة بنزلة برد بس قوية
شويتين، وهتشفى منها بس بعد فترة..

ثم عاد للوراء في مقعده، وهو يرشف الشاي بصوت مسموع.. وعرق
غزير يتساقط من فوق عينيك يا عصام.. قليل من الهواء ليتمكن للمرأة أن
يتخلص من هذا العرق..

- بعدها بدأت حاجات غريبة تظهر عليها بالتدريج.. ضيق تنفس..
خلل في وظائف الكلى.. فقدان شهية عام.. غوار في العين، ووزنها
بقى بيتزل بسرعة شديدة.. وبعد شهرين لما شخص الدكاترة في
مستشفى نيوهامبشاير بتسمم الزئبق.. كان الموضوع انتهى..

ودخلت غيبوبة طويلة بعدها ماتت .. تخيل كل ده من كام مللي حرام
من المادة السحرية !!

- وأنا إيه علاقتي بالكلام ده كله .. أنا قايم ..

- علاقته بسيطة أوي أوي يا دكتور ..

ثم نهض من مكانه وأدار ظهره لك متابعًا - وهو يتلصص من خلف
الخصائص الخشبي العتيق :-

- من ساعة ما بقينا في الهوا سوا وأنا عمال أفكر اجيبك إزاي ومنين
إنت ما بتشربش حاجة عند حد .. ما بتدخنش وطول الوقت لا بس
جوانتي ثقيل .. ما بقتش عارف اعمل معاك إيه بالضبط .. لحد ما
الفكرة دخلت دماغي وعشعشت فيها أول ما شفت المقالة اللي
بتكلم عن المادة دي عالنت .. بس برضه فضل الموضوع صعب ..
أدخلها جسمك إزاي .. لحد ما وصلت للحل ..

الآن فقط يا عصام - مع كلمات فلك المختل - تتذكر كل شيء .. فقدان
شهيتك الغريب منذ ثلاثة أيام .. وبولك المحتبس الذي يسيل عرقك أنهارًا
منذ يومين .. وأنفاسك المتلاحقة منذ أن قررت من العيادة و...

- الحقيقة إن حلمي الله يرحمه كان بيحبك أوي .. أول ما عرضت عليه
الفكرة قبل على طول .. أكلة سمك صغيرة عندك في العيادة، وفيها
السمك البوري المشوي بزيت ولمون اللي بتحبه .. في قلب السمكة
اللي عليها العين كبولة صغيرة كده مرشوشة على لحم السمك
الأحمر ..

تمسك السكين يا عصام وتستعد للقفز فورًا على غريمك .. لن تخور
قواك الآن .. ستقتله حتى ولو كانت هذه آخر لحظات حياتك .. ستريق دمه
هنا فوق تلك الأرض، ثم تلعقه بلسانك، وتلقى حتفك فوق جثته الخالية

من دماء..

تقفز ناحيته غاضبًا.. صارخًا.. بكل ما تبقى من قوة في جسدك الذي
أصابه الهزال من قلة التبول وقلة الأكل.. تقفز قابضًا على سكينك الحاد
الأثير المنطلق في مهمته الأخيرة نحو...

فقط ليلتفت نحوك وكأنه كان يتوقع رد فعلك الآخرق المتسرع.. فقط
ليتفاداك في هدوء، ويسدد لكمة تعرف إلى أين تذهب على مؤخرة رأسك
الواهن الواهي..

وهناك يا عصام على أرض تلك العوامة.. فوق المسجاد الذي تهلت
أطرافه.. ترى سكينك الأثير وشعاع شمسي براق ينعكس فوق نصلها
اللامع..

وكان هذا آخر ما ستراه يا عصام..

* * *

حاشية لا بد منها

إنه الظلام..

شعور عميق بأنني عدت إلى رحم أمي وتخلصت من تلك اللحظات
السوداء التي مرت بشريط حياتي..

لحظة أن أمسك أبي بتلابيبي وأنا بعدُ طفلٌ في العاشرة من عمري..
ونظر إلي بعينه السوداءتين نظرة جمدت الدماء في عروقي الصغيرة المتوردة.

- أنت ضربت أختك يا أكرم!!

- يا بابا أنا كنت...

- إنت ضربت اختك يا أكرم!!
- لا يا بابا أنا كنت بهزر معاها بس..
- ما تكذبش.. إوعى في يوم من الأيام تكون كذاب.. إوعى تقول حاجة غير اللي جوالك أبدًا.. إنت راجل.. والراجل دايما يقول الحق حتى لو غلط..
- رأسي الصغير تومى ببطء.. ويداه ترتجيان عن تلايبب قميصي الكاروه ذي الأكمام القصيرة.. عيناه المرعبتان تحملان كل حنان وقوة الدنيا وهما تلتمعان بهريقهما الأخاذ.. بريق لم ينطفئ سوى يوم أن ذهبت الروح إلى خالقها.. وكأن تلك الروح هي من كانت تمنح العينين ذاك البريق.
- شعور عميق بأنى عدت إلى رحم أمي وتخلصت من تلك اللحظات السوداء التي مرت بشريط حياتي..
- يده الحنونة تربت على كتفي.. في شرفة منزل يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر في أطراف قلعة صلاح الدين.. ويداه الأخرى تحمل كوب الشاي الساخن الأسود وكأنه خرج لتوه من جسده المتناسك ذي الكرش الصغيرة المريح منظرها للنفس..
- عيناه تلمعان بذاك البريق الساحر من خلف نظارات اقتضت أوامر الزمن أن يضعهما هناك..

- إنت بتشرب سجاير يا أكرم!!!

- يا بابا سجاير إيه هو انا..

- إنت بتشرب سجاير يا أكرم!!!

كفه العريضة تضيق على كتفي.. لمسة من تلك اللمسات التي يشعر الأب بها ولده الشاب ذي العشرين ربيعاً أنه لم يكبر بعد.. فقط تحول من

- طور الضرب بطرف العصا إلى لمس الأكاف والكلمات اللاذعة..
- أنا ما بشرش يا حاج.. دي ساعات تغاريح كده مع العيال..
- خش اندهلي على ابتسام..
- وعازي ملما في إيه طيب دلوقتي وإيه اللي دخلها في الكلام.
- روح قولها تهيبلك طرحة وجلاية من بتوعها عشان حاجة أختك أسما مش هتيجي على مقاسك.
- تطرف عيناى نحو وجهه الصارم المتحفز ثم تذهبان إلى آخر ذلك الزقاق الضيق المرصوف حيث مقام صغير بقبة خضراء زاهية..
- ولزومه إيه الكلام ده يا حاج..
- عشان أنا قولتلك قبل كده وهقولك تاني وتالت..
- يداه القابضة على منابت كفي تعطيني إشارة أمرة أن ألقت نحوه لأجد كشافات الجستانبو اللامعة القابعة خلف نظارته الزجاجية تتفحص وجهي المتلون.
- إوعى تكذب أو تزيف الحقيقة أبدًا.. اللي انت بتعمله تقوله وانت عندك الشجاعة إنك تقوله.. الغلط غلط في كل الأحوال يا بني..
- بس لما ينكشف ستر رينا عليك إوعى تنكر أو تزيف أو تلعب بالكلام.. قول الحق ولو على رقبتك.. وطول ما انت بتقول الحق عمرك ما هتخسر.. حتى لو ما كسبتش أبدًا..
- إزاي بقه يا حاج مش فاهمها دي..
- بعدين هتفهمها كويس.. بعدين..
- لراكن أعرف أن ذلك اليوم قد يأتي يا أبي.. لراكن أعرف أن ذلك اليوم

الذي اضطر فيه أن أكون حقًا ومحققًا.. لم أكسب ولم أخسر.. سوف يجي.
مظللًا علي وفارداً أجنحته السوداء القائمة.

لحظة أن خسرت حب أول فتاة..

- أنا خلاص ما بقتش قادرة يا أكرم..

- وأنا ما خبتش عليكى حاجة من أول يوم عرفنا فيه بعض يا نور..
إنتي عارفة من الأول.. أبويا ميت وامي مرضت من زعلها عليه..
أجد هياجر أستراليا وأسمها جوزها زينا.. ابن ناس وبس.. يعني
أنا اللي متكفل بأمي من الأول للآخر.. أنا ما خبتش عليكى وكنت
صريح من أول لحظة..

أزفر دخان لفافة التبغ فوق رأسي مشعث الشعر فيقف منتصبًا في هواء
الكورنيش الرطب في شهر أغسطس.. المكان الذي احتضن أجمل جلساتي
وحواديتي وكلماتي في أذن نور.. المكان الذي سأخسر فيه حب نور..

- وأنا ما قولتش إنك خبيت.. وما قولتش إن ده اللي تاعبني يا أكرم..
أنا ما بقتش قادرة أستحمل بعك عني ورميتك في قلب الشوارع
كل يوم من الفجر لنص الليل.. وفي الآخر عشان إيه.. الألفين جنيه
اللي بتقبضهم دول ما ياكلوناش فول وفلافل كل يوم يا أكرم.

- عايزاني اعمل إيه يعني..

- عايزاك تفتح مخك يا أكرم..

- قولتلك ما اعرفش يا نور.. أنا ممكن أكرمش قرشين في جيب
عسكري غليان عشان آخذ كلمتين من ظابط ولا أمين شرطة..
ممكن أستغل إن عماد صاحبي واعملي خبرين ولا سطرين في قلب
تحقيق.. لكن ما اعرفش أفبرك.. ما اعرفش اكذب وما اعرفش

اكتب غير الحقيقة.. ما اعرفش احط ايدي في دماغك اللي بيقرالي
والعب له فيها بمفتاح فرنساوي عشان افكله صواميله وابلعه اللي
انا عايز اقولهوله..

- وحد قالك إن ده كذب.. ما الصحافة طول عمرها كده.. يعني
لما صحفي يكتب (الممثل الشهير في أحضان الراقصة الفاتنة على
الدائري) ويطلع الخبر ممثل نص لبة في المسرح القومي مع راقصة في
شوروسي حد قاله إنت بتكذب!!؟

- دي مش صحافة بقه وانا ما اعرفش اشتغلها.

- ودي مش عيشة وانا ما اعرفش اعيشها..

ثم نهضت من جوارى وأحكمت تنورتها الجينز حول جسدها ودارت
به حتى واجهت الشارع.. ثم مدت يدها اليسرى قابضة على بنصرها
الأيمن مزحزحة قبدها الذهبي الذي أشرق وجهها بكامل استدارته يوم
أن لفته حول أصبعها الطري.

- لو قلعتها مش متلبسها تاني مهما حصل.

- الموضوع خلص يا أكرم.. شبكتك هتكون عندك بكرة الصبح
في الجرنان القرديجي بتاعك.. ولو أن حق التاكسي اللي هيوصلها
هيكلف أكثر من حقها.

منحتني ابتسامة قاسية ساخرة جبارة متكبرة ساخطة لائمة.. ثم منحتني
دبلتها الذهبية وسعلة خفيفة لا مقام لها في قلب هذا الليل الرطب الحزين
المختنق.. سعلة اقتلعت قلبي وألقت به لأسماك البلطي عشاء هنيئاً مريئاً..

لكن الصوت يأتي من هناك..

من قلب ذاك الظلام الوليد..

ستار يتظر من يزيحه ليعرف..

- ولد يا أكرم.

- نعم يا حاج.

- إنت قاعد عندك بتعمل إيه.

- تعبت يا حاج ونفسي ارتاح.

وجهه المتغضن المعجوز يقترب مني في الظلمة يشع نورًا.. يشق الظلمة
كسكين يشق قمائشًا أسود صانعًا منه ستارًا تمر منه الشمس إلى تلايب
الظلام المحكمة.

- لسه المعاد ما جاش يا أكرم.. وانت وراك كثير لسه ما عملتوش.

- وهعمل إيه يا حاج.. ما هي مقفلة زي الدومنه.

- لسه فاضل واحدة يا أكرم.. عذ الورق هتلاقي واحدة فاضلة لسه..

- ودي الاقيها فين يا حاج.

عيناه اللامعتان الغائرتان في وجه متغضن.. الأستاذ فهمي عبدالله
حبيب.. مدرس أول التاريخ بمدرسة الطبري الثانوية للبنين..

- لو دورت كويس هتلاقيها كانت تحت إيلك ومعاك طول الوقت..

بس انت اللي مش عايز تشوفها يا أكرم.. إنت اللي مش عايز تشوفها.

ثم منحني تلك الابتسامة الأبوية القوية.. تلك الأشعة غير المرئية..
الأشعة التي تنتقل من قلبه الكبير إلى قلبي فتغمرني علمًا ومعرفة.. ملامحه
تذوب في قلب الظلام من جديد وأنا أصرخ مناديا إياه.

- أبويا.. خليك هنا يا بابا أنا محتاجلك.

- انت محتاج تعرف.. افتح عينك عشان تعرف يا أكرم.. افتح عينك يا ولد..

- مش قادر يا بابا.. تعبت.

- افتح عينيك يا أدهم يا شرقاوي.. افتح عينيك يا أدهم يا شرقاوي..

وراح صدى عبارته مناديا ليبي باسم شهرقي أيام الجامعة يدوي في جنبات عقلي.. أدهم أرق منام كل أساتذة كليته المنكئين على صدورهم بمدحون السلطان ويخطبون وقده.. أدهم الذي كان يطبع مقالاته السرية عند صديقه الصدوق ونصفه الآخر في الجامعة.. فقط ليجد نصفه الآخر في مكتب العميد متفقا على كل بنود الخيانة والتسليم..

"قررت كلية الإعلام فصل الطالب أكرم فهمي عبد الله تأديا، وذلك لتجاوزه حدود الآداب العامة وإخلاله بتقاليد الجامعة وعدم احترامه لأساتذته".

سطران حولاني إلى أدهم الشرقاوي.. أدهم الشرقاوي الذي وضعه بدران في يد أعدائه عن طيب خاطر..!!

- يا بابا أدهم مات وشبع موت..

- أدهم له حي.. بس يا خوفي من بدران.

ثم راحت تلك السطور ترسم أمام عيني المظلمتين..

وكان من قلب الظلام ظهرت عيناها تطلقان في وجهي مئات الدفقات من الضوء..

- اقرا معايا يا أكرم..

- اقرا إيه يا ولاء..

- اقرا معا يا المكتوب..

ثم يتردد صوتها الحنون القوي في جنبات الظلام المشتت بضوء عينيها
الساحرتين..

"راح سمير يقترب من سطح الماء الرقراق محاذراً أن تزل قدماء فيسقط
على وجهه في صفحة الماء الواسعة.. إنه يحتاج أن يعرف السر.. ولولا هذا
لما اقترب من صفحة ماء في حياته إنه لا يقرب الحمام في آخر الحارة، ويفضل
الاستحمام بذلك الكوز وداخل الطشت الخاوي.. إنه لم يعتد يوماً مغاطس
البشوات ولم يجبها.. ولم يحب النيل ولا مراقبة صفحته الباردة من فوق
سور الكوبري.. لكنه لا بد أن يقترب.. إن أسفل هذا الكوبري يقبع كل
ما هو ليس مبهجاً له.. خاصة الماء.. الماء الذي يحمل له كل الخوف.. كل
الرعب.. كل الرُّهاب".

- فهمت يا أكرم..

- هيدروفوبيا يا ولاء.. هيدروفوبيا.. العوامة.. العوامة..

- سمعني وسمعهم يا أكرم..

أبي.. أمي.. أجد.. أسما.. جدي.. خالي.. عماد.. آمال سعيد.. أحمد
علام.. دكتور سليمان.. ماهر الرفاعي.. حسين مسلم.. عرفة.. علي.. كل
هؤلاء وهناك في الظلام ألف وجه ووجه..

إلا أن ذلك الوجه ذي النظارات والرأس ذات الشعر الخفيف راح
يحدق في بجنون..

إنه وجه رأته يوماً في ورقة بيضاء تحمل أسطرًا كتب فيها اسمه

إنه وجه عصام..



(٢٢)

حاشية لا بد منها

تقود سيارتك كالمجنون يا عماد في شوارع إمبابة الخاوية تقريبًا..
الشمس التي أشرقت منذ لحظات راحت تبدد تلك القطرات العالقة في
الهواء الرطب مسببة انعدامًا للرؤية فوق شوارع القاهرة الكبرى.. لكنك
ترى الآن وتعرف.. بعد أن أفاق صديق عمرك ومنحك قبة حياة أعادت
لك قليلًا من اتزانك المفقود..

تمسك هاتفك المحمول بيدك اليمنى غير عابى بناقل السرعة الذي
التصقت تروسه عند النقطة الرابعة ولن ترجع ثانية إلا بفرمان سلطاني من
حضرة الرائد عماد بك الأول..

- أنا عايز القوة هناك بسرعة يا عبد الباقي إنت سامع؟؟
- سامع يا فندم بس احنا كنا حركناها على المعادي زي ما...

- ترجع يا عبد الباقي فوراً.. أنا مش عايز كلام اهيل وتخاريف..
في بني آدم روحه بين إيدين ربنا دلوقتي، وفي ظابط شرطة مات
مسموم.. أنا مش هستنى لما حد كمان يروح عشان القوة اتحركت،
على المعادي وأنا عايزها في إمبابة.. القوة تغير تحرك على إمبابة
حالا.. مفهوم يا أمين عبد الباقي..

- مفهوم سعادتك..

الهاتف يلقي في دواصة المقعد قبل أن يكمل عبد الباقي حرف الكاف
في كلماته المرتعشة.. وعلبتك الفيات المتهالكة كادت أن تصدم عامل نظافة
معلماً، حاول أن يعبر الطريق أمام الرائد شوماخر في سيارته الفيات التي
أوشكت على الانفجار تعباً مما يفعله بها سائقها!!

فرملة حادة أمام تلك العوامات المتراسة حاجبة صفحة النيل الرائقة
في أطراف إمبابة.. لكنها لا تقوى على حجب الأبراج الشاهقة تالجال في
قلب تلك الشبورة.. ولا على حجب ذلك النادي المائي الذي أوشك على
فتح أبوابه الأنيقة لزبائنه التميزين..

شهر الطنبجة الميري المشهرة الجاهزة للإطلاق.. وعيونك القوية
الصارمة تضيق متحفزة لإطلاق النار على أول فأر يقوده حظه التعس
للمعبور من هنا..

ضربة حازمة من حذاء جلدي مقاس ٤٦؛ ذي النعل المتصلب.. تزيح
باباً خشبياً متهاكاً، وتمنح فرصة لرؤية واضحة في ضوء الشمس الذي
يتسلل من خلف خصاص خشبي عتيق.. لا أحد سوى أثاث باهت مهترئ
وخصاص خشبي مفتوح وبقايا كوب شاي لا زال ساخناً..

- أديني جيت زي ما قولت يا أكرم.. اعمل إيه بقه.. مفيش حد..

تحدث نفسك بشتين غائمتين من جديد.. ثم تقطب حاجباه مراجعًا
كلماته كأنها وحي من السماء..

- مفيش حد ازاي..

ثم ترتفع، أسك الحليقة نحو النافذة المفتوحة على شبورة كثيفة بدأت
شمس الصباح الوليدة في تبديدها.. وتلتقي عينك بذلك الانعكاس
الضوئي لمعدن براق يقبع هناك منذ ما يزيد على المائة سنة.. إنه كوبري
إمبابة.. إنه ذلك الاتصال الوحيد بين عالم الذوات القابعين في أبراج شاحنة
عالية.. وعالم الفقراء النائمين في عشش من الطين..

- أمال عاكر الحراسة فين.. والقوة فين.. وموبايلي فين؟؟!!

تمد يديك مفتشًا جيوبك في إحكام باحثًا عن محمولك المنشود.. لتذكر
أنك ألقته في قاع سيارتك الرابضة في قارعة الطريق..

تركض نحو سيارتك التي وقفت تلتقط أنفاسها وتعتلى مقود قيادتها
متناولًا محمولك الذي تفتت أجزأؤه..

تطلب رقمًا تعرف جيدًا أنه سيخبرك بما يجب أن تفعله.. طوال عمرك
يا عماد كنت تطلبه باحثًا عن الحقيقة.. ليلقيها على مسامعك بصوت ساخر
صاحب.. الآن تطلب رقمًا.. فيجيب من طرفه الآخر صوت واهن..

- عماد.. كوبري إمبابة يا عماد..

- كوبري إمبابة إزاي يا ابني إنت.. إنت مش له قايللي العوامة من
شوية..

- القصة التي كانت صفحتها مطوية في الكتاب يا عماد.. هو كان عايزنا
نعرف مسرح الجريمة الأخراني فين.. ما تناهدينش الله يكرمك وانحرك..
أنا رايع في الطريق أنا وولاء.. بسرعة يا عماد قبل ما يقتله..

تحاول إدارة السيارة ضاغظًا بكل قوتك على دواسة البترين حتى تدفع
السائل النفاذ في شرايينها العجوز.. إلا أنها أبت وتمنعت وهمدت..
- الله يلعن أبوكي.. هو أنا ناقصك يا بنت الجزمة..

تفتح الباب سرعًا.. وتصدر فرمانًا سلطانيًا صارمًا لعضلات ساقيك
أن انطلقى بكامل قوتك.. ركضًا نحو ذلك الذراع المعدني العملاق.. طوال
عمرك كانت فرماناتك سلطانية صارمة لا تتغير ولا تتبدل مهما اقتضت
الظروف.. طردت الحب من قلبك عندما عرفت أنك غير قادر على إعطاء
شيء آخر غير صوتك في مكالمة هاتفية باهتة في صباح حار.. صوت قطار
آت من الصعيد يهدر سرعًا نحو الكوبري.. رمتك لم تتحملا كل هذا من
قبل.. أصدرت فرمانًا بعد موت أبيك أن لا زواج لأن الزواج لا يصلح
مع أم لا تعرف من حطام الدنيا سواك.. أظنان من النيكوتين المتحوصل
داخل رمتك العملاقة تضغط على كل مخارج أنفاسك محطمة إياها.. لكنك
لن تقف الآن.. لا ضرب ولا تعذيب ولا تقصيل قضايا.. إن كان أبوك رحمه
الله جبارًا فأنت لست كذلك.. فليخشوه كما يحبو، الكنهم لن يخشوني إلا
لعقلي.. راکضًا بلا وعي ولا حس حتى تحولت إلى ذرة من ذرات الهواء
الشحيح تلتحم مع أخرى حتى تحملك إلى المكان..

وهناك فقط انهارت عضلاتك وأبت ألا تستمر.. هناك عندما رأيت
صديق عمرك يلف ذراعه فوق كتف فتاة خمرية مموجة الشعر تحاول جاهدة
أن تحمل جسده النحيل المتعب.. عيان غائرتان ونظارة طبية تحطمت
إحدى عدساتها وهو لا يقوى على الوقوف منتصبًا..

- حمد الله عالامة..

أنفاسك لا تقوى على التحدث.. أظنان من التبغ تفصح عن نفسها في
سعال متواصل.. ثم تقرب منه حاملاً ذراعه الأخرى فوق كتفك العريض

حتى بدا معلقاً كبير ومثيوس منتظراً ذلك الرّيح الأبدي ليأكل كبده النابتة.
- أدينني سمعت كلامك وجينا عند الكوبري.. إيه بقه اللي جاي؟؟
- خد نفسك بس.. وبص قدامك على آخر سور الكوبري وانت
تعرف..

ثم رفع رأسه محاولاً الإشارة بها نحو ذلك الجوال المعلق بحبل غليظ
بسور الكوبري المعدني حرّاً في الهواء نحو النيل، وذلك الرجل متوسط
القامة المتشح بسواد غزير يقف هناك رافعاً في يده سكيناً يلتصع نصله المعدني
كلما سقط عليه شعاع شمسي وليد، هنا قد تعرف نهاية لكل تلك الحيرة يا
عماد..

أو قد لا تعرف شيئاً..

إنها مسألة وقت..



(٢٢)

كويري إمبابة.. السادسة والنصف صباحًا

عماد يناولني هاتفه المحمول ويتركني متقلبًا وهو يشهر طبنجته الميري..

- اتصل بعبد الباقي.. قوله القوة اللي جاية من هنا تتحرك ناحية
مدخل الكويري عند رملة بولاق.. وانت ما تتحركش من مكانك
تمامًا..

ثم تقدم رافعًا عقيرته:

- إزيك يا جمال..

- عيني عليك باردة يا باشا.. عرفتني من كل المسافة دي

- ما تسيب السكينة اللي في إيلك دي وتعالى نتكلم راجل لراجل..

- لما تسيب الطبنجة هيب السكينة واقولك على كل اللي انت عايزه.

- ماشي كلامك يا جمال..

ثم انحنى في وضع قرفصاء وعيناه مثبتتان على وجه جمال المغطى بنظارة شمسية أنيقة تكمل سواد ثيابه..

- طبعاً انا مش محتاج اسألك مين اللي في الشوال ده..

- عيب يا عماد باشا.. طول عمرك راجل ذكي ولماح.. بالمناسبة البقية في حياتك في النقيب علي والأستاذ أكرم.. أنا آسف هما ما كانوا في الخطة أصلاً.. بس كل خطة وليها أضرار جانبية..

- طيب ارمي بقه السكينة تحت رجلك وخلينا نتفاهم..

عماد يسرق خطوات قصيرة وأنا أحاول مراقبة الطريق بعيني المشوشة وعبد الباقي لا يجيب.. عبد الباقي لا يجيب يا عماد..

- طبعاً سيادتك فاكر إني مخطط نفسي هنا من غير ما أتمن نفسي كويس.. القوة اللي جاية مع حضرتك مش هتوصل يا عماد باشا.. أصل العيال الصغيرة هنا في امبابة يموتوا في النبلة.. وبالذات بقه نبلة المسمار على فِرد كاوتش عربيات الحكومة.. وزمان الأمين عبد الباقي يغير الكاوتش هو والعساكر..

- طيب بما إنك بقه مخطط كل حاجة كده ومدبرها كويس.. ما تيجي نتكلم بصراحة كده، وتقولي على السؤال اللي يحيرني من أول القضية المهيبة دي ما اتفتحت..

- سؤال إيه يا عماد باشا؟؟

عماد يسرق خطوات أخرى وهو يدفع طبنجته الملقاة تحت قدميه بقدميه معاً..

- ليه يا جمال؟؟

- حضرتك سمعت عن المرحوم إبراهيم صفوت؟؟
- طبعًا.. ده انا حفظت الكتاب المنيل بتاعه من ساعة ما لقيناه مع اول جثة..

- المرحوم إبراهيم صفوت كان واحد من أهم وأنبه كتاب عصره في الخمسينات وأول الستينات يا باشا.. إبراهيم أحمد علي محمد الشهير بإبراهيم صفوت.. الراجل ده كتب في كل شيء.. في الأدب وفي السيرة وفي الرواية وفي القانون.. الراجل ده أفنى عمره في الأدب والثقافة يا باشا.. بس الكلام ده عمره ما كان يأكُل عيش.

ثم شرد بصره في الفراغ متابعًا:

- إبراهيم صفوت عمره ما كان منافق.. عمره ما كان بيعرف يمسح جوخ ولا بيعرف ياكل على موائد الأمراء والحكام يا عماد باشا.. وفي ليلة من ذات الليالي جت له فكرة عبقرية.. فكرة خلته يصحّي اخويا الكبير مسعد ويقعد معاه ساعتين يكتبوها في ورقة مسطرة.. وبعدين يقعدوا ستين ونص يكتبوها على الآلة الكاتبة.. وبعدين سنة عشان يطبعوا الألف نسخة على البالوظة لحد ما طلعت التحفة..

- إنت قصدك الكتاب الاهل الي اسمه الرُّهاب ده؟؟

نظرة غاضبة مجنونة ارتسمت على وجهه وسكين ارتفع في يده نحو الجوال المربوط..

- خلاص حَقك عليًا.. وبعدين..
- وبعدين قرر إنه يبيعه.. نَزله السوق ووزعه على بياعين الكتب والصحفيين والأزبكية وكل حتة في بر مصر.. صرف عليه كل اللي حيلته وكل اللي له في فلوس من ساعة ما اتوظف بالابتدائية لحد ما مات بحسرتة على حلمه الي ضاع..

كنت أراقب كل هذا ولا أسمع نصفه.. عماد هناك بمفرده والله وحده
يعلم ما يجبئه له هذا الشيطان..

- ولاء.

- إيه يا حبيبي.

- اطلعي حالاً.. جَري.. على قسم امبابة.. في هناك نقيب اسمه محمود
فتح الباب.. تقوليله أنا امرأة أكرم فهمي وأكرم مخطوف على كوبري
امبابة..

- أقوله أنا مين؟؟

- مش وقت رومانيات يا ولاء.. بسرعة..

انطلقت تعدو بجسدها الرقيق الخمري نائر الشعر والقوام محملة بكل
ما تتمناه أن تمر المحنة وتصبح ما طلبت منها أن تقوله كذباً.. بينما رحت
أقترب مستنداً إلى ذلك السور الجانبي محاولاً أن أبقى قريباً..

- مات أبويا وسابني أنا ومسعد لوحدنا في الدنيا.. مسعد ما سابنيش
لحظة.. اشتغل ميكانيكي وقهوجي ووقف في محل بقالة عشان
يصرف علينا ويخليني اكمل تعليمي.. وفي يوم مضلم ما طلعتلوش
شمس راح مسعد.. صحيت من النوم مالقبتلوش.. لقيته سايلي
ورقة مكتوب فيها سطرين.. افتح كتاب ابوك هتلاقي اللي انا
عايزه.. لما يجي الوقت لازم تكمله..

- وطبعاً هو كان قصده اللي عمله في عمر الفيومي ومحمود الطيب
وابنه.. الموضوع بسيط أوي ومش محتاج غير خيال واسع وتخطيط
كويس وشوية صدف برضه تسبك الحكاية..

- مش بقولك حضرتك ذكي ولماح.. فضلت قاعد مستني لما يجي

الوقت.. فضلت كثير اذاكر وادرس واقرا كتاب ابويا مرة واثني
وتلاثة وعشرة.. فضلت سنين ألفيه واخزنه.. استغنيت عن حلمي
إني اكمل في كلية علوم واشتغلت سكرتير بالبخص في مصام
أدوية.. ركبت كل السلالم وبوست كل الكراسي لحد ما وصلت
للي وصلته.. بقى معايا فلوس كثير، ومعايا اتصالات كثير، ومعايا
برضه نسخ كثير.. الحلم قرب يتحقق وكان لازم يتحقق.

- تسمحلي بقه اولع سيجارة عشان الكلام شكله هيطول،

ثم رفع عماد يديه في الهواء ومدها إلى جيب قميصه وأخرج لفافة نبغ
مكرمشة أشعلها بقداحته الخربة التي استجابت من أول مرة!!

- غريبة..

- إيه اللي غريبة يا باشا.. الحكاية دي بتكرر كل يوم وكل ساعة..

- لا أنا مش بتكلم عن الحكاية أنا ياما سمعت أوسخ من كده بكثير..
أنا بتكلم على الولاة.. أول مرة تولع من أول تكة كده.. غريبة!!

ثم نفث دخانًا كثيفًا يليق بصدر تفتحت جيوبه من الركض لمسافة
كيلومتر في هذا الجرح الخائق.

- كمل يا جمال أنا سامعك.

- الباقي انت تعرفه كويس يا عماد باشا.

- طيب وعصام إيه علاقته بالموضوع؟

- الفلوس بتلوي دماغ أي حد يا عماد باشا.. وعصام كان عايز فلوس
ويس.. عصام أخته عندها سرطان دم وفي مرحلة متقدمة جدًا
ولازمها فلوس.. أبوه عينيه الاتنين بيروحوا من المية البيضاء ولازم
فلوس.. رسالة الدكتوراه مش هتمول عشان عايزة فلوس.. عصام

ذكي الصراحة وخبرته حلوة أوي في السموم النباتية.. وأنا خبرتي
في السموم الكيماوية أكثر من ممتازة.. البقية بقه كانوا مجرد عساكر في
لوح شطرنج.. حلمي.. العسكري بتاع شندويل اللي جاب القهوة
للأستاذ أكرم ولعلي باشا.. كل دول ولا حاجة.. عشان كده أول ما
الحدوة خلصت كان لازم يخلصوا هما كمان..

- طيب ما دام إنت وعصام عارفين إنتو هتعملوا إيه كويس أوي كده
وناصحين أوي.. اتسمرتوا على بعض ليه زي أي جوز هجامين
ضربوا بعض بمطاوي وهما بيتقاسموا؟؟!!

عدل من وضع نظارته ومسح عرقًا غزيرًا يسيل على عينه، وسكينه
تقرب من الحبل حتى كادت تمزقه.

- عصام هو اللي ابتدا.. في يوم صحيت احلق دقني.. وفي وسط
الحلاقة إيدي اترعشت فجرحتها.. قعدت ساعتين أقفل الجرح رغم
إنه كان بسيط أوي.. يومها بس شكيت ورحت حللت واكتشفت
كميات دوا زيادة سيولة الدم اللي بيرمهولي في دمي كل مرة بنتقابل
فيها.. نفس اللي عمله طبق الأصل مع البت الي كان خاطبها.. تخيل
يا باشا واحدة عندها لويس بار وبتاخذ دوا سيولة.. عشان كده لما
حك دقنها بمبرد الضوافر نزفت..

مبرد أظافر.. إذن دكور علام كان عبقرًا أكثر من اللازم حين قال إن
مبرد الأظافر لا يصنع جروحًا بهذا الشكل.. فقط لو أضاف جرعات دواء
الجلطة لكانت الصورة مكتملة!!

- فاطمًا قوت تتغدى بيه قبل ما يتعشى بيك.

- ولو إن التعبير ده قديم جدًا يا حضرة الطابط.. بس تقدر تقول إن
حاجة شبه كده كانت لازم تحصل.

- طيب وما خلصتش ليه وخلصت نفسك واختفيت؟

ضحكة ساخرة متوترة مع تلك النظرة الساخرة الدائعة في عيني ذا.. الرجل.. كنت أتصور كيف طلب بكل برود أن يحضروا له دخانًا وقهوة، وعلى وجهه تلك النظرة الساخرة المستفزة.. لو كنت محققًا للكلمة على أنه حتى يسيل كل دمه المحمل بكرات الدم المجنونة وكرات الدم المختلة..!!

- الهدف ما كانش القتل في حد ذاته يا عماد بيه.. وإلا كان زمانكم بتجروا ورايا لحد ما تبقى وزير داخلية.. الهدف كان إبراهيم صفوت.. إبراهيم صفوت وبس.

- وهدفك اتحقق.. والجرايد بقالها يومين بتكتب عن الكتاب وعن إبراهيم صفوت.. بس مش غريبة شوية إن شهرة الموضوع ما بقتش للكتاب قد ما بقت للمقتل نفسه!!

- كلها كام يوم والناس متجري تدور على الكتاب الملعون.. ومش بعيد يفردوله ملاحق وصفحات تتكلم عنه وعن الفنون الأدبية المجهولة اللي فيه.. والناس هتنسى اللي اتقتلوا واللي ماتوا واللي اتقبض عليهم يا عماد باشا.. ده انا بقول عليك ذكي ولماح.. إنت مش من مصر ولا إيه!!

ثم انعقد حاجباه في سخرية، ونظر في اتجاهي وأطلق ضحكته المتوترة الساخرة.

- سبحانه الله.. ده إحنا ضاعفالك الجرعة يا أخي، وبرضه له زي القطط بسبع أرواح.

- وتسعة كمان وحياتك زي الأمريكان.. على فكرة.. كل اللي انت قولته ده أي كلام ومفيش حاجة منه هتحصل.. ببساطة كده أنا

مش هسيك في حالك من لحظة ما يتقبض عليك لحد ما تترمي
في السجن.. هنشر حكايتك المختلة وجنانك الأزلي في كل مكان..
جرايد.. مدونات.. نت.. صحيح كتاب المرحوم ابوك هيسمع
يومين ولا سنتين وبعدين خلاص.. بآخ.. إنت في مصر يا جمال بيه..
مصر اللي الموضة فيها بتيجي وتخلص أسرع من طبق فول على عربية
معفنة..

التمعت عيناه ببريق مجنون ساخر.. وراح ينقل بصره بيني وبين عماد ثم
قال متابعًا:

- أنا فكرت في كلام الأستاذ أكرم كويس أوي.. وميزة الخطة المرنة إنها
قابلة للتغيير في لحظة..

ثم رفع السكين الحادة الرفيعة نحو رقبته.. وعماد يرفع طبنجته الميري
مستندًا إلى سور الكوبري ويخبئها خلف ظهره ناظرًا نحوي بطرف عينه
مرسلًا بإشارته التي لا يفهمها سواي أن (تابع إلهائه).

- أظن كده التعديل عجبك يا أستاذ أكرم.. كده الموضوع هيبقى
صحفيًا أسخن وأجهد.. ولو مارضتش تكتب عنه غيرك كتير هيكبتوا
وغيرك كتير هيعرفوا.. وهيحصل فيك زي اللي حصل فيك من كام
يوم لما ركبت الشرف، وعملت فيها خايف على صاحبك الوحيد..
الأحلام مافيهاش أصحاب يا أستاذ أكرم.. الأحلام ملاكي بس..
على فكرة يا سيادة الرائد أنا شايفك كويس.. بس الطلقة قبل ما
تتحرك من الماسورة هكون انا دبحت نفسي من الوريد للوريد..
وهيكون عصام في قلب النيل يجهز نفسه عشان القراميط تتعشى..
على فكرة أنا كمان بعرف ألهي اللي قدامي كويس.. حتى شوف..

ثم أمسك الحبل بيده ورفعته فتعزق والجوال يهوي مندفعًا نحو صفحة

النيل.. فمليت جسدي حتى كدت أسقط خلفه صارخًا، بينما عماد يخرم
تلك الطلقة من ماسورة طبنجته التي تهتز في يده لتصيب ذراع جمال المسكين،
بالمسكين.

لكن المسكين لم تسقط.. ولم تتوقف عن أداء وظيفتها التي سبكت
وسنت من أجلها.. والذي سقط هي دماء جمال..
عماد يركض مندفعًا نحوه محاولًا إمساك جسده..

- ليه كده يا جمال؟؟ ليه؟؟

- سلمولي على الدكتور يا حضرة الظابط..

ثم منح عماد آخر ابتسامة ساخرة تحتل ركن فمه المتخشب وجعظت
عيناه فاقدة كل ما تحتويه من حياة..

بينما هنا فقط سمعت صوت سارينة الشرطة تدوي في مدخل الكوبري..
إن الشرطة كعادتها الحميدة أنت بعد أن انتهى كل شيء.. انتهى للأبد.
وكان هذا آخر ما سمعته في هذا اليوم..

* * *

(٢٣)

مديرية الأمن .. بعد شهر من الحادثة .. التاسعة صباحًا
(هذا الجزء حكاه لي عماد بعد يومين من حدوثه .. لذا سأحكيه كما هو ..
مع قليل من البهارات!)

عماد يقف عاقدًا ذراعيه أمام نافذة مكتبه الزجاجية الكبيرة .. وعيناه
تراقبان الطريق أمام مديرية الأمن في شارع بورسعيد .. الحركة السارية
والشارع المزدحم الذي أوشك على الإغلاق .. ودقات تأتي من الباب
مكتومة بلا صوت يذكر حتى لتشعر أنها قادمة من الشارع المزدحم
الصخب ..

- ادخل يا مروان.

بلا أي التفات ولا أي معرفة لمن بالباب .. فقط من صوت الدقات

المتظمة حتى لشعر أن عماد قد وضع جهازًا صغيرًا في رأسه الكبير بحال
أصوات الدقات وتكنيك استخدامهما فوق الباب الخشبي فيخرج له نتيجة
صحيحة بنسبة تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة وتسعين من الألف!!!

ضابط شاب آخر يرتدي بذلة رسمية، وكأنها خيطة بإتقان فوق جسد..
الممشوق المنتصب.

- صباح الخير معالي الباشا.. أنا أول ما وصلتني الإشارة جيت جري.

- إنت بتخدم فين اليومين دول يا مروان؟

- في قسم التزهة سعادتك.

- يعني خدمة مريحة حبتين.. ما اعرفش الشغل معانا هيقى مناسب
ولا لا؟

ثم التفت إلى الشاب الواقف منتصبًا، وفي عينيه الخضراوتين بريق يكاد
يعمّ ضوءًا ساطعًا يُعَمِّي الأبصار في قلب الغرفة الضيقة.

- سعادتك أنا مش فاهم حاجة.

- لا؛ لو مش فاهم يا سيادة النقيب نبعت نجيب حد تاني يبقى فاهم
بقه..

- إنت بتكلم بجدة يا سيادة الرائد؟؟!!

- أنا عمري هزرت معاك قبل كده يا مروان!!

ورسم على وجهه تعبيرًا غاضبًا كاد أن يسقط له قلب الشاب بين قدميه
الكبيرتين المستقيمتين.. وعماد يقترب منه واضعًا يده فوق كتفه المزين
بنجمتين تلمعان في ضوء النهار الساطع من شمس يونيو الحارة..

- وبعدين أنا اترقيت ابارح يا مروان.. بقيت مقدم عقبال عندك.

- مبروك يا فندم.. سيادتك تستحقها والله.
- طيب بطل بكش ياد.. وما تنساش تعدي على الحركة عشان تستلم قرار نقلك.. هتبقى معانا في المباحث الجنائية من بكرة.. مبروك يا سيادة النقيب.
- انتصب مروان ضارباً تحية عسكرية تملؤها الفرحة العارمة.. حتى أن أصابع يده المستقيمة الطويلة ارتعشت وهي تحاول الاعتدال أكثر من طاقتها في تحيته العسكرية.. بينما دار عماد حول مكتبه، وجلس خلفه واضعاً عينيه وسط الأوراق التي يريد توقيعها منذ أن وطئت قدماه رصيف المديرية.. وهنا عرف مروان أن الأمر قد انتهى وحان وقت العمل.. وهمّ بالانصراف حتى وصل إلى الباب المغلق.. وقبل أن يفتحه...
- سيادتك كنت بتقولي سيادة ال.. إيه؟؟
- سيادة النقيب يا مروان..
- توقف الشاب حائراً وعماد لا زال يطالع أوراقه ويصمها بتوقيعه الصلب القصير.. ثم رفع رأسه ليجد الفتى لم يبرح مكانه..
- إيه يا مروان في إيه؟؟ إنت هتفضل واقفلي كده طول اليوم.. عندي شغل مش فاضيلك.
- سيادتك أكيد اتلخبطت.. أنا الملازم أول مروان صالح حضرتك مش...
- آه.. إنت كنت الملازم أول لحد النهاردة الساعة ٨ الصبح.. لحد ما سيادة الوزير مضى القرار.
- ثم منحه ابتسامة واسعة أشعلت بريق عيني الفتى الخضراوتين من جديد.

- أنا متشكر أوي يا عماد باشا.. أنا مش عارف اقولك إيه.
- مش عايزك لا تقول ولا تعيد.. انصرف بقه خيلنا نشوف شغلنا بدل ما والله اغير رأيي والقرار يبقى نقل للوائح من بكرة.
- وكانها هو قرارك أنت يا عماد.. وكأنها أنت من اختار مروان كي يجلس في هذا المكتب الضيق يقاسي من جهاز التكيف الخرب، ودخان التبغ ينهش في فضاء الغرفة بلا افتكالك لأن الشفاط الصغير لم يعد يعمل جيداً..
- أنت فقط ترشح ولا تختار يا عماد.. لا تظن أن ترفيتك الاستثنائية قد غيرت من الأمر في شيء.. أنت لا زلت كما أنت.. كيفما جعلوك فانت جعلت.. وستظل كذلك حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً..
- تفرغ من أوراقك وتحاول أن تبدأ في شرب قهوتك قليلة السكر ممسكاً بأول صحيفة وقعت تحت يديك.. إنها الجريدة التي أعمل بها.. أنا الفتى الذي أمضى شهراً يعمل من بيته، مرسلاً مقالاته النارية عن كل ما حدث في قضية الفوبيا حتى إغلاقتها.. الفتى الذي خلق عقله ليصبح عقل محقق شرطة وليس صحفي حوادث في جريدة محدودة الشهرة كتلك الجريدة.. لكن عماد يعقد حاجبيه كعادته.. إن المقال رديء نوعاً، وليس كمقالات أكرم كما تتصفح عيناه المرهقتان من كثرة القراءة.. لقد قرأ عماد كثيراً في هذا الشهر عن كل ما كتب عن الحادثة.. قرأ كل ما كتبه وكل ما كتبه غيري حتى بدأ يشك في قوة إبصاره وفي كفاءة عينيه!!
- يرن جرس الهاتف الداخلي..
- صباح الخير يا عماد.
- صباح الخير سعادتك.
- أنت في مكتبك لحذ امتي.. كنت عايز اعدي عليك ضروري بعد عشر دقائق..

رئيس مباحث العاصمة يطلب المرور بمكتبه شخصيًا!! ولماذا لم يستدعه
كعادته إلى مكتبه الأنقى حيث التكيف يعمل بكامل كفاءته.

- سعادتك تنورني أنا في انتظارك..

- طيب اطلبنا فهوة من البن بتاعك على ما اجيلك..

ثم أغلق الخط وعماد لا زال ممسكًا بساعة الهاتف معلقًا في ذلك المقعد
الوثير الذي أحضروه بدلًا من المقعد المتهالك الذي كاد أن يصيبه بالديك
يومًا!!

- بيومي.. يا بيومي..

تدلف القاطرة البشرية من الباب.

- هات لي اتنين قهوة عالريجة من البن بتاعي، وابعت حدّ يجيبلي علبة
سجاير..

- أوامر جنابك يا باشا..

عشر دقائق تمرّ كعشر سنين.. كعشر قرون فوق رأس عماد.. ذهب
بيومي وعاد بالقهوة وبال دخان، ورئيس المباحث لم يأت بعد!!

طرقات صاخبة وأصوات أصخب في الخارج.. إنها طرقات سيادة
العميد رئيس المباحث الذي يحب دائمًا أن يدّعي البساطة والعفوية، ويلقي
بدعاباته السمجة على الجميع حتى يضحكوا له مداهنين - وهو يعرف لك
جيدًا - فترتوي نفسه العطشى من نهر القبول الاجتماعي الزائف حتى ولو
كان من مرؤوسيه البؤساء!!

- صباح الخير يا باشا.. ده أنا في عيد النهاردة..

- طب اقعد وما ترغيش كثير..

ثم يجلس محاولاً ادعاء البساطة - وهو يضع ساقه فوق بعضهما - و عماد
كعادته جالس على أطراف المقاعد في حضرة رؤوسائه ذوي الرتب المرتفعة
الشاهقة!!

- حلوة القهوة دي.. ابقى ابعثلي شوية بنّ على المكتب يا اخي..
- عينيا يا فندم.. إحنا نبعت البنّ باللي بيعمله معاليك..
- طيب.. أنا هخش في الموضوع عشان ما نضيعش وقت.
- ثم يضع فنجان القهوة الخزفي فوق الطاولة، ويموّل وجهه ناحية عماد
متفحصاً، وكأن عماد قد تحول إلى لص بيوت عتيد يخضع لتحقيق شرس
مع ضابط محنك.
- طبعاً ألف مبروك على الترقية.. بس للأسف الترقية ما جاتش
لوحدها كده..
- مجهودات سعادتك يا باشا هي اللي بتحرك الصخر والله.
- الله ياخدك يا شيخ.. سيبني اكمل كلمتين على بعض من غير نفاق
يا جدع...
- معاليك عارف أنا بحبك ازاي من غير أي نفاق.
- طب اسكت بقه شوية لحد ما اكمل.
- يضع عماد كفه على فمه باسماً، فيطلق سيادة العميد ضحكة عصبية
أرادها مرحلة ففشلت مراكز إحساسه التالفة في جعلها كما أراد.
- بص يا عماد.. أنا عارف إن اللي هقوله ده ممكن يدايقك ويمكن
يفرحك.. بس ده اللي حصل وبقى واقع دلوقتي..
- سيادتك سيّبت مفاصلي بها فيه الكفاية والله..

- بلاش الكلام الثقيل ده.. أنا مش جاي ابلغك بفصلك من الخدمة يعني.. ده يا دوب حته نقل صغير يعني..
- نقل!! نقل فين سعادتك!!؟
- تنحج محرجًا، وبذل وضع ساقه القصيرتين، وراح يتأمل الغرفة وكأنه لا يقوى على لفظها..
- المخدرات..
- وأنا هعمل إيه في المخدرات سعادتك!!؟
- هتعمل اللي كنت بتعمله هنا يا عماد.. سيادة الوزير عايزك هناك.. هناك هنتفيد منك أكثر..
- بس ساعاتك أنا ما طلبتش نقلي أصلاً.. ومش شايف نفسي هناك نهائي.. وبعدين سيادة الوزير يعرف إيه عني وعن شغلي هنا عشان يعرف انا هنفع في المخدرات ولا لا!!؟
- يفك انعقاد ساقه ويهجم بنصفه العلوي نحو عماد وفي عينه نظرة حاول أن يجعلها غاضبة حاسمة..
- جرى إيه يا عماد.. إحنا مش شغالين في بنك يا بني.. إحنا مطرح ما يخطونا ننحط واحنا ساكتين.. فاهم يا عماد..
- اللي افهمه سعادتك إننا بني آدمين مش عساكر شطرنج..
- يبقى لازم ترجع قسم الدرب الاحمر وتعيد من الأول عشان فهمك يتحسن شوية..
- النقل ده مش طيعي سعادتك.. الظاهر إني متوصي عليًا من فوق بقه!!؟

- ولا هرّة عليك، وافهم اللي انت عايز تفهمه.. بس لازم تعرف إيد
في حاجات كتير ما بقتش زي الأول يا عماد.. ولازم نوطي راسنا
للريح لحدّ ما تعدي وتريجنا..
- ثم نهض وأحكم إغلاق سترته الأنيقة المصنوعة من كتان هندي رقيق
فوق قميص لبنيّ زاهٍ.
- بكرة الصبح هتلم شغلك للنقيب مروان.. وتروح تستلم من
العقيد عبد البرّ في المكافحة.. خلاص مش عايز كلام كتير يا عماد.
- سيادة العميد.. أنا كنت عايز حضرتك في موضوع شخصي شويتين
- خير يا عماد.
- تركه عماد لدقيقة نحو مكتبه الخشبي المثقّق، ورفع نسخة من كتاب
صدئ مهترئ له غلاف جلدي قديم.. وتناول ورقة مطوية قدمها للرئيس
المباحث ثم عقد كفيه خلف ظهره ناصبًا قامته مصوّبًا عينيه نحو الحائط
البالي الذي تشقّق بياضه الأصفر الكئيب..
- إيه ده يا عماد؟؟ فيها إيه الورقة دي؟؟
- سعادتك أنا بقالي أسبوعين مش عارف افاتحك في الموضوع ده
ازاي.. بس الظاهر إن قرار النقل ده كان علامة من عند ربنا عشان
تقولي إن اللي قررته صح.
- برضه ما فهمتش في إيه في الورقة دي!!؟
- دمعتان بدأتا تغزوان تلکم العينين القويتين.. ورعشة تجري في جسد
عماد كأنها أحدهم يمزق ساقيه بسكين غير مشحوذ عتيق.. وقلبه الذي كان
جامدًا يومًا قرر العصيان..

- أنا تعبت يا فندم بصراحة وعائز ارتاح..
- تعبت من إيه يا ولد.. إنت لسه ما كملتش اربعين سنة..
- لو فضلت كده يا فندم مش هكملهم..
- الورقة دي فيها إيه يا عماد؟؟
- ماذا فعلت يا عماد؟؟!! وجهك الذي ضجر من جموده.. وعيناك اللتان
ضجرتا من حبس العبرات الساخنة.. كل هذا ألقيته فوق رصيف وجه
سيادة العميد وأنت تحاول استجماع نفسك.. بماذا فكرت يا عماد وأي رياح
جعلتك تخني رأسك فلا تقيمها إلا..
- دي استقالتني يا فندم.
- نعم يا اخويا..!!
- استقالتني يا فندم.. دي استقالة من الخدمة في وزارة الداخلية يا
فندم..

* * *

(٢٤)

كافيتريا شهيرة بالزمالك.. بعد خمسة أسابيع من الحادثة.. الرابعة
عصرًا..

من جديد وكأن شيئًا لم يتغير.. أجلس في شرفة الكافيتريا الشهيرة
المطلّة على النيل.. نفس ذلك المكان الاستراتيجي البعيد عن كل معارفي
وعن كل دوائر لقاءاتي المعتادة.. مكان لطيف يمكن أن تحصل فيه على نسمة
هراء لطيفة في ليل يونيو حيث الصيف طفل صغير بدأ يتعلم المشي ويواصل
بممارسة هوايته الأبدية في بعثرة بواقى الربيع حتى يتعلم كيف يخنق أرواحنا
بحرّه ورطوبته..!!

للمرة الأولى أجلس هنا بلا تبغ.. بلا غليون وبلا لفافات وبلا أي
مشتقات النيكوتين.. أشرب قهوة داكنة ثقيلة كالظلام الذي غرقت فيه..
الظلام الذي لم تخرج روحي الثقيلة منه بعد.. لا زالت هناك تذكرني به
كل ليلة.. عندما أغلق عيني وأغرق فيه من جديد.. نفس الوجوه.. نفس

الكلام.. نفس الكلمات المكتوبة في الهواء، وصوت ولاء المريح يلقي بها على سامعي..

نفس كلمات أبي الرصينة الواثقة القوية..

"أدهم لسه حي.. بس يا خوفي من بدران"

أبي كان يعرف كل شيء.. إن أبي "نكرومانسر" كتب محترف.. إن "النكرومانسر" يمزق الجثث ليعرف أسرارها.. بينما أبي رحمه الله مزق كل كتاب قابله ليعرف أسرار هذه الدنيا.. أبي يعرف كل شيء..

صوت أزيز محمولي الذكي.. صورة ولاء وهي تخرج لسانها للكاميرا في عبث وبريق عينيها يطغى على فلاش الكاميرا.. عندما اقتنيت هذا الهاتف بالتقسيط قررت أن أضع صورًا لكل من أحفظ أرقامهم على سبيل التطور أو على سبيل الحذقة..

- أبوه يا قطة..

- إيه يا كيمو.. إنت فين كده وبتعمل إيه؟

- ده اعتبره تحقيق ولا اعتبره قلق؟!!

- اعتبره زي ما تعتبره بقه.. ولو ما قولتليش إنت فين حالي هروح المديرية لعماد باشا وابلغ عنك وهما هيعرفوا يجيبوك..

- لا ما هو انتي مش هتلاقيه في المديرية.. تعرفي عنوان مكافحة المخدرات؟!!

- مكافحة المخدرات؟! هو اللي بيعمل حاجة عدلة في البلد اليومين دول بيتنقل ولا إيه؟!!

- سيك انتي.. ماهر الرفاعي عامل إيه دلوقتي؟؟

- ما هو أنا بكلمك عشان كده..
ثم صمتت قليلاً.. قليل كافٍ أن يحرق أذني بأنفاسها المتلاحقة.. ماذا
فعلت يا فتاة؟؟

- ولاء.. إنتي عملتي إيه في الباشا؟؟
- خلصت منه..

- إيه ضربته بسكينة ولا سمنيه إنتي كمان؟؟!!
- لا؛ ضربته آخر قلم على كرامته العزيزة.. نشرت التحقيق بتاعك
على الموقع زي ما هو.. ورميت الاستقالة في وشه.

- وليه عملتي كده يا ولاء؟؟ليه..

- عشان أنا عايزة اعمل كده يا أكرم.. أنا كنت مستنية اللحظة
المناسبة بس.. على فكرة يا حبيبي.. ماهر الرفاعي مش هيساعك
ولا هيعديلك اللي انت عملته بالساهل.. ده بكرة هينشر تكذيب
واعذار لأهل البلطيمي.. الانتخابات جاية وهو معندوش استعداد
ينحسر الناس دي..

- دي حاجة انا عارفها كويس يا ولاء.. بالمناسبة هو بكرة إيه؟؟

- بكرة الخميس.. اشمعني؟؟

رحت أتحنح وأخرج أصواتاً غريبة من بين شفتي.. كيف أقوى على ما
سأقوله لك يا فتاة.. منذ شهر كامل ونحن لا نتحدث في هذا الأمر.. منذ
ذلك اليوم في الجريدة وأنا لا أتحرك قيد أنملة.. وأنت لا تطلبين تحركي.. ما
أجملك يا فتاة.. لم يجيني أحد مثلك سوى أبي وأمي.. حتى حب أبي وأمي
هو حب لا إرادي يزرع في قلب كل أب وأم.. بينما أنت زرعتي حبي في
قلبك غصباً وقوة، وظللت لا تملّين ذبول أوراقه في انتظار برعم يفتح

بزهرة يانعة.. وها هو البرعم يتفتح يا حبيتي.. اليوم سأقولها بملء فمي،
ولن أخاف.. لن أخاف.

- عشان بكرة هاجي أنا وعماد عندكم البيت.. هي ماما بتبقى صاحبة
الساعة ثمانية كده.. آه ثمانية هتبقى كويسة.. صح؟!.. وبالمرة بقه
جهزولنا مصحفين عشان ما نقعدش نفتكر في الفاتحة وشكلنا يبقى
وحش.. ولاء..

صمت.. لا شيء.. فقط صوت أنفاسها المتهدجة..

- ولاء ردي عليا يا بت انتي..

- أكرم..

- نعم يا حبيتي..

- بحبك.. بحبك حتى لو باب القبول اتسد.. وهتخيل صدى صوتي
ياخذ كلمتي ويرجع معاه الرد..

ثم أغلقت الخط.. أغلقت ذلك الليل المنهمر من قلبها نحوي ليزيح
من طريقه كل شيء.. يومًا ما كنت مهزومًا خاسرًا يا أبي.. يوم أن فعلت ما
علمتني إياه لم أكب شيئًا يا أبي.. ولكني لست خاسرًا.. لست خاسرًا يا
أستاذ فهمي..

- أكرم.. دي حاجة غريبة فعلاً!!

أرفع رأسي عن المحمول الذي ضبطت نفسي أراقب شاشته لأجد سيدة
في غاية الأناقة.. ترتدي ثيابًا صيفية بسيطة، وذلك الشال القطني الخفيف
علامتها المميزة يلتف حول رقبتها في أناقة.. السيدة التي أنقذت حياتي منذ
خمسة أسابيع ببراعتها التي لم أر مثلها من قبل..

- تقريباً دي ثاني مرة آجي هنا من شهرين.. وثاني مرة أقابلك هنا
برضه.. very strange

- ولا strange ولا حاجة يا دكتور.. الموضوع بس إن نفس الوقت
اللي بحس إني مخنوق ومحتاج ابعده عن كل الناس واريح أعصابي
شوية بيبقى موافق بالضبط بقة معاد زيارتك الشهرية للمكان
الظاهر..

أطلقت ضحككتها القصيرة المجلجلة، ثم جلست مقابلة لي على الطاولة
المفضلة في ركن المكان القصي.. رفعت يديها في رقة تطلب قهوتها من
شاب قصير بدين يجرجر الكثير من الدهون.. خفيف الحركة بشكل مثير
للهشة.. كأنك ترى فرس نهر يلعب في خط وسط برشلونة!!

- أنا كنت هكلمك النهاردة.. بس في نص اليوم كان عندي some
issues to finish

- رب صدفة خير من ألف معاد يا دكتور.. أنا قدامك آهو.

- المثل ده أنا بحبه جداً.. anyway .. أنا مبسوفة جداً من التحقيق
بتاعك اللي انتشر النهاردة على الـ website بتاع الجرنان.. حتى
لو كانوا شالوه بعد ساعة وكذبوا الموضوع ونشروا اعتذار.. أول
مرة يا أكرم أقرأ Political Crime Analysis في مصر.. تحليلك
للموضوع كان very brilliant..

- آهو أنا بقة ما اعرفش المصطلح ده خالص يا دكتور.. بس اللي اعرفه
إن ورا كل حكاية من حكايات القتل دول حكاية تانية.. مش لازم
يكون الموضوع بيتكلم عن الجريمة في حد ذاتها.. بس الناس دي
هي أنا وانت و كل اللي قاعدين دول.. بس مع الفرق إنهم مش
لاقيين حق الهدوم اللطيفة وكوباية القهوة النظيفة ولا حق القعدة

في مكان لطيف زي اللي احنا قاعدين فيه ده..

- ده انت leftist بقه وانا ما اعرفش..

- مش شرط ابقى يساري ولا اشتراكي يا دكتور عشان افهم اللي بيحصل حواليا يعني.. بس اكيد مش هو ده الموضوع اللي كتتي عايزة تكلميني علشان؟

الشاب البدين الخفيف الحركة يضع القهوة السوداء أمامها في براعة وهدوء ويحني رأسه محيياً ثم ينطلق.. فتناولت كيس سكر بني وراحت تقلبه داخل الكوب في هدوء ورأسها منكس نوعاً.. هل يبدو لي أن هذه المرأة الحديدية تبحث عن كلمات تقولها أم أن آثار الأدوية تثقل رأسي وتصنع خيالات في تلافيف غمي!!

- دكتورة آمال!!

- الصراحة يا أكرم أنا كنت جاية اسلم عليك عشان مافرة.

- مسافرة فين يا دكتور..

- رابحة ال states بكرة الضهر.

- زيارة ولا شغل ولا سياحة؟

- لا ده ولا ده يا أكرم.. أنا رابحة استقر.

كنت أرشف من قدح القهوة فما إن سمعت حروف كلمتها الأخيرة حتى كدت أرش القهوة في وجهها من فرط دهشتي لولا أن كتمت أنفاسي وبلعت القهوة ورحت أسعل حتى كدت أزهدق روحي في حضرتها.. وبعد أن ناولتني كوب ماء وراحت تضحك في دهشة ضحكاتها القصيرة المجلجلة..

- أنا مش فاهم حاجة يا دكتور.. اسمحيلي يعني أنا قولت مصر كلها ممكن تهاجر وتفضي من ناسها إلا انت.. وإذا كنتي راجعة تستقري هناك طيب إيه اللي كان رجلك من خمس سنين.. ولزمت إيه الجهاد بقه والنضال والكلام اللي بتعبوا بيه أخاخ الناس كل يوم في التلفزيون!!

- بس بس.. Hold on.. إنت مالك اتحولت كده ليه.. أولاً أنا لما رجعت.. رجعت عشان في دور مهم كنت لازم أآديه في بلدي.. ما كتش راجعة لا عشان نضال ولا جهاد.. كنت راجعة اساعد بلدي اللي اتولدت فيها.. وحتى لما قامت الثورة وقعدنا مع بعض عشان نعمل حزب ممكن يساعد البلد برضه كان عشان أنا عايزة اساعد بلدي.. بس يا أكرم nothing changed.. كل حاجة زي ما هي، وأسوأ..

- ده واجب يا دكتور مش مساعدة.. إنتي مش جاية هنا عشان تتفضلي على البلد دي بحاجة.. ومش عشان أول ما تلاقي الدنيا بقت صعبة شويتين تسيبها وتهربي..

- أكرم.. إنت لو أي حد تاني ويكلمني كده أنا كنت عرفت أوقفه عند حده كويس أوي.. هتناقش معايا Like a civilized person يبقى اوك.. هتكلم بطريقة مقدمي برامج التوك شو يبقى اقوم احسن وsee you soon

ثم رفعت رشفة كبيرة ساخنة من كوب قهوتها.. حتى أنها أسفطت قطرات على شالها القطني الأبيض، فناولتها ذلك المتديل الملقى بجوار كوبها، وراحت تنظف القطرات ثم تابعت:

- I'm not escaping يا أكرم.. أنا في الأول وفي الآخر ست بتاعت

علم يا أكرم مش قائد سياسي ولا زعيم قومي .. العلم يا أكرم زي
الزراع .. needs the suitable atmosphere .. عشان يكبر .. وده
مش موجود يا أكرم وقدامه كتير على ما يبقى موجود .. وانا عندي
التزامات كتير قدام علمي يا أكرم .. أنا لسه ما وصلتش للمرحلة اللي
اقعد فيها في شاليه في الساحل الشمالي أمدد رجلي في شراب صوف
في الشمس وابقى consultant كبيرة ياخدو رأيي في البوليس .. أنا
لسه ما كملتش خمسين سنة يا أكرم .. ولسه قدامي حاجات كتيرة
لازم اعملها ..

- وده حضرتك مش هتعر في تعليمه هنا؟؟

- السؤال ده ما يطلعش من واحد زيك انت يا أكرم .. وبعدين إنت
شايف بنفسك .. واحد physico قتل سبعة عشان عنده حلم إن
ابوه يبقى مشهور حتى ولو بالدم يا أكرم .. والثاني عشان ما عرفش
يعمل ال PhD ويعرف يعالج الناس .. باع نفسه بالفلوس اللي جاية
ليه من قتل الناس .. what a logic يعني !! إنت عايز تقوللي إن في
جو زي ده أنا ممكن اركز في علم أو في تطوير .. sorry .. this is
nonsense

ومن قال لك يا دكتورة أن منطقك أنت منطق سليم!! لو كان في هذا
البلد فقر وجنون وفساد وقلة احترام .. فحدثيني من فضلك عن البلد التي
جئت منها وأخبريني من فضلك .. هل يعطونك الاحترام الكافي هناك؟؟
وإن أعطوك هذا الاحترام على مفضض لأنك تنفعيهم بعلمك .. فلن يعطوك
إياه وأنت تتجولين مع ابنك في الشارع أو داخل الأسواق .. حتى إن كنت
تحمليهم جنسيتهم يا سيدتي .. أنت عربية مصرية ولو قررت أن تنسي ذلك ..
أنت عربية مصرية ولو نسيت يومًا أنك كذلك ..

إذا أردت أن تعمل فلا بد أن تفعل يا دكتورة.. العمل مقابل الله ..
العمل مقابل الفعل..

- طيب والحزب والناس اللي صدقتك؟!!

- الحزب موجود يا أكرم.. بيا أو من غيري موجود.. أنا مجرد اسم
مجرد فرد.. بس برضه إنت شايف إن ده جو ممكن يبقى فيه حزب اه
مياسة أصلاً.. يا أكرم let me tell you something على بلاه
زي ما بتقولوا.. التربة الفاسدة عمرها ما تطلع حاجة صح.. وعشان
تطلع حاجة صح لازم تعمل حاجات كتير أوي عشان تصلحها
بس يبقى عندك الرغبة عشان تصلحها يا أكرم.. understood my
friend

ثم منحتني ابتسامة هادئة راقية ككل شيء تفعله.. ورشفت آخر قطرات
في آخر كوب قهوة ستشربه في مصر.. برغم أني لا أقتنع بمنطقك يا دكتور
آمال.. إلا أني لا أملك سوى أن أصدقك.. أنا لم اعتد أن أكذب من حاولوا
يومًا أن ينقذوا حياتي.. ربما أنت خائفة يا دكتور.. ربما أنت لا تثقين في أن
ما سيحدث في مقل الأيام قد يجعل من هذا المكان مكانًا أفضل لكل من
هم مثلك.. ربما كانت دفاعاتك النفسية بتتكر كل ما هو بعيد عن السب
الحقيقي الذي يدعوك للرحيل.. أنت برغم تماسكك وقوة شخصيتك
وقدرتك على أن تصنعي المعجزات.. لا تقدرين على تحمّل ما سيحدث..
لا تقدرين على البقاء حتى تشاهدي ما سيحدث.. أنت مصابة بتلك الفوبيا
يا سيدتي وإن كنت تنكرين ذلك.. الفوبيا التي حاولت هزيمتها يومًا
اقتحمت أسوارك المنيعه ومنطقك المثقف.. أنت تدركين الآن أن ما تخافين
منه سوف يأتي يوم ويحدث.. وأنت لست ساذجة يا دكتور وتعرفين بل
وتوقنين أنه سيحدث..

رحلت الدكتور أمال.. رحلت على وعد بقاء يومًا ما، وبمراسلات
أعرف أنها ستقطع.. رحلت كما رحل دكتور سليمان إلى ولده في الكويت..
رحلت كما استقال دكتور علام واختفى في مسقط رأسه في الصعيد؛ لأنهم
لربأبهوا بكل ما كتبه وكل ما قدمه لهم من حقائق.. رحلت كما رحل عماد
وراح يبحث عن عمل في شركة خاصة؛ كي يرحل من مصر إلى بلاد البترول
والرطوبة الخائفة!!

كلهم رحلوا يا أكرم إلا أنت..

أما آن الأوان للرحيل..!!؟؟

* * *

- بص يا عماد.. إحنا بعد مناقشات مطولة.. إتأكدنا إن الكتاب ده
كومو فلاج.. تمويه يعني..

* * *

- المفيد يا حضرة الرائد إن الأخ ده أيًا كان هدفه ما بيقتلش بتسلسل
قصص الكتاب ويس.. ده بيقبس القصة وينفذها حرفيًا بس مع
شوية إضافات.. القاتل ده بينفذ جريمه بطريقة علاجية قديمة من
الفويا كانت مستخدمة في أواخر المسييغات في الاتحاد السوفيتي
لعلاج المرض النفسي.. الطريقة اسمها:

- واجه مخاوفك قبل أن تقتلك..

- برافو عليك يا عماد..

* * *

- هي فعلاً كلمة عديمة المعنى.. بس لو حطيت قصائد كل حرف الـ ٥٠٠
اللي بيقابله في الأبجدية الإنجليزية.. نعمل جدول صغير كده عشان،
أوضحلك الصورة.. كده يبقى عندنا أرقام ١ و ٥ و ١١ و ٢١ و ٥١



- لو كانت الجريمة دي وقعت بين معاد فتح العيادة امبارح الساعة
٧ مساءً والساعة ٥ صباحاً لما الفراش اكتشف الجثة فا انا كنت
في الوقت ده في مستشفى الدكتور حسن شوقي الساعة ٨ باعمل
فحوصات وأشعة، والساعة ١٠ كنت على قهوة الليالي في عين
شمس، والساعة ٣ صباحاً كنت في شقتي وبواب العمارة شافني..
وبما إنه بيسهر لحد الفجر، وبيروح يصلي فا بخلية نخبط علناً
يصبحيني وينتزل نصلي الفجر سوا، وبعدين باروح نادي الشمس
أمشي شوية.. أظن الإخوة بتوع القسم لما جابوني كنت في النادي..
كده حجج غياي قوية يا سيادة الرائد؟؟



- إيه يا شقيق.. مالك.. إنت بلبعت إيه؟؟

- الدكتور..

- بتقول إيه يا بن المرة مش سامعك!؟

- الدكتور..



- يا بابا أدهم مات وشبع موت..

- أدهم له حي.. بس يا خوفي من بدران..



- ليه كده يا جمال؟؟ ليه؟؟

- سلمولي على الدكتور يا حضرة الظابط..

* * *

حاشية لا بد منها

من هم حتى يقيموك يا علي؟؟!!

من هم حتى يصنعون من أنفسهم أبطالاً وثواراً، ويصنعون منك مجرمًا
بائسًا.. أنت يا من طفحت الهمم وابقض شعر رأسك الناعم وأنت بعد في
أواسط عشريناتك.. يقولون إنها وراثته من والدك سيادة المستشار.. وتقول
أنت إنها من كثرة الأهوال التي رأيتها منذ أن كنت قائد دفعتك في كلية
الشرطة إلى أن أصبحت على مشارف النجمة الثالثة فوق كتفك العريض..

أنت في الشارع منذ أن كنت برعمًا أخضر يتقاذفك الضباط الكبار إلى
بعضهم البعض في شوارع القاهرة.. لتنصب الأكمته وتحمل سخافات
الأمراء الذين يعاملونك كطفل في الابتدائية يتلقفه طلاب الثانوية الصناعية
على ناصية شارع خرب في حي عشوائي فقير..

أنت بالنسبة لهم (ابن الناس الكويسين)..

لذا لا بد أن تخشَن يا علي.. لا بد أن تكون قويًا..

أنت تذكر أول مرة وضعت أحدهم فوق العروسة في القسم.. القسم
الواقع في قلب حي شعبي فقير.. القسم الذي وضعوك فيه كي (ينشف
عضك) كما قال لك عمك ضابط أمن الدولة القدير والذي قاطع بيتكم
منذ أن رفع أبوك المستشار عقيرته طالبًا العدل والقصاص من أمن الدولة.

كنت بعد ملازمًا حديثًا.. نوبتجيا في ليلة صيف حارة من عام ٢٠٠٩..

وكان الفتى فقيرًا هزيلًا معلمًا ككل أقرانه في ذلك الحي الفقير.. سرق هاتفا
محمولًا من فوق طاولة في مقهى حقير.. هاتفاً لو باعه لما جاء له بخمسة
جنيهاً سيصرفها جميعها في باكتة بانجو أو زجاجتين من الخمر المغشوشة..
يذهب بها عقله.

اقتربت منه وقد علقوه ورأسه خارج الإطار الخشبي.. الجلد والضربات
المتتالية وتمزيق ثيابه البالية.. وشارب رفيع ولحية نابذة، تُظهر ضربات النشوة
على وجهه النحيل الشبيه بوجه سحلية مريضة..

- اسمك ايه ياد؟

- حلمي عبد المتجلي عبد العال يا باشا..

- الاسم اللي بينادوك بيه في الشارع يا روح امك.. ولا انت الحفلة ما
كفتكش ومشتاق لحفلة ثانية؟؟

- اسم ايه يا باشا.. هو لا مؤاخذه الواحد بيبقى له اسمين..

- إنت هتهزريا (.....) امك!!

ثم تكوّر قبضتك الرفيعة ضاربًا بها أنفه المتضخم بفعل ضربات الأمناء
فتنفجر نافورة الدم في وجهك.. إلا أنك لا تحرك ساكنًا.. أنت تتحول
تدريجياً إلى الحالة التي تريدها فلا تتوقف الآن.. لن تعود من الآن ابن
الناس الكويسين..

- بص يا روح امك.. الجو حر وانا روحي في مناخيري ومش فايق
لامك خالص.. هترد على كلامي بالراحة كده ومن غير ملاوعة
هسيك تخرج من هنا على العشة الوسخة اللي انت ساكن فيها..
مش هتتحترم نفسك.. أنا عندي نص كيلو بانجو مش لاقين اللي
يشيلهم..

- حلمي إبليس يا باشا.. مسميني حلمي إبليس..
- بصر يا حلمي.. أنا احب الرجالة الجدة عان اللي زيك.. واحب أوي
أخدهم جنبى كده عشان استفيد منهم ويستفيدوا مني..
- أنا من إيدك دي لا إيدك دي يا باشا والله..
- أمين إبراهيم.. فك حلمي وهاتولي المكتب.. وماتنساش تعمل
معاه الواجب قبل ما تجيبه..
- نظرة مذعورة كذعر فار حبسه قطّ في ركن منزل خرب.. نظرة من
يعرف ما هو مرادف كلمة الواجب في قسم شرطة مصري!
- أبوس إيدك يا باشا بلاش واجبات تاني.. أنا هعمل اللي انت عايزه..
لو قولتلي عجيب الفلاحة هعمله.. لو قولتلي نوم العازب هعمله..
لو عايزني انت..
- بس بس.. إنت فاكرني إيه.. عيب الكلام ده يا أخ حلمي.. الواجب
يعني يأكلوك لقمة تسدّ بيها جوعك ويشطفوك ويروقوك كده
عشان عايزك في كلمتين مهمين..
- ثم تقرب رأسك من رأسه الخاوي متابعًا وأنت ترسم أهمية مبالغة على
وجهك الذي اكتسى بنظرات شيطانية آمرة..
- حاجة تخص مصلحة البلد يا حلمي..
- يومها يا علي عرفت أنك قد زرعت أول شجرة في طريقك الودع نحو
حلمك.. منذ أن رأيت عملك عقيد أمن الدولة وهو يسير وسط الحراسة..
منذ أن سمعته يتحدث عن معارضي النظام وينعتهم بأحط النعوت
والشتائم.. منذ أن رأيته وهو يحول مسار شارع كامل بمكالمة هاتفية وأنت
تحلم بأن تصل هناك.. أن تعبر الأسوار العالية في الحي السادس لتصبح

ترسًا في ماكينة الأمن والأمان والسلطة والنفوذ.. لذلك طلبت من عماد
العزيز أن يزج بك في ملفات المباحث.. لذلك ضغطت بكل قوتك على
أبيك المستشار ليفعل ما لم يفعله طوال حياته ويتوسط لك لتعين في مديرية
الأمن.. لذلك احتفظت بكل مصادرك القديمة.. لذلك قبلت العمل
تحت إمرة ضابط رحيم طيب في بلاد لا تعرف الرحمة.. لذلك ضربت
وركلت وضغطت بكل ما تملك من أدوات على كل من قابلتهم حتى تستقر
مؤخرتك فوق ذلك المقعد خلف ذلك المكتب الصغير في مديرية الأمن..

كم من قضايا أغلقتها ضد من لم يرتكبوها.. كم من قضايا دفعت لها من
مسجلينك ومرشدينك مقابل ما قدمته لأهلهم تعويضًا عن ما فعلته بهم..
فقط لتصبح أصغر ضابط تخلو ملفاتك من جملة (ضد مجهول).. لم يشكك
أحد في تحرياتك ولا في طريقة إغلاقها.. أنت الضابط الوحيد الذي لا
تفلت النملة من قبضته ما لم يعطها تصريحًا بالإفلات!!

كل هذا لا يلوته سوى ذلك اليوم..

يوم خرجت من منزلك في صباح يوم جمعة مشمس وسط الشتاء..
لا اتصالات سوى مكالمة أرضية وصلتك من الأمين عبد الباقي الناحل
العجوز ينصحك بالبقاء في منزلك لأن الشوارع ليست على ما يرام..

- يعني إيه الشوارع مولعة يا عبد الباقي!! إنت كبرت وخرفت!!

- معالي الباشا الدنيا برة مليانة ناس ياما.. وانا راجل عجوز وعارف
البلد دي كويس.. الناس دي مش هترجع بيوتها غير لما تجيب عاليها
واطفيها.. ولا هيفرق معاهم كل اللي البهوات الكبار عاملينه..
أبرس إيلك يا علي بيه استنى في البيت النهاردة..

- بس يا راجل يا (...). إنت الظاهر عليك الشغل مع عماد باشا خلاك
طري وما بقتش تعرف تميز كمان.. وربنا المعبود لو لقيت عسكري

ولا أمين غياب النهاردة لاصمّله محاكمة عسكرية.. فاهم!!

تقود سيارتك لتجد كل الشوارع مغلقة.. سيارات الأمن المركزي تغلق
كل الميادين وتصطف بجوار كل المساجد الكبرى في القاهرة والجيزة..
الداخلية كلها في الشارع عداك أنت.. البب بسيط.. هو أن سيادة العميد
أخرج اسمك من كشوف الخدمة ليلة الخميس!!

- ليه سعادتك كده؟؟

- اسمع يا علي.. أنا مش بكلمك على إني ضابط دلوقتي.. أنا عمك
حتى لو أبوك اتبرئ مني.. خليك في مكتبك النهاردة..

- إوعى تكون مصدق إن حبة العيال وشوية المختلين اللي معاهم
هيعملوا حاجة.. ولا انتو متوقعين كده في الجهاز وانت مش عايز
تقوللي؟

- كل حاجة مدروسة وتحت الاحتمالات.. اللي بقولك عليه تنفذه..

تصل إلى مكتبك قبل الصلاة بنصف ساعة.. الناس تمشي في الشوارع
مرفوعة الرأس على وجهها نظرات غضب مستعرة.. هذه النظرات لم تعود
أن تراها.. أنت تربيت على نظرات القهر والذل ولم تر نظرات كهذه من
قبل.. تنظر إلى هاتفك المحمول فاقد الشبكة وأنت تلعن من اتخاذ قرارا بهذا
وكان الدنيا ستقوم ولن تقعد لأجل زمرة من المختشين وذوي اللحى!!..

وعند المساء عرفت ما لم تكن تعرفه..

عرفته وأنت تسلل من مكتبك في مديرية الأمن واضعاً طبنجتك الميري
في جوربك القطني الطويل فوق حذائك حتى أكسبتك عرجة تفتح لك
بعض الطرق.. وأنت تتحرك ماشياً على قدميك من المديرية إلى بيت عمك
في النيل.. قسم الخليفة احترق.. قسم السيدة زينب احترق.. قسم النيل

أصبح هشيًا تلروه الرياح.. الأطفال وصبيان المكيانيكة يلعبون بملا..
رسمية في الشوارع.. لقد سقطت وسقط حلمك يا علي.. ستبقى ضالًا
صغيرًا في مكتب حقير بمديرية الأمن.. لقد أصبحت لا تعي ولا تعرف..
حرفًا مما يحدث.. جلست شهرًا أمام شاشات التلفزيون يحاول عقائد
الذري أن يجلل ما يحدث فلم تفهم.. حتى حلمي الذي تربى على يديك
تحول إلى نذ.. يحصل على مقابل لكل معلومة يأتي لك بها.. أصبحت
نظراتك الغاضبة الشيطانية لا ترعب أحدًا ولا تفتح بابًا..

حتى وإن بدأت الأمور تتحسن.. إلا أنها لم تعد ولن تعد.. وإذا عادت
فلن تكون هنا في ركب العائدين.. أنت ابن مرحلة رحلت برحيل وزير كان
ملء السمع والبصر فأصبح يرتدي حلة زرقاء!! شجرة الموز يا صديقي لها
ألف فرد الآن.. وأنت لم تكن يومًا قادرًا على القفز!!

حتى منذ أن بدأت تلك القضية وأنت غير قادر على بلعها.. عماد متحمس
لرأي صديقه الصحفي الآخرق وليد هذا العصر الأغبر.. والقيادات تمنحه
ثقة لا يستحقها في نظري.. لماذا لا تأتي بكل أقارب القتل ونوسعهم ركلاً
حتى نعرف قياسات ملابسهم الداخلية.. ثم تأتي بخمسة مسجلين نضعهم
أمام كاميرات التلفزيون ليعترفوا بهذه القفلة الشنعاء.. أنت تحدث نفسك
دائمًا بتلك الأفكار الذي يرونها سادية مقرزة وأنت تراها ضرورية كي يعود
الأمن والهيبة للذين فقدهما الكيان!!

فقط عندما تقاطعت الأمور يا علي ظهرت تلك الإشارة في عقلك..

- إزيك يا حلمي..
- علي باشا.. أوامر معاليك..
- عايزك في موضوع مهم.. قابلني قدام بوابة نادي الترسانة معدي
عليك بالعربية..

تتمشى بسيارتك الكورية الجديدة وبجانبك حلمي يتفحص وجهك
محاوّلًا استشفاف ما بداخلك.. وأنت تخفي عينك خلف نظارة ريبان ذات
عدسات عسليّة عريضة..

- أوامر يا باشا.. إحنا في الخدمة ولا مواخذه.
- إنت بقالك قد إيه شغال عند الراجل اللي اسمه أحمد سليمان ده؟
- يجي بتاع خمس ست شهور كده يا باشا.. ليه يا باشا هو مطلوب ولا
حاجة؟!!
- ما تألّيش.. أنا اللي بأسأل بس..
- آه.. طب نزلني بقه يا باشا عشان ورايا مصلحة عايز أقضيها..
- صوت الفرملة الحامية التي تقشر أسفلت الطريق الحديث في طرف
الجيزة وطبنجتك الميري تستقر تحت ذقن حلمي المرتعدة فرائصه، وعيناك
تطلقان شرهما من خلف العدسات العسليّة.
- اسمع يا حلمي.. إذا كنت فاكر إن علي عمر ما بقاش علي عمر بتاع
زمان تبقى غلطان.. أنا ياد ما تهدنّيش ولا مليون ثورة.. وأقسم
براس ابويا لو ما اتعلّلت لاكون مخلص رصاص الخزنة في راسك
ورميك زي الكلب في أي مصرف ومالكش عندي نص جنيه دية..
سامع!!
- يومي برأسه إيباءة فأر مذعور.. برص وجدته على الحائط فارتعش ذيله
قبل أن تمزقه ضربات قبقاب خشبي أصيل..
- كده نعرف نتكلم.. أنا عايزك تجيلي أخبار.. بيحدد فين ومع مين..
مين زاره قبل الحادثة ومين زاره بعدها.. عايز أسامي وعناوين
وتليفونات.. وأقسم بالله العظيم يا حلمي لو حد شم خبر لاكون

معلقك زي التيس.. يلا غور من هنا.. يلا..

وراحت المعلومات تتوالى.. فيض من الأسماء والأرقام والقصص
علاقات متشابكة.. كل هذا أبقيته لنفسك أنت.. فليقتل من يقتل.. سوف
تنتظر الوقت المناسب وتلقي بكل هذا على الطاولة أمام القيادات في مكتب
الوزير.. سوف تحصل على ترقيتك المضاعفة.. إذا كان حلم قدماء فهناك
مئات الأحلام التي تنتظر من يحققها.. إذا كانت شجرة الموز قد امتلأت
بالقروء.. فلترح منها فردًا ثم تقف مكانه!

تدلف إلى الحجرة العظيمة سيئة التهوية.. مزاجك غير صالح لأي
كلام.. مات حلمي مقتولًا مسمومًا كأي فار ضبط متسللاً إلى مطبخ فقير..
خرجت الدماء من جسده ومعها سوائله كلها.. كوتة جديدة بفار مثله.. إلا
أنها خسارة كبيرة لك.. نهر معلومات جفّ ونضب..

اليوم تذهب إلى مكتب مساعد الوزير لتلقي بقبيلتك على طاولته..
اليوم تكشف كيف كان عماد مقصراً متغطرسًا، وكيف كانت زمرة الأوغاد
تضلله وهو يتصنع العلم بالأمور.. اليوم تضع نجمة جديدة أو ربما نسراً
فوق كفك المشتاق إلى طيور الداخلية..

تهبط عيناك مع هبوط جسدك فوق مقعدك إلى سطح مكتبك الصغير
لتجد فلك الكتاب اللعين مفتوحاً أمامك.. صفحة مهترنة بها عنوان كتب
بخط قديم وتحت خط أحمر قان..

"في قدح القهوة"

تنظر إلى قدح القهوة الذي أوشك على البرود أمامك.. أنت بحاجة إلى
قدح جديد إذن..

- بيومي.. يا بيومي

ليدلف إليك ذلك العسكري النحيف الشبيه بعصا المقشة..

- آمال فين بيومي.. ولا أشرف..

- بيومي بيجضي طلبات لعماد بيه جنابك.. وأشرف خرج من
عامنول..

- عامنول !! طب روح اعمللي قهوة زيادة.. وما تتأخرش

- آوامر جنابك..

من أين يأتون بهؤلاء المرضى العاتية.. من أين يأتون بأكبر مجموعة من
الأميين والفقراء ليجعلوهم أفراداً في مكان مهم كهذا المكان حتى بدون أن
يصلحوا ألسنتهم المعوجة..

تغلق الكتاب وتلقي به في إهمال على طرف المكتب.. لفافة تبغ ممتعة
هي عندما يصاحبها رشقات من كوب القهوة الذي أحضره عصا المقشة في
ثياب سوداء متهالكة..

رشقات من كوب القهوة رحت تلقيها في جوفك الظمأ للسائل
السحري.. في نهم لم تعتده من قبل..!!

وكانك تعرف أنها آخر رشقات القهوة يا علي!!

* * *

(٢٥)

منزل جد أكرم.. حي القلعة.. بعد الحادثة بشهرين ونصف.. التاسعة
والنصف مساء

شرفة المنزل التي جمعتني يومًا بالأستاذ فهمي حبيب وهو يسألني عن
التبغ ولماذا أشربه؟؟ ويوم أن جئنت ولم أخبره بالحقيقة كان علي وشك نداء
أمي كي تأتي لي ببعض من ملابسها لأنني لست رجلاً أقول الحق ولا أخاف
فيه لومة أبي!!

شرفة المنزل العتيق الذي بناه يومًا محمد أفندي عبدالبر.. جدي لأمي
العزيزة الغالية المكافحة المثابرة.. سيدة العوالم الراقدة في فراش المرض منذ
أن رحل مهجة القلب والنخلة السامقة التي كانت تطرح في حجرها حبًا
وأمانًا..

أمدد ساقي فوق مقعد من الخيزران الشعبي التي نقشت عليه عبارات
(صناعة مصرية.. مصنع الكراسي بالبصراوي) وكوب الشاي الزجاجي

يستقر فوق القضيب الحديدي العريض الذي قرر أبي تزيين الشرفة الصغيرة
به يومًا كي لا يسقط أخي أجد عند ملاحظته بالسَّبْت المربوط بدوابة جافة
لبائع غزل البنات مبتغيًا قليلًا من سكره العذب..

أصوات منقاطعة تصنع من اختلافها سيمفونيات لو سمعها بتهوفن
لخرَّ صعقًا من الروعة.. أصوات إلقاء الزهر وطرقعة أكواب الشاي وكركرة
الشيثة ونداء عم مصطفى علي (أي حاجة قديمة للبيع) الأبدى كهذا البناء
الصخري المائل أمامي.. وأصوات تواشيح تلقيها حناجر ذهبية في قلب
صحن جامع الرفاعي تختلط بصوت مغرفة أبو رامي وهي تقلب الفول في
قدرته النحاسية باحثة عن قليل تمنحه لسائل محتاج.. أبواق سيارات الرامو
الشيية بعلب السمن الصدئة تحالط سباب عبده الميكانيكي على صبيه
الذي خط الشارب في رأسه مع أصوات نداء بحنجرة مراةقة خشنة تحاول
أن تعطي طابعًا رجوليًا فظًا وهي تشدو (سيدة عيشة سيدة عيشة).. وأنوار
قادمة من مآذن مسجد محمد علي تتلون في لون بنفسجي يلقي بعظمة فوق
عظمة على جدران هذا البناء الشاهق كالطود خلف أسوار قلعة قفز منها
إبراهيم بك هربًا من سيوف محمد علي..

وصوت أمي الواهن ينادي علي:

- أكرم.. أكرم

- إيه يا ماما بس اللي قومك من السرير؟؟

- الباب كان بيخبط بقاله ربع ساعة وانت ولا انت هنا..

وكيف لي أن أسمع يا أماء؟! أترك كل هذه السيمفونيات العظيمة
لأسمع لصوت طرق خجول من صاحبة الشعر الثائر والعينين العاشقتين
التي تطلق سهام ابتساماتها من خلف ظهرك فتُرديني صريعًا!!

- أهلاً يا ولاء إزيك..
- أنا قولت إنت غايب بقالك كام يوم فا قولت آجي يعني اسأل عليك.. وبعدين طنط فتحتلي الباب وكانت بتحسبك مش هنا و..
- تشربي إيه؟؟
- شاي.. اشرب شاي..
- ثم جرّت قلميها جرّاً وخيبة الأمل تغزو قسّات وجهها الخمري
الساحر واستقرت فوق المقعد الخشبي وعيناها تجوبان مآذن مسجد محمد
علي، بينما تابطت ذراع أمي نحو غرفتها..
- إنت مودّيني على فين ١١؟
- على أوضتك ترتاحي طبعاً..
- ومين هيعمل الشاي للبنّت؟؟
- أنا طبعاً.. هي دي محتاجة سؤال..
- إنت ناوي تخلّيني تبتة تاني إمتى يا واد ١١
- خافضة صوتها غامرة بعينيهما حتى ردت إلى أياماً كانت ضحكتهما الخيثة
اللعوب تفتضح أعذارى عندما أريد أن أتعذر بما أخفيه عنها..
- إيه رأيك فيها يا أمي؟
- ما تجاوبش سؤالي بسؤال يا واد..
- طيب جاوبي انتي الأول..
- رأسها يدور نصف دورة حول رقبتها المتفضّنة وعيناها تراقبان قسّات
ولاء الهائمة في اللون البنفسجي فوق قبة محمد علي

- هي أميرة وبنت ناس وانا بحبها الصراحة..
- طيب ما تيجي نروح لمامتها نتفق على كتب الكتاب بقة..
- ها هي ابتسامة سعادة تفجرت كماء تفجّر بعد غيبة من بتر في واحة
مهجورة ما أراه على قسبات أمي.. ولمعة قديمة كانت ترسلها إلى وجه
أبي عندما يطلق كلمات مديحه المقتضبة على طيخها الذي لا يئاثله شيء!!
ابتسامة أعقبتها دمة شفت طريقها نحو خد تيسست وديانه...
- طب إنتي بتعطي لي بقة دلوقتي..
- الله يرحمه ريقه نشف معاك وانت ولا انت هنا.. كان نفسي يبقى
معايا ويسمع الكلام ده بودانه.. يا ألف بركة
- أجلستها فوق فراشها الرابض أسفل صورة ملونة باهتة لزفاف كان
نتيجته صورة أخرى تقبع بجوار الفراش لصيين وفتاة في عمر المدارس
بجوار حقيبة بلاستيكية تحتوي من صنوف الأدوية ما لا يحصى..
- الله يرحمه عمره ما كان مش معانا يا أمي..
- الله يرحمه كان زي ما يكون عارف كل حاجة وفاهم كل حاجة يا
بني.. كل لما كنت أقوله فلانة بنت فلان وخلي أكرم يشوفها.. يبصلي
من فوق النظارة ويقول بملوفمه: "يا ولية أوانه لسه ما جاش" حتى
يوم ما خطبت المخفية اللي اسمها...
- مالوش لزوم يا أمي راحت لحالها..
- بس يا واد خليني اكمل.. يومها شرب بق من القهوة وقال: "ربنا يا
أكرم يعينك على اللي بعدها" ويوم ما قولته اللي بعدها إيه يا حاج!!
بدل ما تقول يجعلها جوازة العمر.. ضحكك وبصلي من فوق لتحت
ودخل ينام!!

ثم أطلقت ضحكة رائقة لمست داخل قلبها شوقاً لنخلتها المالح،
وراحت تجتر بعقلها وقلبها خيوط ذكريات لا تنضب منابعها.. بينما
أنا أعد الشاي لتلك المسكينة الجالسة فوق كرسي صنع في مصنع النسيج
بالبصراوي وخاتم ذهبي عريض يلتف حول بنصرها الأيمن معكاً
الأمر انتهى وأنها لي ولي فقط.

وما إن دخلت الشرفة عليها حتى جفلت ونظرت إلي..

- أنا عرفت إنت مش معبرني بقالك أسبوع ليه.. حد يقعد القعدة دي
ويفتكر حد برضه!!

- بطلي سخافة واشربي الشاي قبل ما يبرد..

- طب وحياة عينيك الحلوة دي وحشتني..

- والله وانتي كمان..

ضحكة مجلجلة كمت تبعاتها بطرف يدها أمام نظراتي المطلة شذراً من
خلف نظارتي..

- وانتي بقه جاية لحد هنا الساعة عشرة عشان تقوليلي وحشتني
وبس..

- تصدق انا غلطانة إني عبرتك أصلاً.. أنا قايمة..

ثم همت بالنهوض فددت طريقاً كانت لا تنوي اتخاذها وأجلستها
مجبرة..

- حقك علياً.. أنا بقالي يومين مش مضبوط وماغني بتودي وتجييب.

- إيه هتلمس كلامك ومش هتجوزني؟

- يا بت اتنبلي على عينك.. الأول كان بمزاجي دلوقتي مقدرش خلاص.. أمر الله نفذ..

- جتك البلا في ملافظك..

ثم أشاحت بوجهها مدارية بسمة خاطفة على ركن شفيتها ومائل أحمر رقرق صبغ وجتها الخمرية وهي تسوي خصلتين أيا أن يتظها في عقصة لشعرها الفجري المجنون..

- دماغك بتودي ونجب في إيه؟

- في قضية الفوييا..

- اشمعنى؟

- مش عارف يا ولاء.. مش بالعين القفلة.. حاسس إن في حاجة مش مضبوطة.

- وإيه اللي جايلك الإحساس ده يا بروفير؟

شردت ببصري نحو جامع الرفاعي وأصوات التواشيح تخفت لتحل محلها همهمات وخيالات لأشخاص يعبرون الممر المسكي بين السلطان والشيخ..

- عارفة الممر ده ريحته مسك ليه؟

- ليه..

وكانا تعودت مني على القفز من كل المراكب التي لا أقدر على قيادتها فتابعنا:

- عشان الخشب بتاع جامع السلطان حسن خشب صندل متفطس في

مسك، والريجة من ساعتها ما تروحش منه أبدًا، وكل ما الهوا يخش
في الممر يجيب الريجة..

- والله انت عمل.

التفت نحوها بعين تحاول أن تبقى على حالها لتصدم ببريق يعمي
الأبصار ويذهب العقول..

- انت مبلم في كده ليه؟

- مبلم.!!! أنا اللي ملافظي منيلة.. نهايته.. مدي إيدك في شنطتك
وطلعي اللي انتي جايبهولي معاكي.. يلا يا بت.

- بت اما تبك ولو اناي ما اعرفش معناها إيه.. وبعدين عرفت مين إن
معايا حاجة في الشنطة؟

- عشان أنا ناصح ومفتح.. خلصي بقه..

مدت يدها إلى قلب حقيبتها المصنوعة من قماش خشن وأطراف جلدية
مهترئة وأخرجت مظروفًا أبيض في حجم متوسط كتب عليه بخط أنيق:

"يسلم للأستاذ: أكرم فهمي باليد"

- إيه ده؟!!

- علمي علمك.. أنا عرفة أول ما اتصل بيا عدت تحت المخروبة
خدت منه الظرف.. بالمناسبة يسلم عليك ويقولك إنه كلم حد
في جرنان..

- بعدين بعدين.. أنا ماليش نفس لا لشغل ولا لتزول..

عيناها معلقتان فوق الظرف السميكة.. والخط الأنيق الذي لا أعرف
مثله ولم أره من قبل.. قال أبي يومًا إني خبير أعرف لمن ينتمي الخط من

أول كلمة أقرأها خطت به إذا كنت أعرف صاحب الخط.. هذا ليس لأحد أعرفه وأجزم بذلك قطعاً!

- أكرم..
- هممم..
- في إيه الظرف ده؟
- مش عارف والله يا حبيبتى.. عرفة ما قال كيش مين اللي وصله؟
- يقول النهاردة الصبح عم طاهر لقاء على مكتبك القديم وإذاه لعرفة عشان هو عارف إنه الوحيد اللي لسه بيكلمك من الناس اللي في الجرنان.
- ثم نهضت مسوية ثوباً فضفاضاً من القطن المصبوغ بلون أزرق ومزين بقطع الخرز والخيوط الحمراء.
- إيه رايحة فين؟؟
- الساعة داخله على حداشر وامي لسه بتخاف عليا زي ما اكون عيلة في ثانوي وأنا مش ناقصة..
- المفروض إنك خطيبتي باين وكتب كتابنا هيقى كمان شهر كده ولا حاجة!!
- تسمرت في وقفعتها وتحولت عيناها إلى وجهي مرسله برسائلها الضوئية المتقطعة، فتحول وجهي إلى كتلة من سائل ملتهب يقبع في قاع بركان ثائر.
- إيه يا ولاء بتصيلي كده ليه!!
- إنت قولت كتب كتابنا إيه؟

- أه أنا قررت أجيب أمي ونروح بكرة للمحاجة نقولها عايزين نام
الموضوع عشان انا وبتك سيرتنا بقت على كل لسان.. وبدل الدبل
والواد رايح الواد جاي آهو يبقى في حاجة شرعي لحد ما يفرجها
رينا..

ثم قربت وجهي من وجهها المضي ولمست أطراف اناملها لتسري في
كهرباء مستمرة بقوة ٢٢٠ فولت..

- مش يقولوا كده باين في كتاب الأمهات؟

- بحبك

- الله ينحرب بيت عينيكي.. امشي من هنا يا بت.. يلا..

الشمس تفرق وجهي والليل قد قارب منتصفه! وولاء ترحل كفراشة
جاءت من مكان بعيد تأتي منه الفراشات لتمنح رحيقاً لشجرة صندل
عجوز وقف نموها منذ زمن!

- طيب بقه يا سيدي بها إنا بقينا لوحدها.. ما تيجي نشرب كوباية
الشاي ونشوف جواك إيه..

مخاطبًا الظرف الأبيض محاولاً فتح جانبه بدون أن أمزق ما بداخله
كعادي مع خطابات البنوك التي تتوعد بخراب بيتي أول كل شهر.. وما
إن نجحت حتى سقطت صورة بلا ألوان من طرف المظروف لثلاثة رجال
يرتدون ثياباً شتوية ثقيلة.. لا؛ ليسوا ثلاثة رجال بل هم رجلان وامرأة،
أحدهما يرتدي نظارة طبية عريضة من طراز كان شائعاً في ستينات القرن
الماضي، والآخر له لحية ناعمة تشبه لحية صديق شبابي ديستوفسكي كما
يصورونه.. أما المرأة فخصلة شقراء تظهر من أسفل قلنسوتها الصوفية
وملامح روسية لا تخفى على عين أحد.

أسفل الصورة كتب بخط عربي أنيق:

البروفيسور تيودور ميخائيلوف.. الدكتور سليمان.. الدكتورة إلينا
ميخائيلوف

لماذا يشبه هذا الخط الخط الذي كتبت به الجملة فوق المظروف؟؟

هناك ثلاث صفحات من الورق الذي يشبه ورق طباعة الكتب هذه
الأيام.. خشن وثقيل طبع عليه كلمات بخط كومبيوترى واضح وإن كان
منسقاً بعناية.

عدلت وضع نظارتي ورحت أبدأ القراءة..

"ابني العزيز / أكرم

اسمح لي أن أناديك بنفس النداء الذي كنت تحب أن أناديك به ولو لمرة
أخيرة.. قاله وحده يعلم إن كانت رغبتك هذه مستقبلي تتحرك بداخلك بعد
أن تقرأ هذه الكلمات أم لا..

منذ أن بدأ هذا الأمر وأنا أقاوم رغبة داخلية عميقة تسيطر على جزء
كبير من مكنوناتي أن أدق بابك في ليلة من الليالي وأضع بين يديك كل
شيء؛ لعلك تغفر لي وتتفهم دوافعي التي دفعتني إلى هذا الفعل.. هذا
الفعل الذي أملك دوافعي الشخصية القوية المبنية على قناعات لن تفهمها
الآن.. ربما استوعبتها بعد عام أو عامين أو أعوام متلاحقة وربما لا.. إلا
أنها سميت شخصية لأنها تخص الشخص نفسه ولا تخص غيره!

دعني أبدأ من الصفر.. أو من تحت الصفر إذا شئت الدقة!

في نهايات عام ١٩٦٩ سافرت في بعثة إلى جامعة بطرسبرج في الاتحاد
السوفيتي للحصول على رسالة الدكتوراة.. كنت شاباً يافعاً في نهايات
عشريناتي حاصل على ماجستير في الأمراض النفسية وارتباطها بالتركيبة

المجتمعية بعد ثورة يوليو.. كان بحثًا مليًا بالنفاق الصريح لسلطة بها.. العسكرية وتأثيرها القوي على المجتمع.. كتبت كلمات من طراز فخيم.. مجتمع العدل والمساواة الذي قلت فيه الأمراض النفسية المجتمعية وأصبح مجتمعًا صريحًا شبه فاضل، تشوبه روح التعاون والمسئولية الملقاة على عاتق... إلخ هذا الهراء.. لم أذكر بالطبع في رسالتي أي شيء عن مجتمع كان أفراده يقولون: سعيدة يا هانم، فأصبحوا يقولون: صباح الخير يا عمل.. مجتمع كان يحاسب الشاب الأعزب لأنه ابتسم لسيدة لا يعرفها، فأصبح مجتمعًا لا يعاقب شابًا يقبض على ذراع فتاة في أتوبيس النقل العام!

ومرَّ البحث بكل ملاحظة بل وحصلت بعده على الماجستير بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وكنت أصغر من حصلوا على هذه الدرجة في دفعتي كلها!!

ولك أن تتخيل.. تم ترشيحي للبعثة من ضمن خمسة حاصلين على الماجستير في كلية الآداب بجامعة القاهرة.. خمسة ليس من بينهم المعيد في قسم التاريخ الأستاذ الفاضل فهمي عبد الله حبيب والذي كان رجلًا فاضلاً لا يستطيع قلب التاريخ على عقبيه إرضاء لمن يجلس فوق عرشه.. الأستاذ الفاضل الذي تحول من معيد في كلية الآداب إلى مدرس ابتدائي متواضع بعد علاقة ساخنة في أحد أقسام الشرطة النائية!!

أعرف أنك لا تحب الاسترسال ولكن اعذرني.. فإذا ذكرت الصراحة لا بد أن يذكر والدك.. والدك الذي كان يومًا ملهمي وأستاذي وصديقي.. ثم أصبحت أنتكر منه ومن معرفته إلا من ساعات أقابله فيها على مقهى متواضع بعيد عن أعين رجال المباحث!

وما إن حطت الطائرة في مطار بطرسبرج حتى لفحني هواء ديسمبر البارد المقيت.. هواء جمد أطرافي وأنفي وجمد معه أحاسيمي وحنيني إلى لحظات دافئة في شمس القاهرة..

وهناك قابله..

رجل قصير القامة متقد الذكاء.. ترسل عيناه الضيقتان شرارة تبين لكل من يقابله أن هذا الرجل عبقرى وتوقعك في أسر شبكته اللزجة منذ أول لحظة كمنكبوت ضخم فتك بذبابة قادمة من منابع النيل.. لحيته الرمادية الشائرة الشبيهة بصور ماركس وديستوفسكي.. وإيمانه العميق بأن هذه الدنيا لا تصلح بدون أفكار لينين وماركس وقبضة ستالين القرمزية!!

ولك أن تتخيل.. لقد وقعت في سحر البروفيسور ميخائيلوف منذ اللحظة الأولى.. منذ أن قابله في مكتبه المتواضع في مباني الجامعة التاريخية وهو يرندى نظارته المستديرة ويقرأ في أوراق مترجمة لرسالتي عن (تطبيق الارتباط الشرطي وأثره في العلاج النفسي عند الإنسان) موضوع فخيم كما يظهر من اسمه.. موضوع تعمقت فيه ودرسته حتى شربته وهضمته وأصبح شغلي الشاغل..

- بروفيسور ميخائيلوف؟؟

- دوبروي أوترا جوسبدين.

قالها بروسية فخيمة تخرج من فم يعرف كيف يتكلم الروسية.. روسية باردة كبرودة السماء التي تمطر نُدْفًا منذ خمسة أيام!

- عفوا يا سيدي أنا لا أعرف من الروسية إلا القليل..

- كلكم كذلك أيها المصريون.. تأتون لنا لا تعرفون من لغتنا إلا القليل ثم تحدثون بإنجليزية لا تجيدونها كذلك..

ثم رفع رأسه الصغيرة البيضاء نحوي وحدجني بنظرته التي تطلق شرراً من العبقرية متابعاً بإنجليزيته التي لا تراعي أن حرف R لا ينطق متكرراً..

- استرح.. فلنأت لك بقليل من الفودكا حتى تستطيع التحدث بالروسية جيدًا..

- اعذرني يا سيدي ولكنني مسلم ولا أشرب الخمر..

- مسلم.. وماذا في ذلك.. أبي وجدي كانوا مسلمين ولم يكفأ عن شرب الفودكا حتى ماتوا.. إني أبارك للقدر أن ستالين لم يكن مسلمًا وإلا منعنا من شرب الفودكا.

ثم مد يده إلى درج مكتبه الخشبي المتشقق وأخرج زجاجة صغيرة صب منها قطرات في كوب زجاجي عريض.. وجرعها متلذذًا ثم تابع:

- كنت أقضي بعض الوقت في قراءة رسالتك الافتراضية.. إنها لا بأس بها تمامًا.. اون ايميت خروشيو متركتورو.

- هذا من داوغي سروري.. إذا كان بناء الرسالة قد أعجبك فأتمنى أن نبدأ في ملاحظتك على ما لم يعجبك.

- ملاحظاتي سبداها بعد الغداء.. إن تيودور المعجوز يعرف كيف يكرم ضيوفه.

ثم مد يده إلى هاتف معدني كبير وطلب رقمًا راح يتحدث صاحبه بكلمات طنانة مليئة بالخاء والكاف والراء المكررة النطق.. إلا أني ميزت فيها اسمًا لن أنساه طوال حياتي..

إيلينا...

وما إن أغلق الخط وابتسم تلك الابتسامة المستهزئة بعيني التي تلف جدران الحجرة المرصعة بصور له مع أعضاء الحزب الشيوعي.. بل مع أبرزهم.. وصورة له وهو شاب مع ستالين شخصيًا وهو يقلده وسامًا ما.. وصورة أخرى مع بريجينيف نفسه وهو يقلده وسام البطل السوفيتي.. إن

هذا الرجل ضلع كبير وقوي في جمهوريات الستار الحديدي!!

ظل يراقبني ساخرًا وأنا أراقبه بطرف عيني وهو يراقبني حتى تحولت
عيني إلى كويكب في مدار شمس كبيرة.. عندما حضرت الشمس للغرفة
فلا يصح أن تذهب عينك إلى غيرها.
إنها إيلينا..

جسد مشدود متناسق لا تخفي الثياب الثقيلة تناسقه.. وعينان
خضراوتان ساحرتان، لو رآهما نزار قباني لغير أبيات قصيدته إلى (المرج
الأخضر في عينيك.. يناديني نحو الأعماق).

شفتان تكونان أفضل فم عرفته النفس البشرية.. وخدان تحتاجان إلى
أوسلر نفسه لوصف دقتهم التشريحية المتناهية مع شعر أشقر لو بيعت
خصتك بالجرام لحولتها إلى أغنى أغنياء الأرض!!
إنها إيلينا..

- دوبروي اوترا بابا

- دوبري اوترا برنتسيا.. أفضل أن تحدثني بالإنجليزية فضيفنا
العزیز ابن ناصر لا يعرف سوى الإنجليزية..

- إذن.. هل يسمح لي السيد بمعرفة اسمه حتى أعرف كيف أناديه؟

- سليمان.. أحمد سليمان..

ثم مدت يدها لتصافحني.. يد خالية من أي قفاز فخلعت قفازي
الجلدي البطن ووضععت أصابعي الباردة المتجمدة في أحضان أصابعها
الدافئة.. أصابعها التي حولت يدي إلى حديقة غناء لا تغيب عنها
الشمس.. وابتسامة ساحرة تخرجك من دنياك الباردة القابضة إلى عالم من
الطيور المزققة والحداث الغناء!

ولك أن تتخيل يا بني كم أحببت روسيا بعدها..

كم أصبحت بطرسبرج هي المدينة التي تشرق منها الشمس وتغيب..
وكيف حولتني إلينا إلى روسي أسمر.. أتحدث اللغة كأهلها.. لا؛ بل والقي
بها النكات والدعابات، وكأني ولدت وتربيت عمري كله في بطرسبرج!!
وفي أحد الأيام الدافئة في أواسط مايو حدث ما لم أكن أعرف أن تأثيره
على حياتي كلها بعد هذا اليوم.. يومها استدعاني البروفيسور إلى معمله
بصحبة خطيبتي إيلينا.. الفتاة التي تحدث أقرانها وخطابها بملك الشاب
الأسمر القادم من بلاد ناصر!!

ومعمله ليس كما رسم خيالك المريض.. كما أعرفك.. صورته المتشابكة..
إنه مثل أي معمل لطبيب نفسي ومهتم بالقياسات النفسية.. بعض أجهزة
رسم المنح العتيقة.. ومشغلات صوتيات وكاميرات مراقبة عتيقة تعود
لأوائل الستينات.. وبعض أجهزة القياسات النفسية وأقفاص الحيوانات..
معمل أستاذ في الطب النفسي كما يمكن أن تجده في أي مكان على وجه
الأرض..

يومها فقط شرح لي تجاربه وما كان يفعله طوال عشرين عامًا.. يومها
فقط شرح لي ما بدأه في هذا المكان منذ أن كان شابًا في نهايات عشريناته
ويأوامر عليا من الرفيق الأعلى جوزيف ستالين.. وما ظل يفعله في معمله
طوال ثلاثين عامًا..

لن أترسل في تفاصيل علمية قد لا تهلك كثيرًا.. إن ما كان يفعله
البروفيسور ببساطة هو عمل تطهيري انتقائي.. كان البروفيسور يطهر
مجتمعه من أمراض نفسية متأصلة حولت أصحابها إلى زوائد دودية أو شكت
على الانفجار.. كل ما كان يفعله هو استئصال هذه الزوائد من داخل أمعاء

المجتمع.. شيء إذا أبقيته فلن يضر ك حتى ينفجر فتموت.. لكن لماذا تترك
الاحتمال له كي يبقى من الأساس؟؟ هذا ما كان يفعله تيودور العجوز في
معمله ببساطة..

كل ما يمكن أن تخيله كان يحدث يا أكرم.. كل ما قد تسمع عنه في
حلقات برامج الأسرار الغامضة مما يحدث خلف الستار الحديدي.. وأدق
الأسرار التي أخفاها السوفيت عنا... إلخ هذه الكلمات الرنانة في البرامج
التلفزيونية والأفلام التسجيلية المكارثية كلها حدثت.. وإن كانت بنسب
متفاوتة.. تجارب السموم على البشر.. مقاومة الأعضاء البشرية للصلصات
المختلفة.. العلاج التطهيري من المخاوف الكامنة.. كل شيء.. كل هذا
حدث في هذا المعمل..

- بروفيسور.. أنا عاجز عن قول أي شيء أو عن الرد بأي شيء عن
عرضك الكريم.. ولكن أن تعرف أنني سوف أعود إلى مصر بعد
عامين.. ولن أستطيع أن أتكمل.

- ومن قال لك إنك ستكمل شيئاً هنا.. ما يحدث هذه الأيام لا
يشير بالخير.. الرفيق بريجينيف لم يعد كما كان.. ويوماً ما سيأكل
أحدهم عما يفعله المختل تيودور بكل تلك الأموال التي يمنحه
لها الحزب لتجاربه.. لا بد من أن تسافر كل هذه البراعم إلى مكان
آخر.. مكان يمنحها بعض الحرية كي تنمو وترعرع وتطرح نتائج..
لا بد يا أحمد..

ثم أمسك بكلتا يدي، ونحوت نظرتة العبقريّة إلى نظرة عجوز ملتاع..
- أنا لراغب سوى إيلينا.. وليس لدي في هذا الكون أغلى منها ومن
معملي هذا.. لذا سوف أضع كل شيء بين يديك.. إيلينا والمعمل..
لا بد أن تكمل يا بني.. لا بد أن تكمل...

رحلت أومئ برأسي كالمندوه.. وهو يتهلل فرحاً ويضرب بكفه..
كتفي معطفي الثقيل..

وجرفتني الدنيا كنزبد البحر إلى شاطئ لا أعرف من معالنه شيئاً.. فر...
أستكشف يوماً بعد يوم أي عالم أسود مظلم عبقرى يحى فيه هذا العبق...
المجنون.. أي فلسفة مبدعة مجنونة قادتة ليصل إلى هذه التجارب.. ها...
تتخيل يا أكرم لو نجحت تجاربه كيف سيكون حال هذا العالم.. إنسان لا
يموت بالسم ولا يخاف من النار ولا يخشى القفز من القطار ولا يكذب ولا
يسرق ولا يبيع نفسه مقابل المال.. كم من متسكع وشحاذ وعاهرة خرجت
بعد تجاربه إلى القبر أو إلى الجيش.. مجتمع كامل سينحول إلى مجتمع الكمال
والفضيلة.. لا خطأ واحد.. يا للروعة!!

مرّت سنواتي الثلاث وأنا أحاول الوصول إلى قمة الإجابة لكل ما
يفعله.. لكل أساليبه وكل تقنياته العبقريّة.. وأحاول أن لا أغرق كل الغرق
في مروج إيلينا الخضراء ولا في ذلك الكائن المش النائم في مهد خشبي
أنيق.. نعم يا أكرم أنا أب لطفل آخر غير ابني الذي أحيا في كتفه منذ أن
صار شاباً.. ابنٌ حكمت عليّ الأقدار ألا أعرف أين هو الآن.. دعنا لا
نسبّق الأحداث.. دعنا نقفز فقط متجاوزين ما حدث..

لا تسألني عن تيودور العجوز ولا كيف وجدوه ملقى على وجهه في
شارع ضيق ورائحة الفودكا تفوح من فمه وشعيرات لحيته الشائرة.. لا
تحدثني عن إيلينا التي اختفت هي وطفلي العزيز في صبيحة يوم بارد من أيام
فبراير عام ١٩٧٣.. ولا تسألني كيف حملت حملاً إلى طائرة مصر للطيران أنا
وحقيقتي الجلدية وأوراق المشفرة بشفرة لا يعرفها أحد سواي أنا وتيودور
العجوز نحو مصر.. لا تسألني كيف قضيت شهوري الأولى وأنا أحاول
إقناع نفسي أن ما رأيته حلم ليس من دنيا الواقع في شيء!!

استكملت رسالتي القديمة التي ما عدت أفقه شيئاً ولا أعني شيئاً من حروفها.. وحصلت على الدكتوراة بفضل علاقتي المتشعبة التي استمرت بعد انتهاء الناصرية وقدم السادات إلى الحكم.. الإنسان لا يستطيع الحياة بدون علاقات يا بني.. وإلا فكيف أصبحت أنا أحمد سليمان وأصبح أبوك العلامة مدرس تاريخ في مدرسة ثانوية حقيرة!!

هدأ نهر حياتي الشائر.. تزوجت وأنجبت ثلاثة من الأبناء والبنات كما تعرف أنت.. ومرت أيامي كمثل ما مرت.. راحت سنين عمري تحرق كشعيرات رأسي، ورحت أمارس دوري الذي اخترته لنفسي.. أستاذ التحليل النفسي في الصباح وطبيب وعمل نفسي في المساء.. مدخرات أبي وأمي آلت إلي، فرحت أقضي حياتي أنسلى بالجامعة وبالعبادة.. لا شيء عن روسيا وإيلينا ولا شيء عن سليمان، ولدي الذي لا أعرف إن كان حياً أو ميتاً.. فقط هناك ذلك المكان في عقلي يذكرني كل ليلة أن هناك أوراقاً تقبع هناك في ملف كبير في مكتبي التي مددت يدك اليها مراراً وتكراراً وأنت مراقب تبغني كتاباً تقرأه.. رحت أراقب المجتمع الذي راح ينحدر وينحدر.. من صباح الخير يا غسل.. إلى صباح الفل يا بت.. إلى صباح الجمال يا مزة.. من تلك الكائنات التي ترعى في الشوارع كالأغنام.. من السينمات التي امتلأت بأفلام قدرة تلقي بكل قذارتها في عقول من يشاهدونها.. تخيلت لو كان تيودور العجوز هنا.. لما كفاه أن يفجر قنبلة نووية في قلب هذا المجتمع، والتقط من نجا منها ليكون بهم نواة مجتمع جديد كما كان مجلم!!

حتى جاء ذلك اليوم..

في نهايات ٢٠١١.. جاءني جمال إبراهيم.. في ليلة باردة من ليالي ديسمبر.. دفع أجرة الكشف البسيطة.. وطلب أن يقابلني..

كان أربعينًا محببًا كما يبدو لك من أول وهلة .. راضيًا بكل ما في حياته ..
من إحياءات بعد أن تبادل معه خمس جمل مكتملة .. إجابات ذكية منقطة ..
لكل شيء لدرجة تفقد معها صوابك .. إن مثل هذا لا يحتاج إلى طبيب نفسي ..
أبدًا!!

- ما شاء الله يا أستاذ جمال .. أنت بالنسبة لي مكتمل الصحة النفسية
وراضي عن حياتك أوي .. شغلك البسيط التافه زي ما بتقول .. اللي
مالوش علاقة بمؤهلك مش مدايقك في حاجة .. عيشتك في شقة
صغيرة من غير زوجة ولا ولد مش مدايقاك ..

- الحمد لله كله نعمة من عند ربنا غيرنا مش لاقيةا ..

- طب أعذرني بقه .. كده بدون أدنى مجاملة .. أنت مشرفني في العيادة
ليه النهاردة؟ لو حضرتك ما قرئتش الياطرة كويس على الباب .. فا
احب اقولك إن دي عيادة نفسية مش عيادة باطنة ..

نظري بهدوء والتمعت على شفتيه ضحكة ساخرة ..

- حضرتك بتضحك على إيه؟! !!

- على الدكتور النفسي اللي أول مرة يقابلني يتفرقز .. هو انا لسه قولت
حاجة .. إهدئي يا دكتور إذا سمحت واسمعني للآخر ..

جلست طالبًا قليلًا من الهدوء وقليلًا من التوضيح .. فأخرج من جيبه
ذلك الكائن الجهادي المهترئ ..

كتاب مهترئ مغلف بغلاف من الجلد الصناعي حفر عليه اسم أعرفه
جيدًا بحكم عملي ومجال خبرتي .. واسم آخر لراسمع به من قبل في حياتي ..

- الثرهاب .. اسم مش منتشر بس على ما أعتقد هو يقصد الفوبيا
يعني ..

- توقعك سليم يا دكتور..
- وإبراهيم صفوت ده يبقى مين.. أنا أول مرة أسمع عنه!!
- هي دي مشكلة حياتي اللي أنا مش لاقيلها علاج يا دكتور.. مفيش أي حد سمع عنه.. لحد ما فلّس وافقر ومات بحسرتة.. ببساطة يا دكتور.. الكتاب ده كان سبب تعاستي طول عمري..
- بدأ يسرق انتباهي واهتمامي قليلاً..
- ممكن توضح أكثر أنا عايز اسمعك..
- ببساطة يا دكتور.. إبراهيم صفوت ده يبقى والدي..
- وراح يحكي لي قصته التي عرفت أنك عرفتھا.. عن حلمه المريض وعن وصية شقيقه مسعد التي تنقص عليه حياته.. عن هروبه من كل شيء في هذه الحياة حتى وصل إلى مركزه في شركة الأدوية وعن كل ما يقدر عليه بحكم وظيفته وكل السلطات التي أصبح يملكها في يده.
- هناك فقط ذهبت عيناى إلى ذلك الملف القابع في مكتبتى.. هناك فقط استيقظ ذلك الجزء الرابض في عقلى.. إن تيودور العجوز يستحق أن تحقق أمنيته.. إنها الفرصة التي ستأتي على طبق من ذهب لا يقدر على رفضها إلا معتوه.. حلمي الذي استكان ونام في تلافيف عقلى يصحو الآن طالباً النجاة من النسيان..
- ولم لا.. أسألك أنا ولم لا يا أكرم.. هل ترى في هذا المجتمع شيئاً يستحق أن يبقى؟؟ هل تراه خالياً من تلك النواقص التي تحدث عنها تيودور العجوز يوماً؟؟ إنه يحتاج إلى علاج تطهيري وتدخل جراحي سريع.. إن الأمعاء امثلاث بالزوائد الدودية، وكان لا بد لها من استئصال سريع.. إذن فلنجعله استئصالاً مدوناً يسمع عنه الجميع.. ربما انصلح شيء فيه وربما

لا.. إلا أنني سأكون حققت حلمي ووصية تيودور العجوز..

لن تقتنع يا أكرم ولن تفهمني.. إذن دعني أكمل لك كشف كل الأوراق
إذن، ربما أكون قد فعلت شيئاً جيداً قبل أن أرحل من قلبك إلى الأبد..

راحت الخطة تتكون في رأسي وتنمو.. الآن هناك دافع لكل هذه الأفعال
التي ننوي ارتكابها أنا وجمال.. إذا سقط يوماً في قبضة الشرطة سيكون مجرد
مجنون ينفذ ما جاء في كتاب أبيه المتواضع الموهبة ليجعله مشهوراً بعد أن
مات كمداً.. فكرة جميلة رحت ألعب على أوتارها وأعزف فوق أصابعها
أجمل السيمفونيات.. يتبقى لنا إذن طريقة تنفيذها وعلى من تنفيذها.. هنا
فقط ظهر عصام.. طيب شات في أوائل ثلاثيناته.. جاء إليّ بتوصية من
أستاذه وصديقي في نفس الوقت.. إنه يعاني من بعض الآلام في حوضه..
وكل الفحوصات والتقارير الطبية تحوم بأنه سليم بلا أدنى خدش.. هو
فقط فقير معدم.. محبط.. لا يملك من الدنيا سوى عيادة في حدائق المعادي
لر يدفع إيجارها منذ خمسة شهور.. ومطعمون عاطفياً.. خطيته السابقة
سلمت نفسها مختارة راضية إلى رجل آخر، وراحت تطارحه الغرام حتى
اكتشف المطعمون بنفسه ما حدث.. هنا بدأت الآلام تغزوه.. لا يعرف أمي
آلام الخيانة أم الإحباط أم رسالة الماجستير في طب المناطق الحارة التي لا
يقدر على الإنفاق عليها.. حتى أنه ألقى بنفسه في علاقة خطوبة مع فتاة
قبيحة مريضة حتى لا تخونه ولا تجحد من تخونه معه.. ذكي.. بل عبقرى..
كان من أوائل دفعته واختار المناطق الحارة لحبه في هذا المجال المتشابك.. إلا
أنه بارع بشدة في الكيمياء ومتقّد الموهبة في أمراض الدم.. كما أنه ملّم بكل
أنواع السموم والتأثيرات الدوائية المختلفة.. إذن ماذا ينقصنا حتى نضعه
في صفنا.. المال.. ما أكثره.. إن جمال يمتلك الكثير وأنا أمتلك الأكثر..
وعصام كان مصاباً بضعف كبير أمام المال.. إذن فلم لا..!!

رحنا نخطط جميعاً.. جمال بحماسة التقّد وجرعات الشحن المعنوي

التي أمنحها له كعلاج.. وعصام بحماسة اللامتناهي للمال.. وأنا.. بحماسي
الأبدي لتحقيق وصية الرجل الذي وهبني حلمه.. وابنته..

وكعادة كل خطة محكمة كان لا بد من بعض البيادق على اللوح.. حلمي
الشاب الذي يعمل لدي مساء في العيادة وصباحاً كمعاطل.. تواق للمال..
قادم من بيئة منحطة لا تعرف قيمة لأي شيء سوى قيمته المادية أو الجنسية..
كان إغراؤه سهلاً.. سهلاً للدرجة أنني لم أبذل مجهوداً معه لشراء ولأنه لي!!
ورحنا نرسم جوانب خطتنا؛ كل حسب قناعاته وأهدافه.. كان
التحدي الأكبر لي هو كيف ترّوض هذه الوحوش نحو هدف واحد.. هو
تحقيق أهدافهم الصغيرة في إطار عمل عظيم تريد أنت استكمالها.. هل تعلم
أن الخطة لو استمرت على منوالها الأول في الأيام الأربعة الأولى لتحول
هذا المجتمع في شهر واحد إلى مجتمع كامل بنسبة ٨٠٪.. لا تضحك مني
ولا تهزأ بعمك العجوز.. أنا أعرف هذا الشعب أكثر منك يا بني.. إنه لا
يرتدي ثوب الفضيلة إلا في المصائب أو في الانتصارات المدوية.. ألتركي كيف
كنس الشوارع ودهن الأرصفة يوم الثاني عشر من فبراير؟ هل تعرف كم
من رجل كبير أصبح يضع عينيه على ما يفعله ابنه المراهق بعد حادثة عبدة
الشيطان الشهيرة؟ ألا تعرف كم رجلاً وكم امرأة أمرت ابنتها بالتحشم
بعد تكرار حوادث الاغتصاب في التسعينات؟ إنه مجتمع التفكير العكسي
يا بني.. المجتمع الذي لا يعمل ولا يحافظ على تكوينه وتدينه إلا لو آلمت به
مصيبة أو أصابه نصر كبير!!

كان لا بد من انتقاء عيناتنا بعناية.. كانت فكري أن نبداً بذلك المتأسلم
متعاطي الحشيش.. ماذا لو قُضِع في كل مكان، وعُرف الجميع أن قيادي
الحزب الشهير الذي ينادي بتطبيق الشريعة هو في الأساس حشاش ومتزوج
سرّياً براقصة معتزلة.. سيعرف الجميع أي هاوية يقودنا إليها هؤلاء..
سيرجع الكثيرون من شعبنا العاطفي إلى الحقيقة، ويبدأ هذا الحزب القوي

في التفكك والانحلال حتى يقط من داخله.. ماذا لو عرف الجميع ان الفتاة المريضة البرية ظاهرياً هي وحش يلتهم ضحاياها على فراش الخيانة وأنها ارتكبت أفعالها مع كل من صادفتهم وهي مخطوبة لطبيب شاب واعد المرض ضعف.. والضعف يلقي بالمجتمع إلى الهاوية.. ألا ترى كيف يستغل مجتمعنا بسبب كل هؤلاء المرضى بالكبد الوبائي والسرطان والسكر؟ ماذا سيحدث لو تخلصنا منهم.. سيبقى من يستحق أن يبقى فقط.. من يستطيع أن يكون جيلاً جديداً يقوى على البقاء.. ألا تسمع في حياتك عن الانتقاء في سلالات الحشرات.. ألا تسمع كيف يطور كل فيروس نفسه ليفتك بالمزيد.. إذن لولا يطور الإنسان نفسه حتى يصبح قادراً على البقاء والصمود!!

لاعب الكرة كانت فكرة جمال.. لماذا يحصل هذا الجاهل عديم الموهبة على ملايين الجنيهات؟ لماذا يبقى ملء السمع والبصر، وشقيقه الكادح المكافح العبقري في دائرة النسيان في شرنقة حقيرة في حي عشوائي لا يكاد يكسب قوت يومه فيدفن مع المدفونين تحت تراب النسيان الأبدى؟؟ الحقيقة أن عصام أبدى مرونة مذهلة ثبت أنه يعشق شقيقه الأصغر.. بل إنه نفذ الخطة بنفسه وبإيديه.. نعم كان معترضاً في البداية، ولكن المبلغ ذا الخمسة أصفار أسال لعاباً لم يسيل من قبل.. وذكره أن أخاه عاق فاسد لم يكن يوماً عوناً له ولا لآبيه ولا لأمه!!

كنا نتحرك في مجموعات صغيرة وفي نفس الوقت.. غرفة عمليات في تلك العوامة، أجلس فيها أمام هواتف محمولة لم أتصور يوماً أن أحمل مثلها لنفسي.. عملية تنفذ هنا وعملية تنفذ هناك.. وأنا مثل القائد المظفر أتلقى رسائل التأكيد بالنصر ومهمتي تتحقق.. ويوماً ما سوف أتلقى رسالة العملية المليون.. يوماً فقط أستريح وأنا أراقب هذا المجتمع ينقلب على شيطانيته البغيضة ويتطور إلى ما نبغيه جميعاً..

كلهم يستحقون يا صغيري فلا تأسف عليهم.. علاء البلطيمي.. أمل

الخائنة القدرة المريضة.. هيشم لاعب الكرة الجاهل.. غريب العاطل الجبان..

حتى مقتل ذلك السائق كان اتفاقاً بيني وبين حلمي دوناً عن باقي المجموعة.. لكنه مثلهم يستحق.. هل تعرف كم روحاً أزهق هذا السائق بسبب تعاطيه المستديم للترامادول؟ حتى أن الأقراص التي زرعتها له حلمي في الشاي لم تكفٍ للقضاء عليه فتبعه حتى خنقه!!

هنا ظهرت أنت وعماد بأنوفكم الكبيرة في قلب الأمر.. لماذا اختاروا عماد من دون كل ضباط المباحث؟؟ لأن قوة ما ترفض أن أستكمل حلمي وهدفي.. قوة شيطانية مأكرة.. إذن لا بد أن أندخل.. لا بد أن ألقى ببعض ثعابيني أمامكم علّها تسحركم وتشتت تركيزكم.. وعماد يا صديقي محدود الخيال لا يرى أبعد من قدميه.. ولولا وجودك أنت لاقتنع بالقاتل الذي يركض خلف الكتاب وحروفه وأرقام صفحاته، وراح يدور في هذه الدوامة حتى يلقي الله شاكرًا راضيًا أنه فعل كل ما يستطيع فعله!!

فقط بدأ كل شيء حين قرر عصام أن الفتك بسكرتيرتي سمية هو الخطوة القادمة.. هنا بدأت أشعر أن المرض تملك منه.. إنه لا يرى في حياته سوى نسوة خائنات لا بد من التخلص منهم.. تعدى هذا الأمر حب المال ووصل لحب الانتقام، وهذا ليس من أخلاقي ولا من حلمي في شيء.. أنا أحقق مهمة سامية هنا - أيا كانت وجهة نظرك في وسيلة تحقيقها - فلماذا أنجرف نحو سيل الانتقام هذا؟؟

جمال كان مؤيداً وبشدة.. كان يرى مثلما رأيي سابقاً عندما سلم نفسه بنفسه للشرطة أن هذه الخطوة مهمة في إبعاد الشبهات عني... وأنني لا بد ألا أنفرد بالقرار وحدي.. يومها فقط عرفت كيف أن مروّض الأسود لا بد أن يأخذ حذره من الأسود أولاً وليس من مشاهديها.. وبعد أن افترقنا على أن هذه الخطوة ليست بالصحيحة.. فوجئت بذلك الضابط علي يتصل بي ويعلمني بما حدث.. أنت تعرف يا أكرم أنني لست ممثلاً ناجحاً ولكنك

أيضًا لا تدرس انفعالات الوجه بنجاح.. كل مرة تحدثنا فيها كانت تبرز مني أشياء قد تجعل أي محقق ذكي واسع الخيال يشك في شخصيًا.. حتى ذلك الانفعال المفتعل الذي مارسته يوم مقتل سمية لم يكن ليخدع طالبًا في معهد الفنون المسرحية.. لكنك لم تكن لتشك بعملك أحمد العجوز.. يومها كنت قررت أني لا بد أن أضع نهاية لهذه الحطة.. إن الأمر يخرج من الطور الذي رسمته ووضعتة بعناية إلى طور آخر لا قبل لي به!

إلا أن الأسود انقلبت على مربيها.. وإلا فكيف تفسر سرقة أسد من السيرك ووضعه في غرفة رجل بائس مثل زوج شقيقة عصام؟ ماذا فعل؟ كان بخيلًا نعم وكان مُقْتَرًا ورفض أن يعالج زوجته المريضة المخلصة، ولكن من منا ليس له أولويات قد يراها البعض ثانويات؟؟ تقول لي إنه نموذج مناسب لاستكمال خطتي وعملي الأسمى.. لا يا عزيزي.. بل لو كان نصف هذا المجتمع مثل محسن لكان لدينا الكثير من المال لنفعل به الكثير والكثير..

هنا فقط بدأت اللعبة تتخذ مسارًا جديدًا.. صورتي على جهاز كمبيوتر المصور.. القضاء على حلمي.. ثم أكتشف أن جمال لم يكن كما تصورت.. إن جمال يتحرك بسرعة مبهرة نحو تحقيق هدفه هو.. إن جمال حولني أنا شخصيًا لوسيلة يحقق بها هدفه الأسمى الذي يؤرق عليه حياته.. إن جمال هو من وضع لك العلامة فوق صفحات الكتاب لتعرف أن النهاية ستكون هناك.. في النيل.. ربما في العوامة التي استأجرها عصام من مالي الخاص.. ربما فوق الكوبري كما تقول القصة.. هو أرادك هناك.. هو عرف كيف يضع لك الجرعة بالصورة التي لا تملك ولا تحييك.. جمال عرف جيدًا أن انحصائية السموم سوف تنقلك ولكنها لن تنقذ الضابط.. الضابط الذي عرف كل شيء قبل مقتله بيومين من غير المأسوف عليه حلمي إبليس مرشده القديم.. وكان لا بد من نهاية.. أتفق مع جمال أن النهاية هنا كانت

مطلوبة.. وإلا ما كنت هنا أكتب لك هذه الكلمات ولا كنت أنت أنرت هذا
النفق المظلم في دروب عقلك..

تسألني لِمَ لم يقر جمال بأنني كنت هنا من البداية.. وهل تعتقد أنه ساذج
لدرجة أن يفقد نهاية حلمه؟؟ لا بد أن يكون هو المخطط والمنفذ.. لا بد
أن يكون هو صاحب مشهد النهاية.. لقد انتظركم هناك.. انتظركم وأتيتم
كما أراد.. وضع لك طرف الخيط.. وعرف أنك سوف تنهض كي تلقي
لعماد به.. وعرف أن فضولك سيقودك إلى هناك وأنت بين الموت والحياة..
لقد كان جمال أذكى وأمهر مني وأكثر قدرة على تنفيذ حلمه.. وأظن أنك
تقرأ الصحف والمواقع الآن.. وتعرف كيف تلقت دار نشر كبرى كتاب
أبيه محدود الموهبة.. وكيف أصبح ملء السمع والبصر!! بينما اعذرني يا
صديقي.. أين أنت الآن.. وأين عماد.. وأين علام.. وأين آمال.. وأين
أنا؟؟!!

نحن جميعًا كنا بيادق في لوحة جمال إبراهيم.. كان التحريك مسئولية
هو وليس مسئوليتنا نحن.. جمال أخرج مخاوفنا جميعها ووضعها أمام أعينا
البائسة حتى نتحرك نحوها.. أنت تخاف من النسيان مثل أبوك العلامة
النسي.. عماد يخاف من الفشل ومن الجلوس في منزله وحيدًا مثل أبيه اللواء
المتقاعد بعد أن كان ملء السمع والبصر.. إذن فليتحركوا.. فليقتربوا من
الحقيقة قدر المستطاع.. فليصنعوا هالة حول ما أريد حتى يصبح مقدسًا
تلتف حوله الفراشات!!

لا أظن يا بني أنك ستلوم عليًا.. فلا أظن أن قِيًا تبلى مع من هم في
عمرى ممن هم في عمرك، سوف تحرك مشاعرك نحو كراهيتي ولومي..
طبقًا أنا أفترض فيك ذكاء أعرفه جيدًا وأعرف أنك لن تقدم هذه الأوراق
إلى أي جهة رسمية وإلا اتهمرك بالجنون، وربما انتدبونى لعلاجك.. كما أنك

تعرف الآن أنني لست في الكويت ولست عند ابني.. لو توخيت الدقة.. أنا
لست في أي مكان تعرفه!!

لو كنا في زمن آخر يحترم من هم في عمري لكان يقدم لي وسام على
ما أفعله.. لو حكم رجل مثل ستالين أو بريجنيف بلادنا لكنت الآن في
قمة الهرم أكافأ على ما خططت لفعله، ولدرست فعلتي هذه في الجامعات
والمدارس.. لكننا في زمن آخر.. زمن يتهم كهلاً عجوزاً مثلي بالخرف
لمجرد أنه يريد دواء صحياً يعينه على آلام آخر عمره.. ويريد فراشاً نظيفاً
يموت عليه.. بعيداً عن خرف شباب لا يعرف شيئاً سوى اتهام من هم مثلي
بالخرف..

أنا اقتربت من الحقيقة الكبرى يا بني.. الحقيقة التي رأيت قبها في
غفوتك.. لكنك بعدل تقترب سوى من قبس منها.. هو قبس يذبل ويذوي
فلا يبقى منه شيء..

سوف أستعير كلماتك التي كنت تغمم بها في غيبوتك حتى أغلق بها
ذلك الباب..:

"وهنا فقط سقطت الأوراق من بين يدي.. مع سقوط عيني على تلك
الكلمات التي أراها الآن كضوء نيون ملون في لوحة إعلانات كبيرة..
وسقوط دمة احتبست من الصلعة فسقطت فوق الكلمات الثلاث لاعنة
كل يوم بقت فيه داخل مقلتي الكريمة..

لقد تلقيت يوماً ذلك القبس.. تلك الإشارة التي تثبت لي أنني لم أكن
مغفلاً.. والآن فقط كم أتمنى لو كنت!!

الظلام.. الحقيقة.. المعرفة..

وباليتني ما عرفت!!

شكر خاص

حاولت أن أقمص هنا شخصية أحد الكتاب الشهيرين وأكتب الكثير من كلمات الشكر، إلا أني وجدت أن الكلمات فعلاً قد لا تكفي لشكرهم وإيفاء حقهم..

الأستاذ/ هاني عبدالله

الناشر الذي يعرف كيف يصنع من كتاباتك وكلماتك شيئاً يُقرأ ويلمس ويحس ويتزع آهات الناس، هو بطل خارق يستحق أن تكتب في سيرته ملاحم شعرية وليس سطرًا من شكر عبد فقير..

الكاتب والصديق / أحمد عبد المجيد

أكثر من دعمني ووقف إلى جوارى حتى ترى روايتي النور.. كانت آراؤه الهامة والصادقة دافعاً كبيراً وقويّاً لي كي أخرج كل ما عندي.. شكراً يا صديقي..

الكاتب والصديق / محمد عبد القوي مصيلحي

عندما لا ترى أمامك نوراً في نهاية النفق.. اذهب إليه، وسوف تصنع كلماته معولاً يهدم كل حاجز أمام طريقك.. اشكره لأنه كان مسانداً ودافعاً وصديقاً..

الكاتب والصديق الغائب / محمد الدسوقي

يوماً ما قلت لي: اكتب ولا تخف.. أنت تملك داخلك تلك الماكينة التي تجمع الحروف وتصلقها وتطليها بلون لامع كي تخرج إلى النور.. وها أنا ذا أكتب يا عزيزي.. اكتب بكل ما أوتيت من قوة.

المراجع

- مصنف حالات الرهاب والخوف المرضي - الطبعة الخامسة ٢٠١١ -
نيوهاربنجر للنشر
The Anxiety & Phobia Workbook 5th ed. New Harbinger Publications.
- الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية - الطبعة الرابعة ١٩٩٤
- الجمعية الأمريكية للطب النفسي
Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders, 4th ed.
American
Psychiatric Association 1994.
- دائرة المعارف البريطانية - الموقع الإلكتروني
ENCYCLOPEDIA BRITANNICA - www.britannica.com
- موسوعة النباتات الطبية - يناير ٢٠٠٢ - دي كيه للنشر
The Encyclopaedia of Medicinal Plants - January 2002 by DK
Publishing
- كتيب الوصفات البريطاني: الجمعية الطبية البريطانية - الجمعية الصيدلانية
الملكية البريطانية
The BNF; British Medical Association - Royal Pharmaceutical Society
of Great.
- طبيب نفساني دوت كوم - إشراف د. محمد شريف سالم - الموقع الإلكتروني
www.tabibnafsan.com
- موسوعة المعرفة .. الأعداد الورقية والموقع الإلكتروني
www.marfa.org

آثار جانبية

جرائم قتل متتالية يرتكبها قاتل غامض.. يترك بجوار جثته مجموعة قصصية قديمة مفتوحة على قصة تمثل تلك الجريمة..

أسئلة كثيرة ترفض العثور على إجابات لها.. وضابط مجتهد يحاول أن يحافظ على وظيفته.. يستعين بصديقه الصحفي المشاغب في رحلة يسبحان فيها ضد التيار في زمن لا يحب من يسبح ضد تياره.. رحلة قد تكلفهما كل ما يملكان.. إلا أنهما لا يعرفان أن القدر يخبئ لهما مفاجأة قد تقلب حياتهما فلا تعود كما كانت.. قدر قد وضع في طريقهما أقدم أعداء البشرية..
الخوف!



ميسره الدندراوي

كاتب شاب من مواليد القاهرة عام ١٩٨٠.. تخرج عام ٢٠٠٣ من كلية الهندسة.. صدرت له مجموعة قصصية عام ٢٠١١ ورواية عام ٢٠١٣ وآثار جانبية هي روايته الثانية..



للنشر والتوزيع